



بطن البلد



بطن البلد
تأليف : عبد المنعم هلال

الإخراج الداخلي : إسلام الحمادي

اللوحة: إسماء محمد جمال

تصميم الغلاف : ضياء إبراهيم

مراجعة لغوية: محمد سلامة

مدير النشر: أحمد خطاب

رقم الإيداع: 23419 - 2017

التقييم الدولي: 6-25-977-978

إشراف عام : أحمد عبد الجواد



مؤسسة عابر للنشر والتوزيع



01007677910 - 01111883712



3aberorg@gmail.com



www.3aber.org



عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.



بطن البلد

عبد المنعم هلال



(بطن البلد)

- هل تعرف ما هي الحقيقة؟؟.. هل رأيت من قبل الجانب المظلم من الحياة؟؟... هل فقدت روحك؟؟... هل كفرت بالله وبكل النواميس والأديان من قبل؟؟... هل اختبرت إحساس أن تكون على قيد الحياة اسماً فقط أو أن تكون شبح إنسان؟؟... هل وصلت لأعلى درجات النشوة والجنون؟؟... هل وصلت لأدنى درجات الإنسانية والقسوة؟؟... هل تعي جيداً معنى كلمات كاليأس والوحدة والضياع وانعدام الأمل؟؟.. هل رأيت بخيالك ما يفوق الخيال المؤلف؟؟.. هل جربت أن تموت من قبل ثم توهب لك الحياة من جديد؟؟... هل تعرف من هو الله؟؟... هل تعرف حقاً معنى النفس الأمانة بالسوء وما هو بالفعل جهاد النفس؟؟... هل أنت متأكد من إجاباتك عن الأسئلة السابقة؟؟...

- معظم شخصيات الرواية من واقع الحياة... منهم من توفي ومنهم من هو ما زال على قيد الحياة وقد قمت فقط بتغيير الأسماء الحقيقية وإضافة بعض التفاصيل والأحداث الخيالية للمعالجة الروائية لكي لا أسبب أي إحراج للأشخاص الحقيقيين وللحفاظ على قدسية أرواح من مات منهم... قد يشعر القارئ أن الأحداث مرت أمام عينيه أو في ذهنه من قبل وهذا الشعور حقيقي تماماً فالحياة ليست إلا سيناريوهات تتكرر برتابة مملّة وبإصرار قبيح وما زال البشر يقومون بنفس ردود الفعل المثيرة للخيبة والحزن.

- الرواية إهداء إلى كل الشخصيات الحقيقية سواء كانوا فوق الأرض أو تحت الأرض.... وإهداء خاص لشخصية لنا الحقيقية فهي أجمل وأكثر هشاشة بكثير من الخيال.... وإلى كل من يهمله الأمر....

يوجد علي الساوند كلاود مقطوعتين موسيقيتين من تأليني وعزفي علي الكمان الأولي بعنوان (مرايات معكوسة) وهي تتر البداية للرواية والثانية بعنوان (حلم السجين) وهي تتر النهاية للرواية...شكر خاص للأساتذة الذين اشتركوا معي في العزف والتأليف الأستاذ مينا ماهر علي البيانو والاستاذ عادل عبيد علي الجيتار الكلاسيك والأستاذ مصطفى فتحي علي الجيتار الإليكتروك....عناوين المقطوعتين علي الساوند كلاود كالتالي:

<https://soundcloud.com/abdelmonem-helal/obup9jk4avcd>

<https://soundcloud.com/abdelmonem-helal/eg1lov45x5kc>

عبد المنعم هلال

أخذت تعدو في الشوارع وهي تغطي رأسها بمعطفها ليقبها المطر ولمحت تاكسي قادمًا من بعيد فأشارت له بيدها الأخرى التي تحمل الكمان فتوقف التاكسي وفتحت النافذة من ناحيتها نصف فتحة فاقتربت برأسها منها قائلة:
- الزمالك؟

أشار لها السائق بيده أن تركب... جلست في المقعد الخلفي ووضعت الكمان بجوارها وبدأت تمسح قطرات المياه عن وجهها من أثر المطر وتعديل من ما كياجها في مرآة صغيرة أخرجتها من حقيبة الكمان ثم توقفت يدها فجأة وظلت تنظر لملاحظها في المرآة ولعينيهما وما تحتها من سواد خفيف ووجهها النحيف وقسماته البسيطة الجميلة والحادة في نفس الوقت وانخفضت يدها بالمرآة للأسفل ببطء وتحول نظرها خارج التاكسي وتابعت تحركات الناس عكس اتجاه السيارة وكأنهم يسرون للوراء... الشوارع المبللة وقطرات الماء وهي تتساقط على الزجاج بجانبها فتجعل الرؤية مهزوزة أمام عينيها... كان مذياع السيارة تخرج منه أغنية لأحمد عدوية (يا نجمة يا أخت القمر قوليلي مال بحتي)... شردت قليلاً وتذكرت عندما كانت طفلة صغيرة.. تتذكر جيداً المشاهد وكأنها كانت بالأمس... والدتها كانت أصغر سنًا وجميلة... لطالما كانت تري أمها أجمل امرأة علي وجه الأرض بشعرها الأسود المموج الطويل وعينيها المائلتين للخضار... كانت تعمل كمطربة في الملاهي الليلية يوميًا لساعات متأخرة من الليل... لم تكن تهتم بأمورها كثيرًا ولا تتذكر أنها مشطت لها شعرها يوما أو ربطت لها حتى رباط الحذاء وهي ذاهبة في الصباح للمدرسة مثلما تفعل الأمهات مع أقرانها... لم تلتفت يوما لها لتسألها

ما الذي يشغل بالها أو يجعلها حائرة في تلك السن المبكرة؟؟... كانت تتابع أمها جيدا وهي تقف أمام المرأة لتضع ما كياجها وتعديل من ملابسها وشعرها بعناية وتستعد للذهاب إلى العمل... كثيرا ما كانت تقلدها في الخفاء وتقف أمام المرأة لتصعد بجسدها الصغير على الكرسي وتقوم بنفس حركاتها... لم تستطع أن تفسر ولو مرة مشاعرها من ناحيتها... عندما تأتي إلى عقلها تلك الذكريات البعيدة تشعر بخين لها غير مفهوم ولكنه سرعان ما يتلاشى فوراً لحظة حضور المشاهد العنيفة عندما كانت تصرخ في وجهها لأتفه الأسباب وتعايرها بأنها ليست مفعمة بالأنوثة مثلها وليست في جمال جسدها... تحكها الشديد في أفكارها وأسلوبها... شكوكها الدائمة فيها لدرجة الجنون فقد انفعلت عليها وانهالت عليها ضربا وقامت بجرحها في رقبتهابمبرد الأظافر... عادت من ذكرياتها وهي تتحسس ندبة ملحوظة في رقبتهابلتضع بعضاً من كريم الأساس عليها وتخفيها عن العيان... التفتت فجأة لتجد عيون سائق التاكسي تتابعها في المرأة فأطالت النظر في عينيه بحدة وتحدد فأدار السائق عينيه للأمام مرة أخرى... اعتادت ذلك واعتادت المواجهات لتتجنب عيون الناس التي تتناول جسدها يوميا خلال ذهابها وإيابها لأي مكان... فالرجال في بلادنا جائعون لأجساد النساء... اعتادت التوتر الذي ينتابها نتيجة ذلك وأصبحت محترفة في إخفاء وإظهار القوة لتحمي نفسها فليس هناك من يحميها وقد اعتمدت على نفسها في ذلك منذ أن قررت العمل... وصلت إلى مكان عملها وترجلت من التاكسي وانطلقت مسرعة إلى ذلك البار التابع للفندق ذي السبعة نجوم المشهور تتابعها أنظار سائقي التاكسي المنتظرين للزبائن أمام البار وصاحب الكشك المجاور وموظفي الأمن بنظراتهم الشهوانية المكررة... دخلت إلى البار سريعا فقد تأخرت على موعدها كعادتها

وما زالت تحتاج لبعض الوقت كي تبدل ملابسها وترتدي ملابس العمل... رأت في وجهها مدير المكان فقال:

- حمد لله ع السلامة يا أستاذة.. بسرعة شوية المفروض تبتي من نص ساعة....

نظرت له بنصف ابتسامة ولم تجبه وتوجهت نحو الحمام لتقابل في طريقها (محمود) النادل العجوز الذي يبدو من ابتسامته الحنونة أنه طيب القلب يتخلل البياض شعره وتحمل ملامحه بعضاً من الحزن... رفعت يدها بابتسامتها الجميلة التي قلما تظهر واضحة وهي تقول:

- مساء الفل يا عم محمود

- مساء الهنا يا (لينا)

مرت خمس عشرة دقيقة تقريباً أو أكثر من الترنح داخل الحمام وسقوطها ووقوفها أكثر من مرة وهي تبدل بحذائها الرياضي آخر ذا كعب طويل وتنظر نظرة نهائية سريعة في المرأة الكبيرة ثم تخرج من الحمام لتتوجه نحو مقدمة البار مخرجة كمانها من حقيبته وتعديل من أدوات الصوت والمايك ووقفها وهي تنظر لبعض الحاضرين بابتسامة رسمية مصطنعة وتلقي بالتحية على بعضهم وتابعت عيونهم المنبهة بجمال فستانها وحضورها الذي تعرف جيداً أنه ملفت للأنظار ينتظرون أن تبدأ في إخراج تلك النغمات الساحرة من كمانها لتضيف سحراً على سحرها وكانت تعزف مقطوعة جميلة اسمها (Oblivion) وأغمضت عينيها لتعكس على وجهها الإضاءة الملونة الخافتة للمكان....

كان البار قد امتلأ وتعالى الضحكات الصاخبة وتلك المنضدة الجانبية

كان يجلس عليها شابان وفتاتان يبدو عليهم أثر الخمر إلا أن أحدهم كان حزيناً إلى حد ما وشارد الذهن ومالت عليه أحد الفتاتين تسأله:

- مالك يا (نادر)؟؟

ابتسم نادر ابتسامة خفيفة وأجابها

- ما فيش حاجة سرحان مع المزيكا وبعدين ما انتي عارفة ما ليش في قعدة الباربات يا (رشا)

- متأكد إن هو ده الموضوع بس؟!

- أيوه هيكون فيه إيه تاني يعني

ابتسمت رشا ثم وضعت يدها في حقيبتها قائلة له وهي مبتسمة:

- طب خد الحصاوية دي أنا كنت مخبياها علشان أعمل لك مفاجأة

إحنا ما ضربناش من ساعة الاصطباحة.. معاك سرنجة؟

مدت رشا يدها من تحت المنضدة دون أن يلحظها أحد ووضعت

الورقة التي تحتوي على قطعة الهيروين في يد نادر وتلقفها هو ووضعها في

جيبه سريعاً وابتسم لرشا قائلاً:

- يا بنت اللذينة كمرتياها ازاوي دي الصبح من غير ما اخد بالي!!

ضحكت رشا وقالت:

- عيب عليك يا معلم يلا روح بسرعة

نهض نادر وممر من أمام لينا فابتسم تحية لها وبادلتها هي الابتسامة بدورها

وهي تعزف لترد التحية واتجه إلى السلالم المؤدية للحمام ودخل ثم أغلق الباب عليه

جيذا وأخرج الورقة ليقوم بطحنها على الحائط لتتحول الحصاوية بداخلها إلى بودرة

ثم أخرج السرنجة من جيبه وأفرغ كل ما في الورقة بداخلها ثم خلطها ببعض الماء ورجها لتذوب وخلع حزامه سريعاً وشمر عن ذراعه ليجلس على المرحاض ويربط الحزام حول ذراعه فتظهر العروق بقوة ويختبر أحدها بإصبعه ثم أدخل سن السرنجة فيه وسحب الدماء لتختلط بالهيروين ثم ضغط على المكبس مدخلاً السائل في وريده بأكمله مرة واحدة ثم قام بسحب المكبس والدماء مرة أخرى ليضغط المكبس ويحقنهم داخل الوريد مرة أخرى وكرر كل ذلك للمرة الثالثة وكأنه يزيد من سرعة جريان الدماء في عروقه وجسده... شعر بالأنوار تخفت قليلاً في عينيه وبالهدوء الشديد يسري في أعصابه وفي كل ثنايا جسده وعقله ثم أخرج السرنجة من ذراعه ليمتص الدماء مكان الحقن بلسانه ويضع عليها قطعة صغيرة من المناديل ويخبئ مكانها بملابسه ووضع السرنجة المستخدمة داخل كثير من المناديل وألقى بها في الزباله كي لا يلحظها أحد وخرج عائداً إلى المنضدة وابتسمت له رشا قائلة

- إيه؟

- تمام

عاد نادر برأسه للوراء وكانت لبنا بالنغمات التي تخرج من أناملها على الكمان تذهب بنادر وعقله بعيداً فأغمض عينيه مما جعل الشاب الآخر يميل على أذن رشا ويسألها:

- هو صاحبك ماله؟!

- ما فيش تعبان شوية

- تحبي نمشي ما تقلقيش أنا ما عنديش مشكلة إنتي فاهمة ممكن

نروحه ونكمل إحنا السهرة في مكان ثاني؟

- لأ خالص إحنا مبسوطين هو بيعحب المزيكا بس ويبسرح معاها
إنما مش تعبان للدرجادي..

كان نادر في مكان بعيد بأفكاره.. بعيد عن المكان والزمان... كانت الموسيقى
التي تعزفها لينا تأخذه لبعد آخر وكون مختلف وحياة أخرى غير التي يعيشها... لينا
حب عمره الصامت الذي لا يعرف به أحد ولا حتى لينا نفسها... هو جارها منذ
طفولتهم... يعرفها جيدا ويعرف حتى لماذا تحب تلك المنطقة الصغيرة في رقتها
بالمأكياج... يتذكر كيف كان يقف في نافذة غرفة نومه المطلة على غرفتها في البناية
المجاورة ويملؤه الحزن وهو يرى ذلك الشجار العنيف بينها وبين أمها وكيف
تطور الأمر فجأة لأن ترفع تلك الأخيرة شيئاً يشبه السكين الصغير لتجرحها به
في رقتها وهي تهددها ونظرات عيني لينا المفزوعة وهي تتحسس مكان الجرح
والدماء ونظرات أمها الحائرة غير مدركة كيف تطور غضبها لهذا الحد وهي
تراجع للوراء وتخرج من غرفتها.. سقوطها على سريرها وهي تبكي وتمسح الدماء
بمنشفة تحاول إيقاف الدماء... كان يتمنى لو يستطيع الذهاب إلى بيتها والوقوف
أمام أمها ليمنعها أو أن يأخذها في حضنه ويمسح دموعها بيده ولكنهم لا يعرفونه
وكان خائفاً كعادته... منذ طفولته يخاف من كل شيء... كائن متوحد منعزل لا
يختلط بسهولة بالناس فقط يعشق الرسم... الرسم هو الشيء الوحيد الذي يشعر
فيه بالراحة والألفة والأمان... ريشته وألوانه والورق الأبيض.. لطالما تابع لينا من
بعيد دون أن تلحظه في كل تطورات مراحلها العمرية وهي ذاهبة للمدرسة وهي
عائدة منها مع صديقاتها وهي ذاهبة للجامعة التي لم تكملها لظروفها الأسرية
واضطرابها لأن تعمل مبكراً... غياب الأب... كانت تشبهه في كثير من الظروف
تماماً ولكنها أقوى منه فقد تعلمت الجلد مع الوقت وتعلمت أن تمنع أمها في

نوبات هياجها من الاقتراب منها أو من كمانها... لم يستطع هو أن يفعل ذلك... لم يتمكن من منع أبيه من أن يكسر له ريشاته وألوانه ويمزق له لوحاته أكثر من مرة.... لم يتمكن من صده عن إهانتته المستمرة له وتوبيخه الدائم ومنعه من الرسم وسخريته منه أمام أقربائهم وأمام أصدقائه وما زال يسمع صوته في رأسه: - رسم!! رسم إيه يلا اللي إنت بترسمه ده؟!!!... دي شخبطة إنت مصدق نفسك!! عامل لي فيها فنان يا اهيل!! سايب مذاكرتك وعمال تشخبط في ورق هتنفعنا بإيه شخبطتك دي لما تسقط وتتنيل على عينك!!

كان دائم النظر لصورة أمه التي توفت وتركته مع هذا الشخص المتوحش... كان يكلم صورتها ليلا وببكي ويسألها لماذا رحلت؟! ولماذا تركته وحيداً؟!... يفقدوها بشدة لقد سرقها منه القدر... كانت الوحيدة التي تحنو عليه وتحب رسوماته وتشترى له ريشات وأدوات جديدة وتعطيها له في السر بدلا من التي يحطمها أبوه... كان موتها صدمة له جعلته يترك كل شيء... يترك الرسم والأب والدينا وحتى براءته.... ترك كل ذلك وراءه عندما وافق على عرض من صاحب له أن يتعاطى تلك اللعنة معه... الهيروين... ذلك المخدر الذي جعله شخصاً آخر بمرور السنين... جعله يواجه أباه ويرد له الإهانة ويسرقه وأصبح الوضع معكوسا.... أصبح أبوه هو الذي يخاف منه وليس أبوه فقط بل كل المنطقة التي يعيش بها... الجميع يخاف منه ويتجنبه دون حتى أن يفعل لهم شيئا مجرد اقترابه من أي أحد منهم يجعله يسرع من مشيه ليتخطاه سريعا أو يغير اتجاهه... الإنسانية الوحيدة التي لم يستطع مواجهتها حتى بالهيروين هي لنا... ما زال أجين من أن يقترب منها... الآن السبب أدعى فهو قد أصبح قدرا

واقترابه منها قد يدنسها... يلوث تلك الزهرة البيضاء الجميلة وهي الشيء الوحيد الباقي بداخله ليذكره أنه ما زال إنسانا كسائر البشر...
- نادر...

اختطفه نداء رشا من ذكرياته لينظر لها فتقول:

- إيه يا بني يلا بينا إحنا ماشيين...

ضحكت وهي تميل على أذنه قائلة:

- إنت بقالك نص ساعة مش معانا كأنتك بتحلم... الظاهر الحاجة الي اديتها لك كانت جامدة يا بختك يا عم يا ريتنى ضربتها أنا يا أخي!!
ضحك نادر وقال لها هامسا:

- ظبطتي الكلام بس ولا إيه؟ خدي المصلحة منه؟

- عيب يا عم انت بتشك في قدراتي ولا إيه؟!!

قالتها وهي تشير إلى رزمة من الأموال بداخل حقيبة يدها دون أن يلحظها أحد... نهضوا من مجلسهم ونظر نادر نظرة أخيرة نحو لينا من بعيد قبل أن ينصرفوا خارجين من البار...

دقات قلبه كانت عالية جدا لدرجة أنه يسمعا في أذنه وهو يعدو في الشوارع الجانبية فيتوقف ليلتقط أنفاسه قليلا مستندا إلى جدار وينصت للأصوات القادمة من بعيد حاضنا نصف آلي... يبدو أنه استطاع الهروب منهم ولكن ذلك لن يدوم لساعات فسرعان ما سيجدونه فالحي صغير وقد تاه عن باقي زملائه...

فليفكر جيدا وأغمض عينيه مستجمعا أفكاره وحاول تنظيم أنفاسه وفتح عينيه مرة أخرى وأدار نظره حوله... لاحظ ذلك البيت القريب هناك والضوء الخافت القادم من الداخل... لا يوجد حل آخر... أسرع ناحية نافذة صغيرة للبيت وحطمها سريعا بكعب بندقيته وقفز إلى الداخل... ظل ثابتا مكانه للحظات ينصت بانتباه... لا توجد أصوات في الخارج ولم يلحظه أحد ولكن لا توجد أصوات أيضا في داخل البيت... يبدو أن السكان قد هجروا البيت خوفا من الحرب الدائرة في الشوارع كمعظم أهل الحي... تحرك بجذر من مكانه ملتصقا بالحائط ونظر بنصف وجهه خارج الغرفة هناك طريقة خالية تماما هي التي تنبعث منها الإضاءة الخافتة التي لاحظها من الخارج... تحرك ببطء خارج الغرفة ليستكشف المكان ووضع بندقيته وراء ظهره فهو لا يريد أن يستخدمها كي لا يلفت انتباه الجنود المطارين له.... اقترب من غرفة أخرى على يمينه بابها مفتوح نصف فتحة ومظلمة كباقي المنزل فأزاح الباب ودخل ومد يده في جيبه ليجري بحث عن الكبريت ليضيء أمامه وما أن وجده وكاد أن يشعله حتى فوجئ بقبضة تمسك به من كتفه وتضربه بشيء قوي على رأسه فسقط أرضا وهجم عليه ذلك الشخص ولم يستطع أن يميز ملامحه في الظلام ولكنه ميز لمعة نصل سكين في يده انعكست عليه إضاءة الردهة الخافتة فانطلقت يده في سرعة لتمسك بيد الشخص الحاملة للسكين بشدة فألقى الشخص بنفسه فوقه وانهال عليه ضربا يحاول إرغامه على إفلات يده ولكنه تلقى تدريبات كثيرة جدا جعلته سريع الاستجابة إضافة إلى قوته البدنية التي جعلته يتحمل الضربات وأحاط رقبة الشخص بذراعه زاد من الضغط بيده الأخرى على اليد الحاملة للسكين واعتصرها بقبضته حتى ترك الشخص السكين تحت قوة الضغط ودار بجسده ليجعل الشخص تحته ويخنقه بيده بقوة ويقول له في أذنه:

- هقتلك... استسلم أحسن لك...

استجاب الشخص مع شعوره بالاختناق وتوقف عن المقاومة فأعاد عليه السؤال

- خلاص؟؟

أجابه الشخص برأسه أن نعم فخف الضغط على رقبته وسأله

- معاك حد تاني هنا؟

فأجابه الشخص برأسه أن نعم فسأله

- هما فين؟؟

فقال الشخص بلهجة أقرب للشوام

- بالأوضة الثانية متخبين

عندما سمع صوته لأول مرة شعر بأنه صبي صغير وأكمل الصبي قائلاً:

- هادول أهلي بربك ما تقتلهم

- أنا هسيبك بس ما تعملش أي حركات مفاجئة علشان ما اقتلكش...

تركه وأمسكه من ملابسه بقوة وأخذ بندقيته وصوبها لظهر الصبي ووكزه بها أن يأخذه إلى باقي أفراد أسرته.. تحركا في اتجاه غرفة أخرى مقابلة بابها مغلق ففتحها الصبي وقال له:

- هولع الشمعة

تركه ليشعل الشمعة بجوار الباب محذرا إياه بالبندقية أن لا يقوم بأي تصرفات غير محمود عقباها... أشعل الصبي الشمعة وظهر مع النور رجل كبير

في السن يجلس على كرسي والتقت عيناهما فظل ينظر إلى الرجل وهو مصوب
بندقيته ومندهبش وتوجه الصبي بحذر نحو دولا ب وطرقه طرقتين فخرج من
الدولا ب أخته وأمه... نظروا إليه جميعا بترقب وظلوا يتبادلون معه النظرات
وظل ينظر هو للأب طويلا ويتأمل في ملامحه ونهض الأب ببطء وقال له:
لو حقتلنا يا ابني اقتلنا بسرعة مرة واحدة... خلي الموتة سريعة... لو
كنت تسمح لي بالطلب ده..

كان هو زافع العينين وما زال ممسكا ببندقيته مصوبا إليهم يحاول استيعاب
الموقف... قلقه لا يقل عن قلقهم رغم السلاح في يده... ذهب تجاه نافذة الغرفة
وأزاح الستائر قليلاً ونظر للخارج بحذر... ليس هناك أحد ويبدو من الصمت
أن الجنود قد ابتعدوا... عاد مرة أخرى للنظر إلى الأسرة ثم للأب وقال له:
- ليه ما مشيتوش من هنا زي كل السكان؟؟ الي أعرفه إن ما فيش
مدنيين عايشين هنا لسه!!

قال الأب:

- إحنا مش هنسيب بيتنا إلا واحنا ميتين..
لاحظ نظرات تمتلئ قوة في عيني الأب وإصرار عجيبي وفي عيني
الصبي الصغير أيضا رغم موقفهم الضعيف فأنزل بندقيته وقال للأب:
- ما تحافش مش هقتلكم
شعر الأب ببعض الاستغراب والارتياح وجلس الشاب أرضاً وساد
الصمت حتى كسره الأب قائلاً:
- ملاحك شبهنا والعربي الي بتكلمه شبه المصري

- أنا مصري
- أقدر أسألك سؤال ثاني؟
- أشار للأب برأسه أن اسأل:
- ليه ما قتلتناش؟
- صمت قليلاً وتردد في الإجابة ثم حسم قراره قائلاً:
- علشان أول ما شوفتك افتكرتك أبويا الله يرحمه... إنت شبهه بالظبط ما اعرفش ازاي!!...
- اندهش الأب وابتسم نصف ابتسامة دافئة ثم قال له:
- إنت متعور في راسك.. اسمح لي أنا ممكن أبص ع الجرح؟
- وكأنه لاحظ فجأة الدماء تسيل من رأسه وأغرقت ظهره يبدو أن الجرح من أثر الضربة التي تلقاها من الصبي ولكنه لم يشعر بها... اقترب منه الأب ببطء وفحص الجرح وقال:
- لازم يتحط عليه مطهر علشان ما يتلوّثش ويلتهب... ما تقلقش أنا دكتور جراح.. هجيب شنطتي من الدولاب...
- ذهب وأتى بحقيبة صغيرة وسط نظرات استنكار من باقي أفراد الأسرة وفتحها وقام بإخراج بعض الأدوات وطهر الجرح وضمده وأغمس هو عينيه وذهب في النوم رغمًا عنه من الإرهاق والألم وعندما فتح عينيه كان مذعورا وبحث عن بندقيته سريعا فوجدها بجواره فأمسك بها بعصبية ونظر حوله ليجد نفسه ممدًا على السرير والأب جالس بجانبه ينظر له في هدوء والصبي والصبية والأم يجلسون في آخر الغرفة... وضع سلاحه بجانبه مرة أخرى واعتدل في جلسته متحسسا الضمادة حول رأسه ثم نظر للأب وسأله:

- ليه ما قتلتنيش وأنا مغمى عليا أو سلمتني لجنود النظام؟؟...
- ابتسم الأب ابتسامة هادئة وهو يقول:
- إنت ما هاجمتنيش وما عملتلش حاجة علشان أقتلك أو أسلمك
وبعدين هو مش انت قلت لي إني شبه أبوك.. فيه أب بيأذي ابنه؟..
- شعر بالحيرة بداخله ونظر في عيون كل أفراد الأسرة وأعاد النظر للأب
ثم قال:
- أنا دماغي وجعاني
- وريني مكان الجرح
- لأ... دماغي وجعاني من جوه.. حاسس إني تايه..
- ليه؟
- إئتوا ناس طيبين... أنا بعمل إيه هنا؟؟!!
- مش عارف يا ابني.. متهيألي إجابة السؤال ده عندك انت بس...
- إئتوا ليه مش مسلمين؟
- وانت ليه مسلم؟
- يعني إيه ليه؟؟ علشان الإسلام هو دين الله الحق... إنتم ناس فطرتكم
طيبة وجواكم رحمة ناقصكم الإسلام بس علشان تبقوا كويسين...
- طب هو المسلم بس اللي كويس؟..
- صمت الأب لحظات ثم أكمل كلامه:
- كان لينا جيران في البيت اللي قصادنا وكانوا ناس شبهنا بالظبط يعني
لو انت شايفنا طيبين يبقى ممكن يكونوا هما كانوا أطيب منا بكثير...

كانوا أب وأم وبنتهم... اتنين من زميلك دخلوا عليهم موتوا الأب والأم واغتصبوا البنت ولما جنود النظام هجموا دارت بينهم معركة وهربوا والبنت موتت نفسها من كتر إحساسها بالكسرة والقهر والحزن..

فغرفاه مذهولا وقال

- إنت أكيد بتكذب ده مش حقيقي... هيغتصبوها ليه وهي عملوا كده ليه؟؟!!!... إحنا ما بنعتديش على النساء أبداً...

نظر له الأب نظرة تحمل اندهاشا وعطفا وشفقة في نفس الوقت... لا يعرف لماذا يشعر تجاهه بتلك المشاعر العجيبة... أغلب الظن نظرات عينيه الصادقة والتي تختلف عن الآخرين ممن رآهم من زملائه لا تحمل فيها الشر... قاطع أفكاره صوت ابنه فجأة يقول ثائرا:

- بكفى كل هالكلام الكذب وهالمناقشة الفارغة... ماني قادر أفهم بابا ليه ما تسلمه للجيش وعم بتتناقش معه... هو بيكذب زيهم كلهم... كلهم سفاحين... قاطعه الأب بنظرة صارمة فسكت الابن كاظما غيظه ودار الأب برأسه للشاب مرة أخرى وصمت قليلا ثم قال له:

- إنت ازاي مش مصدق ومش فاهم اللي أنا بقوله؟؟ إنت بقالك قد إيه هنا؟؟

- بقالي سنة... دي أول مرة أنزل الشوارع في اشتباك كل الفترة اللي فاتت كنت تحت التدريب في معسكراتنا وقبلها كنت بحارب في بلاد تانية..

- وزميلك فين؟ معقول نزلت لوحداك؟

- هجم علينا جنود النظام واتفرقنا وتهنا من بعض وعرفت أهرب لحد
ما دخلت أستخبي هنا

ابتسم الأب ابتسامة هادئة وهو ينظر إلى عينيه وهو يتكلم ثم عاد
برأسه للوراء وقال له:

- إنت ما بتكدبش حاجة غريبة فعلا!!!... أعتقد إنك محتاج تسأل
عندك في اللي أنا حكيتهولك وتتأكد بنفسك...

ساد الصمت وكانت أفكار الشاب تشبه ساحة القتال تتعارك مع
بعضها البعض... نظرات الأسرة من حوله وطباعهم الطيبة ونبرة الرجل
الدافئة الصادقة... هناك شيء لا يستطيع فهمه... قد يكون ما حكاه الأب
هو تصرف فردي من أحد الإخوة قد تلاعب بهم شيطانهم وتغلب عليهم
فانساقوا وراء شهواتهم... بالتأكيد هو تصرف فردي

- أنا لازم أمشي

قالها الشاب وهو يقوم من مكانه فقال له الأب

- إنت ممكن تستنى للصبح لو تحب وترتاح علشان الجرح

- لأ أنا لازم أمشي دلوقت

- على راحتك

- إنما انت كل ده بتتكلم معايا بالمصري!! إزاي عارف تتكلم مصري

كويس كده??

- أنا عشت في مصر خمس سنين زمان.. كان ليا أصدقاء هناك مصريين
كنت قاعد عندهم قبل ما اتجوز... دكاترة زملا ليا... أنا بعشق بلدكم
وعمري ما نسيتهـا...

أطال الشاب النظر له.... كم يفتقد مصر... له عشر سنين خارجها ما
بين أفغانستان وروسيا وأخيرا شمال العراق...
استأذن الأب قائلاً:

- ممكن أدخل الحمام قبل ما أمشي
أشار له الأب في اتجاه الحمام وهو يقول:
- طبعاً بس انت ما قولتليش.. اسمك إيه؟
- عمر.. اسمي عمر...

دخل عمر إلى الحمام ووضع الماء على وجهه ثم نظر في المرأة إلى ملامحه
وتحسس ذقنه الطويلة وملابسه العسكرية
- تشرب حاجة تاني يا أستاذ؟

قطع أفكار عمر صوت القهوة فانتبه فجأة وقال:
- لأ متشكر.. حسابك كام؟
- اتنين جنيه بس..

أعطاه عمر حسابه ونهض من مجلسه في ذلك المقهى في السيدة زينب
وصوت أم كلثوم يشدو (أنا وانت ظلمنا الحب بإدينا) وتحسس وجهه مكان
ذقنه التي لم تعد موجودة ونظر حوله سريعاً ثم وضع يديه في جيوب بنطاله

وتحرك وعلى مسافة منه قام شخص آخر من على القهوة وأشار للقهوجي ليعطيه حسابه وتحرك وراء عمر من بعيد وأمسك هاتفه ليطلب رقما ما وقال:
- ألو... أيوه يا سامح باشا.. عمر في السيدة وأنا متابعه سعادتك....

تقترب الساعة من الثانية والنصف صباحا ويبدو أن معظم الناس نيام والمحلات مغلقة في تلك المنطقة الشعبية... تمشي (ريم) بخط ثابتة تتنafi تماما مع سيرها في ذلك المكان وتلك الساعة المتأخرة وشعرها القصير المائل للأحمر والبنطال الجينز الضيق والتيشيرت الخفيف الذي يظهر كل تلك الوشوم على ذراعيها ورقبتها والحلق الصغير في أنفها وجمالها الملفت... لاحظت أربعة فتيان يجلسون على جانب الطريق يظهر من جلستهم والسيجارة التي يتبادلونها والرائحة المنبعثة منهم أنهم يدخلون الحشيش... ما أن لمحوها حتى اندهشوا لمعت أعينهم وبدأوا ينظرون لسيجارة الحشيش باستغراب يشكون أن هذا المشهد ليس حقيقيا وأنه قد يكون من تأثير المخدر ولكنهم بدأوا في توجيه كلامهم لبعضهم البعض:

- إلحق يلا!! إيه ده!!

جمالها بملابسها مستفزا لهم خصوصا أن وجود فتاة مثلها في ذلك المكان وفي هذا الوقت شيء غير اعتيادي تماما وقد يكون مستحيلا... نهض اثنان منهم وسارا وراءها قائلين:

- إيه يا عسل رايحة فين كده؟

- طب انتي واد ولا بت!!

- إيه يا بطل إحنا مش مالين عينك ولا إيه؟

لم تعرهم ريم أي انتباه وظلت تسير بنفس الشبات مما زاد من استفزازهم فتقدم أحدهم ومد يده ليجذبها من ملابسها فتوقفت فجأة ودارت ببطء لتنظر لهم في عيونهم بكل هدوء وكان الاثنان الآخران قد قاما لينضما لهما وقام أحدهم بالاقتراب منها قائلاً:

- إيه بس يا أسد مش تقولنا طيب رايح على فين كده وماشي ولا كإننا واقفين!!

قالت ريم له:

- وانت مين يلا!! إنت هتصاحبني بروح أمك؟!

ذهلوا جميعاً ورفع الأخير يده يهيم بضربها وهو يقول لها:

- روح امي!! روح ام مين يا بنت ال..

لم يكمل جملته فقد كان رد فعل ريم مخالفا لكل توقعاتهم فقد سحبت من فمها شفرة موسى بحركة سريعة جداً تدل على تمرسها وقامت بجذسه في رقبتة فبهت ووضع يده على مكان الجرح ونظر للدماء في يده وقبل أن يقبل الآخرون كانت ريم قد قفزت على سطح السيارة المجاورة لها بخفة ورشاقة وهي تقول بأعلى صوتها:

- جرى إيه يا ولاد المرة!! مين فيكم تاني يحب يتعلم عليه!!

قبل أن يستوعبوا ما تفعله تلك الفتاة العجيبة كانت معظم نوافذ البيوت حولهم قد فتحت وخرج منها السكان على صوتها العالي وصفارات

الإنذار الصادرة من السيارة التي تقف عليها وامتلاً الشارع في لحظات.. ارتبك الفتية من تجمع السكان ورمى أحدهم سيجارة الحشيش من يده بعيداً دون أن يلحظه أحد واستغرب الناس المشهد فالفتيان يحيطون بالسيارة وريم فوقها وبدأوا يتساءلون عما يحدث فقالت هي بأعلى صوتها:

- العيال دي قطعت عليا الطريق وأنا ساكنة في البيت ده.

وأشارت إلى عمارة أمامهم التي خرج منها رجل كبير في السن مجلباب النوم ودخل سريعاً في وسط الناس ليزيحهم من طريقه حتى وصل عند السيارة قائلاً:

- فيه إيه يا بنتي؟ حصل إيه؟؟

- العيال دي يا عم حمدي حاولوا يتجهجوا عليا أدار حمدي رأسه فوجدهم يحاولون الهرب ببطء فأمسك بهم الناس وكان منهم اثنان يعرفونهم فهم يسكنون هنا ويعملون في ورشة لتصليح السيارات نهاراً وكسائقين للتكاتك ليلاً والآخرا من خارج المنطقة فقال الذي جرح في رقبته محاولاً الدفاع عن نفسه أمام الناس:

- يرضيك يا عم حمدي أتعور في رقبتى كده!!

نظرت إليه ريم بعد أن نزلت من على سطح السيارة وقالت وهي مبتسمة بسخرية:

- ده جرح صغير ما تخافش مش هيحصلك حاجة حط عليه شوية ميكروكروم هتبقى كويس يا حبيبي

أدار الشاب نظره نحو حمدي مرة أخرى وقال له وهو يستشيط غيظاً:

- يعني انت يرضيك أتهزق كده يا عم حمدي؟؟

فقال له حمدي بلهجة صارمة:

- ما انت الي عملت كده في نفسك يعني قاعدين بتتهبوا بتحششوا
وبتتهجموا عليها!! ده بدل ما تتنيلوا على عنيككم تاخدوا بالكم من
الناس الي ساكنين هنا وتحرسوهم وكمان جايين عيال من بره المنطقة
تفرجوهم علينا!!

- ما كناش نعرف إنها من هنا يا عم حمدي

- بس بقى يلا اخرس خالص ما اسمعش حسك

أطبق الفتى فمه وهو يكاد يموت غيظًا ويمسح الدماء عن رقبته ويأقته
وكفته.. أدار حمدي وجهه للجميع فيبدو أن له كلمة والجميع يحترمه هنا:

- يلا كله يروح لحاله خلاص المولد انفض

انصرف الجميع وهم ينظرون لريم بكل دهشة وخاصة النساء اللواتي
تجمعن في النواذ ونظراتهن لها خليط ما بين الاستعجاب والإعجاب
والاستنكار... اختلطت مشاعرهم تجاهها فهم لا يستوعبون مظهرها
وملابسها وفي نفس الوقت مبهورون بدفاعها عن نفسها القوي وثقتها في
نفسها... وجه حمدي كلامه لريم:

- يلا يا بنتي اطلعي شقتك... أنا آسف لك ما حدش هيتعرض لك تاني...

بعد أن انصرفت نظر حمدي للفتى وأعطاه منديلا وأمسك بذقنه
ونظر للجرح عن قرب ثم تركه قائلاً له بتهكم

- ابقى حظ ميكروكروم... جتك خيبة في خيبتك...

وانصرف هو أيضًا وهو يهز رأسه يمينًا ويسارًا... ما أن دخلت ريم شقتها وأغلقت الباب وراءها حتى ألقت بنفسها على المرتبة التي تضعها على الأرض بدلًا من السرير... تشعر بالخوف... تمتلئ به وقد تكون وهي بالأسفل أثناء الشجار وتجمع السكان حولها ونظراتهم لها كانت ترتعد من الخوف ولكنها احترفت حبس الخوف بداخلها فلا يظهر عليها سوى الجلد والسخرية فقط.... كم تكره ذلك الشعور وتلك الطفلة التي ما زالت تسكنها رغبةً عنها... تبغض الضعف والانهازم... ذلك الشعور بالخوف الذي ينتابها وهي وحدها يجعلها غاضبة وثائرة... قامت بمد يدها في درج صغير بجانبها وأخرجت سيجارة حشيش قامت بلفها سريعًا محاولة أن تتمالك أعصابها... حمدي صاحب العقار الذي تسكنه يعطف عليها هو وزوجته فقد حكّت لهم عندما جاءتهم تطلب السكن أنها تعيش في الشوارع منذ شهر وليس لها أهل ولا أحد ورغم أن تلك هي الحقيقة إلا أنها استخدمتها لتستجدي عطفهما ليؤجر لها حمدي فليس من السهل أن يقبل تأجير شقته لأنثى تعيش وحدها وهي أيضًا مختلفة في مظهرها وسلوكها عن الشكل العام وخاصة أن المنطقة شعبية ذلك يزيد الأمر صعوبة... رغم حمايته لها وعطفه عليها ومعاملة زوجته لها وكأنها ابنتها إلا أنها تكره ذلك أيضًا فهو يشعرها بضعفها وهي تمقت الضعف والضعفاء... أشعلت السيجارة وأخذت نفسا عميقا ثم أخرجته ببطء... أراحت رأسها للوراء مددة جسدها... كان لا بد أن تقوم بما فعلته فهي تعرف جيدًا أنها ستقابل هؤلاء الفتية في طريق عودتها وتعمدت أن تمشي وحدها حتى البيت في تلك

الساعة المتأخرة حتى تستفزههم وتجبرهم على الاحتكاك بها فتباغتهم هي كما فعلت ليعرف كل سكان المنطقة بأمرها وبطريقتها في التعامل فيتجنبوها ولا يتعرض لها أحد بعد ذلك... اعتادت المواجهات الشديدة والضغوط والظروف العصيبة... كم تكره تلك الحياة بشدة فليس بها شيء يدعو لأن تكملها وعلى الرغم من أنها حاولت الانتحار من قبل مرتين أو ثلاثة إلا أنها لم تنجح في ذلك وكأن الحياة تعاندها والموت يتحاشى بنظره عنها ويرفضها أيضاً!!.... حتى الموت لا يريد لها ولا يقبلها... فوجئت بدموع قليلة تتساقط من عينيها دون أن تشعر.... كم تكره تلك الدموع السخيفة المتخاذلة وتكره تلك الأنثى التي تعيش في رأسها.... قالت ذلك لنفسها وهي تعود بذكرياتها بعيداً... بعيداً لترى نفسها طفلة لم تتجاوز العاشرة من عمرها بعد وتقرب منها أمها تتحسسها وهي تحممها وتغسل جسدها لم تكن تدرك شيئاً بل كانت تحب أمها كثيراً ولم تكن تعرف أنها تتحسس صدرها الصغير وبطنها وشفتيها وعضوها التناسلي.... كانت تظنه من ضمن حنان الأم وتعودت على ذلك.... كانت تشعر مع الوقت بالإثارة ولكنها لا تفهم الشعور ولا تعي معناه ولا معنى تلك الأحاسيس فقط تشعر بها حتى فعلتها أمها يوماً وكانت قد بلغت الثانية عشرة وقتها.... تتذكر ذلك اليوم بوضوح شديد فقد فضت أمها بكارتها بنفسها!!.... بدأت تستوعب الأمر شيئاً فشيئاً بمرور الأيام.... كانت تجد أمها في معظم الأوقات تجلس وحيدة مطفئة كل أنوار البيت تكلم نفسها وتشعر هي بالشفقة عليها فتحضنها ويمارسان الجنس!!.... كانت تحاول منعها من تلك الأقراص التي أدمنتها وسرقت منها أغلب عقلها.... كل مشاعرها تجاه تلك المرأة متناقضة تماماً

فهي لا تعلم حتى الآن هل تحبها أم تكرهها لما فعلته بها... جعلتها تشتهي النساء... وعندما وصلت للسابعة عشرة استيقظت يوما لتجد أن أمها قد انتحرت تاركة لها رسالة مقتضبة جدا (ساحيني)... لم تذرف دمعة واحدة بل كان قلبها فقط هو الذي يبكي بعد أن أنهت كل إجراءات الدفن للممت وحدها كل أغراضها وغادرت بيتها ولم تعد مرة أخرى منذ تسعة عشر عاما... بل تركت ذلك البلد الأوروبي بأكمله وسافرت إلى مصر لتذهب إلى أبيها... تعرف أنه ثري ويعيش في حي راق وقد يحتويها... ذهبت إليه تبحث عن الأمان فقد كانت تسمع أمها في الأوقات القليلة التي كان يستيقظ فيها عقلها أنها تشبه أباه كثيرا... تتذكر أيضا بكل دقة كيف حاول ذلك الأب التحرش بها وعندما منعه وحاولت المقاومة مفزوعة انهال عليها ضربا بشدة وأخذ يعايرها بمرض أمها ويشبهها بها... وكيف قامت بالانتقام منه بعد ليال طويلة من البكاء والخوف... انتقمتم منه بوضع مخدر له في القهوة وقيدته بإحكام وأدخلت عصا في مؤخرته حتى أصيب بجروح بالغة وذهب للمستشفى وقام بإبلاغ الشرطة وأدخلها السجن لثلاث سنوات وقد خفف الحكم لأن القاضي صدقها ولكن القوانين البشرية لم تكن يوما منصفة... اختلطت الذكريات ببعضها البعض... مشاهد السجن ومسح الحمامات مع غرفة التأديب والانفرادى وعربة الترحيلات والكلبشات في يدها... امتزجت المشاهد ببعضها البعض مع تأثير الحشيش على خلايا عقلها وانطفأ كل شيء مرة واحدة وذهبت في النوم... النوم... الشيء الوحيد الذي يمنع عقلها من التفكير في كل ذلك الكم من القبح....

رحل معظم الناس ولم تتبق سوى منضدة واحدة عليها رجل وامرأة
يتهاامسان وآخر يجلس وحيدا على البار يحتمي آخر كأس وقد انتهت
السهرة ويوم آخر من أيام العمل ولينا قد خرجت من الحمام بعد أن خلعت
عنها فستانها الذي كانت ترتديه وهي تعزف وعادت لملابسها المعتادة...
لبنطالها الجينز والتيشيرت البسيط وعليهما البالطو.... لمحت محمود النادل
العجوز يللم بعض الزجاجات الفارغة ومطفأة سجائر امتلأت عن آخرها
فذهبت إليه وربتت على كتفه قائلة:

- عامل إيه يا عم محمود... مالك النهارده طول اليوم سرحان كده وما
بتعززش معايا ولا مع باقي الاستاف زي عوايدك!!
وضع محمود ما بيده بجانبه وقال لها:

- سميرة تعبانة قوي والمرض زاد عليها... شكلها بتودع يا بنتي
- ما تقولش كده يا عم محمود إن شاء الله هتخف وهترجع أحسن من
الأول كمان...

ابتسم محمود ابتسامة باهتة لمجاملتها قائلا:
- ما حدش بيخف من السرطان يا لينا... أنا مش مضايق من ربنا
بالعكس ده النصيب... أنا بس نفسي لو اعرف أخفف عنها الوجع....
لو أعرف آخذ منها وجعها إن شا الله لو اتوجع أنا بدالها واخليها حتى لو
حتمت ما تموتش وهي بتألم...

سكتت لينا وقاومت دمة تريد الفرار من عينيها ولم ترد أن تزيد من
همومه فقد كانت تحاول أن تشد من أزره.. قامت بتغيير دفة الكلام:

- نرمين عاملة إيه؟
- كويسة الحمد لله أهي تعبانة مع أمها يا عيني... بتحميها وتدي لها الأدوية... إنتي عارفة ظروف شغلي مش مخلياني عارف أساعدها وكل حاجة على دماغها لوحدها لما انظفت هي كمان...
- هكلمها واعي عليها بكرة
- تنوري يا بنتي في أي وقت بس ما لهوش لازمة التعب ده وبعدين ماهوانتي كمان فيكي اللي مكفيكي وعندك شغلك...
- نظرت لها تفها الذي كان يرن وتجاهلته بعد رؤيتها لاسم أمها وأكملت كلامها مع محمود:
- يا عم محمود دي أختي وانت زي أبويا وماما سميرة زي أمي بالظبط طول عمركم حنينين عليا... هروح لها...
- تآنسي وتشرفي يا حبيبتي...
- حملت كمانها واستعدت للمضي مودعة محمود:
- تصبح على خير
- وانتي من أهل الخير
- خرجت من البار لتلمح نظرات الناس المليئة بالشهوة والانتهاكات وهي تنتظر تاكسي ولكن ليس هذا ما كان يزعجها فلقد اعتادته وأصبح جزءاً لا يتجزأ من حياتها للأسف وإنما الذي كان يزعجها هو هاتفها الذي لم يكف عن الرنين دون توقف وهي تنظر لرقم أمها في ضجر ثم ردت على

مضض لتسمع صوتها من الناحية الأخرى تسألها بصوت عال:

- إنتي فيين؟؟

- هكون فين يعني!! لسه مخلصه وواقفة مستنية تاكسي

- ما بتروديش ليه على التلفون ع الطول!!!

- معلش كنت بتكلم مع حد بس

- حد مين؟؟

قالت وهي تتحكم في أعصابها وتتجاهل سيارتين يحاولان إقناعها بالركوب:

- حد معايا في الشغل يا ماما

لمحت تاكسي قادمًا من بعيد فقامت بتثبيت الهاتف على أذنها بكتفها لتشير له ويدها الأخرى تحمل الكمان... توقف التاكسي وفحصها السائق من رأسها لقدمها وهي تخبره بوجهتها فأشار لها أن تركب وهو متمللا فهو يؤمن تماما أن فتاة تشير له الساعة الثالثة صباحا ليس لها سوى معنى واحد في مجتمعنا إنها عاهرة وأيضا ما تحمله يبدو أنه آلة موسيقية فاكتفى بأن يشيح بوجهه وهو يتمتم بصوت واضح (أستغفر الله العظيم) أدار المذياع فور تحركه على إذاعة القرآن الكريم علها تحميه من وجود كل تلك الموبقات في سيارته فتاة ليل وموسيقى!!!

- أنا ركبت يا ماما وفي الطريق

قالت لها لينا ذلك في محاولة لإنهاء المكالمة ولم تكن تسمع نصف

كلامها بل إنها تعمدت إنهاء المكالمة معها سريعاً فهي تدرك جيداً أنها ليست قلقة عليها بل كل ما يهملها الأموال فاليوم هو ميعاد القبض فقط لا غير ولكنها لا بد أن تضيف حول هذا الغرض بعضاً من المشاهد والكلمات الخاصة بالأمومة من وجهة نظرها حفاظاً على ماء الوجه وكأن دور الأم هو فقط في أن تسأل ابنتها أين كانت ولماذا تأخرت وكأن الأمومة انحصرت فقط في الاتهام والشك!!!... نظر لها السائق نظرة في المرأة كلها اشمئزاز وهو يقول لنفسه (كمان بتكلم أمها بقلة أدب أعوذ بالله)

وخرج من فمه استغفار آخر وهو يلقي نظرة قصيرة على صدرها ثم يشيح بوجهه مرة أخرى وتجاهلت لينا كل هذا ونظرت إلى العداد فوجدته مطفأ فسألته:

- إنت مش مشغل العداد ليه يا اسطى؟

قال لها متململاً دون أن ينظر إليها ليغض بصره:

- مش شغال والله يا أبله عطلان

تعرف جيداً أنه يكذب رغم المظهر الديني واستغفاره كلما نظر لها والقرآن الذي يسمعه فأصرت أن تحدده وتخرجه قائلة:

- طب إحنا هنعدى على لجنة في طريقنا خلي بالك والظابط الى بيوقف فيها

رخم قوي أنا عارفاه كويس بيوقف التاكسيات وبيبص ع العداد ولو شاف العداد بتاعك مش شغال هيعمل لك مشكلة وأنا مرضلاكش الأذى فقلت أنبهك بس
توتر قليلاً ونظر لها ناسياً الاستغفار والفتنة قائلاً:

- بجد؟ عملوها إمتى اللجنة دي أنا لسه معدي من هنا من يومين ما
كانش فيه لجنة ولا حاجة؟!!

- إمبارح كانت واقفة هي عمومًا مش شرط تبقى موجودة كل يوم فاحنا
وحظنا بقى... لو تحب أنا ممكن أنزل هنا واركب تاكسي تاني عداده شغال...
- لا يا بنتي أنا هشغل العداد بس أصله ما بيحبش همه وانتي عارفة
الدنيا غليت والجوليل وأنا هرجع فاضي فلوتراضيوني انتي بقى يبقى كتر خيرك...
نظرت له بسخرية وقالت:

- هزودلك عشرين جنيه علشان الوقت متأخر
تهللت أساريه وقام بتشغيل العداد ثم أخذ يستمع للقرآن ويردد معه الآية
التي يبدو أنه يحفظها عن ظهر قلب ولكنه لم يفهمها يوما (نسوا الله فأنسيهم إن
المنافقين هم الفاسقون)!!.... ما أن وضعت مفاتها في باب الشقة ودخلت حتى
وجدت أمها جالسة في انتظارها مشعلة سيجارة تقول لها بتهكم وعصبية:

- حمد لله ع السلامة يا فنانة.. إنتى بتقفلي السكة في وشي؟!!
نظرت لها لينا نظرة كلها غضب وسخط قائلة:
التليفون قطع شحن أنا مقفلتش السكة في وشك وبعدين هو في إيه
مش فاهمة؟ إيه قلقانة عليا ولا إيه؟!!
قالت لها أمها بصوت عال وحدة

- وما اقلقش ليه يا روح امك إيه؟ كبرتي عليا ولا إيه يا بت؟!!
أخرجت لينا من حقيبة الكمان نصف القبض ووضعتة أمامها على
المنضدة قائلة وهي متوجهة نحو غرفتها:

- لأ ما انا عارفة إنك أكيد قلقتي..

- قصدك إيه يا بت انتي؟ مش فاهمة انتي بتتريقي؟

- لا ولا بتريق ولا حاجة

ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وراءها دون أن تسمع أمها وهي تمسك بالأموال لتعدها وهي تقول:

- أما بت قليلة الحيا صحيح!!

جلست لينا على طرف سريرها بعد أن وضعت كمانها ومعطفها على كرسي بجوارها وأمسكت برأسها وأغمضت عينيها... أخيرا غرفتها المكان الوحيد في العالم وفي هذا البيت الذي تشعر فيه أنها بحريتها وتشعر بالهدوء دون كل هذا الإزعاج النفسي والعصبي وكل تلك الضغوط... النظرات التي تشبه الأنياب في كل مكان ونظرات أمها التي تمتلئ بالكذب والنفاق والتي لا تختلف عن نظرات كثير من الزبائن الذين يسهرون في أماكن عملها ونظرات المتعهدين وأصحاب أماكن العمل... الكل يكذب وينافق... كل هذا الضجر والحمل لا ترتاح منه سوى في تلك الساعات القليلة التي تقضيها وحدها في غرفتها... لتسرح بعقلها في المستقبل وتحلم بيوم تتخلص فيه من كل تلك الهموم وتحاول البحث عن حلول لا تفعل منها شيئا في نهاية التفكير... تشعر بأنها في سجن صغير داخل بيتها وما أن تخرج منه لتشعر أنها في سجن أكبر داخل عيون الناس وعقولهم المريضة في الطرقات والمواصلات والمحلات وأماكن العمل... ترى ما الحل وأين المفر؟!.... تشعر وكأن هناك جبلاً على صدرها وضيقاً في التنفس وأن هناك حبلاً يلتف حول رقبتها وتتباطأ أنفاسها وتختنق فعليا... مدت يدها

لتأخذ قرصًا من دواء كان قد كتبه لها الطبيب لتأخذ منه قرصًا في وقت اللزوم وليهدئها ويساعدها على النوم... هذا الدواء على الأقل كثيرا ما يفعل معها ما لا يفعله البشر... يشفيها من الاختناق...

دخل نادر من باب شقته ثم دار بنظره حوله... لا يوجد أحد بالمنزل... تحرك نحو غرفة والده وحاول أن يفتحها فوجدها مغلقة... إن هذا اليوم هو الذي يقبض فيه والده معاشه فيأتي هو في نفس الموعد من كل شهر ليأخذ منه نصف المبلغ... ما زال اليوم في بدايته ولم يأخذ كفايته من الهيروين فقط تعاطى قرصين من برشام مخدر لكي لا يشعر بالآلام الانسحاب وكذلك رشا فأخذها معه وتركها أمام العمارة تنتظره حتى يأخذ الأموال من والده ليستطيعا شراء الهيروين... يبدو أن أباه لم يأت من مشوار القبض بعد... يتحرك نادر ببطء داخل الشقة التي تركها منذ سنين ويعيش هو ورشا في شقة أخرى استأجراها... يشعر بغصة في حلقه وينقبض قلبه كلما جاء هنا... كل ذكرياته في ذلك المكان بغیضة ومؤلمة... شجاره الدائم مع أبيه وموت أمه المفاجئ وقد كانت المصدر الوحيد للحب في حياته... سقوطه في براثن الهيروين... وجه والده الذي طالما كان يراه قبيحا... شيء واحد الذي توقف عنده قليلا... نافذة غرفته التي كانت تطل على نافذة لينا... كم قضى بجوار تلك النافذة أياما عديدة يراقبها ويرسمها على لوحاته وهي تمشط شعرها وهي تعزف على كمانها... سمع صوت المفتاح يدور في باب الشقة فخرج من غرفته ليرى أمامه والده... كم يتغير شكله كل شهر عن الشهر الذي قبله... يزيد سنه بشكل ملحوظ وقد كسا البياض معظم شعره... ارتجف والده قليلا فور

رؤيته وملأت عينيه نظرات الخوف... لم يعد ذلك الأب القاسي فقد قصمت ظهره الهموم والضغوط وإهانات ولده له وحزنه الشديد لما آل إليه مصير نادر وإحساسه بالذنب وتأنيب الضمير قد كبر في تلك التجربة أضعاف عمره... لم يكن يتصور أنه سيصل في يوم من الأيام إلى أن يخاف من ابنه أو أن يكون بهذا الضعف.... تمالك نفسه بصعوبة وقال لنادر وهو يبتلع ريقه:

- دقيقة بالظبط وهدى لك الفلوس أنا عارف إنك تعبان وعازب تضرب...

فتح الأب باب غرفته بالمفتاح ودخل إليها سريعا ليغلقها بالمفتاح مرة أخرى وتابعه نادر في صمت وأشعل سيجارة.... أحيانا يشعر بالشفقة عليه ولكن هناك مارداً يسكن بداخله ما أن يأتيه هذا الشعور حتى يثور المارد ويقبض عليه بكفه من قلبه ويصرخ فيه وهو يعتصر قلبه ويذكره بكل ما مضى إن هذا الرجل لا يستحق الشفقة ويخبره أن آلام الانسحاب قاربت على الظهور وسيزول مفعول البرشام ولا بد أن يحصل على الأموال لشراء الهيروين.... كل شهر لا بد أن يمر بهذا الصراع في نفس المكان وينحسم الصراع لصالح المارد وينصاع نادر لأوامره فوراً... خرج الأب مرة أخرى وأغلق الباب وراءه بالمفتاح واقترب من نادر في حذر ثم مديده إليه بالأموال قائلاً:

- نص المعاش بالظبط زي كل مرة...

نظر له نادر بحدة بعد أن أخذهم منه وعدهم وقال والسيجارة في فمه:

- عايز ٢٠٠ جنيه كمان

اتسعت عينا الأب وارتجف صوته وهو يقول

- بس يا ابني..

قاطع نادر بقسوة:

- من غير بس وقلت لك قبل كده ما تقوليش يا ابني دي وانجز

علشان مستعجل..

وضع الأب يده في جيبه وأخرج باقي الأموال ليعطيه مائتي جنيه
وخطف نادر كل ما في يده من أموال فجأة ففزع الأب وشهق وهو يتحرك
وراءه قائلًا بلوعة:

- يا نادر... بلاش أبوس إيديك يا ابني.... أنا ما معايش غيرهم... طب

هاكل واشرب منين بس؟

تعلق بظهره إلا أن نادر أزاحه بعنف فسقط الأب أرضاً متأوها... توقف
نادر وهو ينظر إليه وعقله من الداخل يمتلئ بإزعاج شديد من الأفكار التي
أغلبها قسوة ولكن جسده تسمر وهو يرى أباه يسقط ويتوجع... اقترب منه نادر
في تردد وأعاناه على القيام فتعلق الأب بذراعه وكأنه يتعلق ببقايا ابنه الساكن
بداخل هذا الوحش وما أن أجلسه نادر على أقرب كرسي حتى أزاح يده عن
ذراعه سريعاً ثم أخذ مائتي جنيه وأعاد له باقي أمواله مرة أخرى وتوقف لحظات
وأبوه ينظر له بنظرات كلها حزن وعطف وكل معاني الحيرة واللهفة إلا أن نادر
أشاح بوجهه بضيق ثم خرج من الشقة مغلقاً الباب وراءه بقوة... خرج من
العمارة ليجد رشا جالسة على سور قريب وقامت من مجلسها فور رؤيته قائلة:

- كل ده تأخير يا نادر!! إيه النظام أنا جسمي فضي وبدأت أتعب...
- أخرج هاتفه من جيبه وهو يقول لها:
- كله تمام
- مالك؟
- مفيش
- رد عليه رقم تاجرة الهيروين فقال:
- صباح الفل يا امه... إيه فينك يا ست الكل؟... الحاجة هي هي بتاعة
- امبارح؟؟... طيب أنا مسافة السكة واكون عندك....
- أنهى الاتصال ونظر نظرة أخيرة وراءه نحو شرفة شقتهم فرأى والده
- واقفاً ينظر له من فوق فأشاح بوجهه وأمسك بيد رشا قائلاً:
- يلا بينا نمشي من هنا...

* * *

ركن الرائد سامح زيدان سيارته السوداء الحديثة المهيبة وزجاجها المغطى
 بكلمة بالفاميه الأسود كشخصيته ونزل منها وتحرك في اتجاه ذلك المبنى داخل
 مقر من مقرات أمن الدولة وانتبه العساكر الواقفون على باب المبنى فور رؤيته
 وألقى الجميع بالتحية العسكرية وخلع هو نظارته الشمسية ومشى في ردهات
 المبنى بخط ثابتة حتى وصل إلى المصعد وصعد إلى الدور الثالث حيث مكتب
 اللواء الفرماوي وفتح له الحارس الواقف بالخارج الباب وهو ينهض مؤدياً
 التحية العسكرية وما أن رأى سامح الفرماوي جالسا على الأريكة بجوار
 مكتبه يتفحص بعض الأوراق حتى أدى التحية العسكرية بدوره قائلاً:

- صباح الفل يا باشا

نظر له الفرماوي وقال:

صباح الفل يا سامح تعالى

جلس سامح بجواره ووضع نظارته ومفاتيحه على المنضدة وأشعل
سيجارة ثم قال:

- أخبار معاليك إيه يا باشا؟

- تمام قولي إنت إيه الأخبار؟

- كله تمام سعادتك... عمر تحت عينينا خطوة بخطوة وواضح إنه فعلا
بيخطط لحاجة زي ما سعادتك قلت بالظبط يا فندم

- عمر ده مش سهل أبدا يا سامح خلي بالك... متدرب كويس قوي
وذي لازم نبقي دائما سابقينه بخطوتين ع الأقل لحد ما نعرف هو بيعمل إيه
في مصر بالظبط

معلش يا باشا ساحني في السؤال يعني بس أنا مش فاهم ليه ما نقبضش
عليه ع لطول ونستجوبه هنا ونفهم بطريقتنا بدل اللفة دي كلها؟؟

- غلط... لما يحس إنه حر نعرف أكثر هو بيعمل إيه بالظبط أسهل ما
نقبض عليه ونعرف هيقابل مين...

- تمام يا باشا

نهض الفرماوي من مجلسه إيذانا بإنهاء المقابلة فقام سامح واقفا
ململما أشياءه وقال:

- أي أوامر تاني سعادتك؟

صمت الفرماوي قليلاً ثم أشعل سيجارة وجلس وراء مكتبه لينظر
لسامح قائلاً:

- إنت عارف طبعاً أنا اخترتك انت بالذات تمسك القضية دي ليه؟...
ليه اخترت سامح زيدان... ومتأكد إن اختياري صح وإنك مش هتقصر
رقبتي... إنت من أكفأ الطبباط في الإدارة هنا

ابتسم سامح في زهو قائلاً:

- تلاميذ سعادتك يا باشا

أوما الفرماوي برأسه مطمئناً ثم قال:

- مع السلامة

أدى سامح التحية العسكرية وانصرف مغلقاً الباب وراءه... فتح الفرماوي
ملفّاً أمامه به صورة عمر ثم عاد بجسده للوراء ليأخذ نفساً عميقاً من سيجارته
وينفث الدخان في وجه الصورة وأمسك بهاتفه ليتصل برقم ما ويقول
أيوه يا باشا... كله تمام والخطّة ماشيه زي ما هي... تمام يا فندم تمام...
اتفضل سيادتكم... أنهى الاتصال ثم نهض من مكانه لينظر من نافذة مكتبه
إلى سامح وهو يركب سيارته أسفل المبنى وينطلق بها منصرفاً...

نزلت لينا من التاكسي على أول الشارع الذي يسكن به محمود أعطت
السائق حسابه وتحركت تجاه العمارة وصعدت لتصل لباب الشقة وقامت
برن الجرس لحظات ثم فتحت لها (نرمين) ابنة محمود الوحيدة وأشرقت
ابتسامتها فور رؤيتها للينا وأخذتها في حضنها قائلة:

- وحشتيني قوي يا لينا تعالي خشي
دلفت لينا إلى داخل الشقة وتوجهت لغرفة المعيشة وجلست بجانبها
نرمين لتقول لها:

- عاملة إيه يا حبيتي وحشاني خالص
- الحمد لله يا نرمين وانتي كمان وحشتيني أنا مقصرة معاكي وعارفة إنك
زعلانة مني بس والله ظروف شغلي ودنيتي هي الي معطلاني عن إني أشوفك
ابتسمت نرمين ابتسامة رقيقة قائلة:

- عارفة يا روجي ومقدرة... تشري إيه؟
- ولا أي حاجة هو أنا ضيفة ولا إيه؟... أُمال ماما سميرة فين؟
خفتت ابتسامة نرمين وهي تقول:

- نايمة... التعب زاد عليها قوي بتودع يا لينا
- ربنا يشفيها ويطنكم عليها يا رب

- تشري إيه بقي يلا قولي
- طيب أي حاجة سخنة
- أعمل لك نعناع؟ أنا عارفة إنك بتحبيه
ابتسمت لينا بطيبة قائلة:

- ماشي

قامت نرمين ودارت لينا بعينها في الشقة من حولها لظالما كانت
تلجأ إليها في الأيام التي تشتد فيها صراعاتها مع أمها وتذكر جيداً ذلك

الإحساس بالطمأنينة الذي يأتيها في كل المرات التي جاءت فيها إلى هنا...
شقة متواضعة جدا وأثاثها بسيط ولكنها تبعث فيها الراحة والأمان... دخل
عليها محمود مرحباً بابتسامة واسعة:

- أهلاً أهلاً يا لينا... برضه جيقي وتعبي نفسيك يا حبيبتي
- يا عم محمود ده واجب عليا إنت عارف كويس أنا محب نرمين قد إيه
وماما سميرة ده انتم أهلي

معلش يا بنتي سميرة نايمة لسه واخدة الحقنة بتاعتها والحقنة دي
بتنيمها معظم الوقت علشان تقلل من الوجع... كانت هتبقى مبسوبة قوي
لو شافتك هي كمان بتحبك قوي زي نرمين بالطبط ودايما كانت بتسألني
عليكي وتطمئن على أحوالك..

- ربنا يشفيها يا رب
- ربنا يجبر بخاطرك يا بنتي... أنا لازم أمشي بقى انتي عارفة مواعيد
الشغل البيت بيتك طبعاً مش عايزة مني أي حاجة؟
- ربنا يخليك يا عم محمود مع السلامة

انصرف محمود مودعاً ابنته التي دخلت حاملة صينية عليها النعناع ووضعتها
أمام لينا فشكرتها الأخيرة وجلست نرمين بجانبها وساد الصمت ولينا ترتشف
رشفات بطيئة من النعناع وهي تتابع ملامح نرمين التي تبدلت بشكل ملحوظ
كما قال أبوها فقد فقدت الكثير من الوزن وانتشرت تحت عينيها الهالات السوداء
وتربط شعرها وراء رأسها ويبدو الحزن جلياً في نظرات عينيها فسألتها:
- عاملة إيه يا نرمين؟ طمنيني عليكي

ابتسمت نرمين نصف ابتسامة باهتة وهي تقول:

- زي ما انتي شايقة... عجزت يا لينا

- عجزتي!! يا بنتي انتي أصغر مني بتلات سنين عجزتي إيه واحنا لسه

في العشرينات بس!!

- البني آدم الظاهر ما بيعجزش بالسن... بيعجز باللي بيشوفه في حياته...

- إيه بس فيه إيه مالك؟ احكي لي...

- الناس يا لينا.. الناس وحشة قوي ما حدش بيرحم حد ولو حتى بإنهم

يسيوه في حاله... عارفة... أنا عمري في العمارة هنا من ساعة ما اتولدت ما

قربت من حد قوي دايمًا في حالي وابويا وأمي كمان كانوا دايمًا في حالهم....

ما لناش دعوة مجد ولا بنجيب في سيرة حد ولا حتى نعرف بيعملوا إيه...

إنما هما مش كده... أنا سمعت يا لينا شيمتي بوداني كذا مرة والغمز واللمز

صحيح ما يقولوهاش في وشي بس أنا مش عبيطة... شوفي البت لابسة إيه...

شوفي جاية امتي... شوفي بتعمل إيه!!... وابويا علشان بيشتغل في بار فلازم

بنته هتبقى ماشية على حل شعرها طبعًا... مع إنك شايقة لبسي بقالك سنين

أهو حتى البنطاليل تقريبا ما بلبسهاش قوي وكل لبسي عادي مش ملفت

حتى...

قالت لها لينا بجدة:

- ما انتي حرة تلبسي اللي انتي عايزاه ويولعوا... وانتي تسكتي ليه ما

تخطي صباeck في عين التخين...!!...

- أنا طول عمري ما بحبش المشاكل يا لينا ولا أي ولا ابويا ما بنحبش الدوشة ولا وجع الدماغ أنا لو دست لحد على طرف من غير ما اقصد ما بعرفش أنا...
 - طب وده يعني الي يعمل فيكي كده و يخليكي حزينة بالشكل ده!!!...
 يا بنتي ارمي ورا ضهرك الناس دول ولا ليهم أي لازمة زي قلتهم... في جزمتك... إنما تزعلي نفسك للدرجادي مش معقول!!
 - أنا زعلانة علي ماما أوي كمان وتعبانة معاها..قد إيه إحنا ضعاف أوي البني آدم مننا في لحظة ممكن يبقى أضعف من ورقة...ليه بنعجز؟؟!! وليه بنمرض؟؟!!
 وليه لو هنموت ما نموتش على طول من غير ما نتوجع كده مش فاهمة؟؟!!
 ابتمست لها لينا ابتسامة مشفقة وهي تقول:
 - ماما سميرة هتخف إنشاء الله وهتبقى كويسة بلاش سيرة الموت دي...
 بادلتها نرمين بابتسامة على محاملتها اللطيفة وأكملت لينا:
 - يا نرمين أنا طول عمري بحب أبص لك من كتر ما انتي جميلة مش بس وشك الي جميل وروحك كمان كانت بتنشر الجمال حواليك وضحككتك الحلوة وحشتني... وشعرك الي كنتي على طول سايباه ربطاه ليه كده؟؟... يا كلبة ده أنا دايمًا بحسبك على شعرك ده أُمال أنا أعمل إيه في الليفة الي عندي فوق دي وطالقا أهو على الناس وانتي الي شعرك حرير تلميه كده!!
 ضحككت نرمين ضحكة جميلة وأكملت لينا:
 - فكي شعرك وكبري دماغك من الناس وكلامهم إنتي حلوة وهتفضلي حلوة وهما بس الي بيحقدوا عليك وماما سميرة متهيألي هيتعبها أكثر إنها تشوفك كده ولا إيه؟؟

لم ترد عليها نرمين واكتفت بإيماءة من رأسها وهي مبتسمة ووضعت
لينا كوب النعناع الفارغ على الصينية أمامها وقالت:

- أنا لازم أمشي عندي شغل كمان ساعة على بال ما الحق..

- كان نفسي تقعدني معايا أكثر من كده بس أنا عارفة إن ظروفك
مش مساعدكي ربنا يعينك... ما تغييش عليا يا لينا أنا ما حدش بيسأل
عليا ولا بيزورني غير شيماء بنت خالتي كل فين وفيين..

حضنتها لينا قائلة:

- هجي لك ثاني قريب المهم انتي خلي بالك من نفسك وبوسي لي ماما
لما تصحى ولو احتجتي أي حاجة كلميني على طول أنا أختك..

- عارفة يا حبيبتي ربنا يخليكي يا رب...

أوصلت لينا حتى الباب وودعتها ثم أغلقت الباب وراءها ودخلت غرفتها
لتشعل النور وتقرب من المرأة ببطء لتنظر إلى وجهها وتتحسس ملامحها
وجسدها وتحرر شعرها فينسدل على كتفيها وظهرها وكأنه شلال ماء اندفع فجأة
بعد أن كان حبيسا خلف سد انشق جزء منه... أخذت تمشطه بيدها ونظرت
على صورة قديمة لها معلقة في جانب المرأة... كم تغيرت ملامحها حتى أنها
تتخيل أن لون عينيها نفسه قد تغير!!!... سرحت بخيالها عندما كانت تذهب
إلى المدرسة في المرحلة الثانوية وكيف كان ينظر لها الجميع بانبهار وحسد... كل
الفتيات اللواتي يسكن عمارتها والعمارات المجاورة وزميلاتها في المدرسة
والفتيان الذين كانوا يعاكسونها دوماً من الجيران أو من مدارس البنين المجاورة
وكيف كانت تحمر وجنتها خجلاً... تبدلت ملامحها وهي تتذكر جيرانها وهم

يتهمسون عليها وبالأخص (زينب) جارتهم المنتقبة التي طالما كانت تكرهها وتغير منها ولم تعرف السبب وراء هذا الكره الشديد حتى أنها واجهتها يوما وكانت المرة الوحيدة التي تكلمت فيها معها أو مع غيرها... قالت لها:

- يا زينب احنا عايشين هنا أنا وانتى من ساعة ما اتولدنا عايزة أفهم أنا عملت لك إيه علشان تكرهيني كده وتعامليني بالشكل ده؟!!!

ردت عليها زينب بكل عجرفة وحدة:

- أكرهك!! وهكرهك ليه يا حبيبتي إن شاء الله؟!!! أحلى مني ولا أغنى مني؟! ما تخلي بالك من كلامك كده وبصي على نفسك شوية أما بلاوي صحيح!!....

تأثرت كثيرا من ردودها المؤلمة عليها خصوصا بعد أن تزوجت جارهـم الثري (عبد الله) الملتزم وانتقبت بعدها وأصبحت ثرية مثله وكان عبد الله يتمنى لو يتزوج منها ولكنها لم تكن تريد الزواج ورفضت فقال بكل قسوة هو الآخر إنه اختيار أفضل على كل حال فلم يكن شيء مشرف له أن يناسب نادلاً يعمل في بار ويعيش في الحرام وجرحها جرحا بالغا رغم أنها رفضت عرضه بكل حرص على أن لا تجرح مشاعره ولكنه ذبحها بكلماته دون أي هوادة... كانت تتمنى لو تزيح تلك المشاعر القبيحة من قلوبهم ولكنها لم تتمكن من ذلك... كان القبح أقوى منها بكثير للأسف وكانت تعرف جيدا أن زينب هي أكثر من يطلق عليها الشائعات ويخوض في عرضها... قاطع أفكارها صوت أمها تنادي عليها بصوت واهن فلملمت شعرها مرة أخرى سريعا وهي تجيبها

- أيوه يا ماما جايا لك حالا يا حبيبتي

جلست ريم هادئة تتجول بعينيها في المكتب الأنيق والصور المعلقة على الجدران لشهادات تقدير في مجال كمال الأجسام والجيمايزيوم وفتح الباب بجانبها ليدخل منه شاب يبدو من الشعر الأبيض الخفيف في رأسه والتجاعيد القليلة بجوار عينيه أنه في منتصف الأربعينات ويبدو من العضلات الواضحة في جسده أسفل الملابس الرياضية التي يرتديها والكرش الصغير أنه كان رياضيا في يوم من الأيام.... كان واضحا لها من اللحظة الأولى التي نظر لها فيها أنه صدم من مظهرها كالعادة فكل من يراها يحدث له نفس التأثير بسبب كم الوشوم على جسدها وجمالها الزائد ولكنه أخفى ذلك سريعا وابتسم ومد يده ليصافحها معرفا نفسه:

- كابتن هشام صاحب الجيم

ثم جلس أمامها ولم يجلس وراء المكتب مكملا:

- إيه الأخبار؟

- كويسة

- اشتغلتني في جيم قبل كده؟

- لأ

- طب اشتغلتني فين قبل كده؟

- في مجال الدعاية والإعلان

لم يلاحظ أنها تكذب وخاصة أنها كانت محترفة في الكذب فلا يظهر على عينيها ولا ترف كثيرا ولا يظهر أي توتر في جلستها بل ظلت هادئة تماما ثم أكملت بكل ثقة:

- في كذا شركة لمدة سبع سنين
- وقبل السبع سنين؟
- كنت بدرس
- فين؟
- درست أدب إنجليزي بس في إنجلترا مش في مصر... أنا كنت عايشة هناك وما كملتش دراسة...
- أقدر أعرف ليه ما كملتيش؟... براحتك طبعاً لو مش عايزة تجاوبي
- لأ عادي... كان والدي عنده ظروف واضطريت آجي مصر وما عرفتش أكمل... كان لازم أعادل شهادتي وأطلع شوية ورق وروتين كثير كده فقلت أشتغل أحسن علشان أساعده...
- نظر لها للحظات ملياً ثم قال:
- طيب خيلنا نجرب أسبوع مدفوع الأجر بس لحد ما نقيم شغلك بعد الأسبوع ده... هيكون معاكي (سوزي) معظم الوقت هي المسؤلة عن الاستقبال هتعلمك ولو احتجتي أي حاجة أسألها هتساعدك....
- قالها وهو يرن جرساً في المكتب بجواره لحظات ودخلت سوزي من الباب فنظر لها هشام ثم أشار إلى ريم قائلاً:
- ريم هتشتغل معنا في الريسبشن عايزك تساعدنا وتعلمها يا سوزي بعد إذنك...
- ابتسمت ابتسامة رسمية لريم ثم قالت لها:

- تحبي تبتي من إمتي؟؟

- من دلوقت لو ينفع

- طب يلا بينا

قامت ريم وصافت هشام شاكرة إياه ثم خرجت مع سوزي ومشيت بجوارها حتى وصلا لسلام فنزلا من عليها وأشارت سوزي في كل دور للغرف لتعرفها على المكان وتشرح لها تفاصيله... حتى وصلا للدور الأرضي حيث سيكون مكان عملها... كانت ريم تستمع لسوزي وهي تشرح لها بعض الأمور عن مكان وقوفها وأماكن الاستراحة والهواتف والكافيتيريا بينما كان عقلها يفكر في الكثير من الأسئلة... هل سيقبلونها حقا كما يظهرون؟؟ هل ستستمر في ذلك العمل؟؟

أم هل سينتهي سريعا كما هو المعتاد دوما؟؟

هل ستنجح في شيء وتكمله لآخره؟؟ أم هل ستفشل ولن تحتل الاستمرار؟ الكثير من الأسئلة خرجت من التفكير فيها على سؤال من سوزي:

- ها... لميتي شوية حاجات؟ أنا عارفة إنك واحدة واحدة هتحفظي

مش من أول مرة بس الحكاية سهلة خالص ما تقلقيش..

- أنا مش قلقانة

- متأكدة؟

نظرت لها ريم نظرة ثابتة لعينيها قائلة:

- هو باين عليا إني قلقانة؟

ابتسمت سوزي ابتسامة هادئة وهي تقول:

- مش لازم بيان

ظلت ريم تنظر لها طويلا وهي تتساءل بداخلها كيف شعرت بقلقها!! هي تعرف جيدا كيف تخفي أحاسيسها ومتأكدة تماما أن كل ما يدور بداخلها لن يظهر على وجهها ولكنها أنهت كل تفكيرها بأن ما حدث مجرد صدفة لا تعني شيئا... صافحت سوزي على أن تأتي غدا في ميعاد العمل المتفق عليه وخرجت لإيقاف تاكسي وسط كل النظرات التي تحلق فيها بفضول وشهوة حتى أن معظم سائقي السيارات وراكبي المواصلات رغم أنهم يتخطونها إلا أن رؤوسهم تدور للخلف وعبونهم متابعتها... أشارت لتاكسي فتوقف ونظر لها بابتسامة لزجة كبيرة فبالأكيد ظن أن هناك أملاً كبيراً في أن هذا اليوم قد يكون يوم سعه بهذه التوصيلة وهذه الفتاة التي لا شك أنها أجنبية بشكلها المختلف ولون الشعر والوشوم وعندما قالت له على وجهتها كانت أول مفاجأة له أنها مصرية والمفاجأة الثانية كانت اسم المكان!! فتلك المنطقة لا تتناسب مع شكلها تماما أما المفاجأة الثالثة عندما فتحت الباب المجاور له وجلست بجانبه على خلاف كل من يركب معه من النساء!! لم يكن ليوافق أبداً على أن يقل أحدا لتلك المنطقة الشعبية جدا لولا أنها فتاة جميلة ومثيرة إذن فلتذهب كل المبادئ إلى الجحيم فوراً... ظل يفكر لدقائق في تصرفها العجيب واختيارها للمقعد المجاور له وهل تلك إشارة منها لكي تبلغه بشكل غير مباشر أنها أعجبت به؟؟ أم ماذا؟؟ وتأكدت

ظنونه المريضة عندما أخرجت علبة سجائر قائلة له وقد تحولت طريقتهما في الكلام عن طريقتهما داخل الجيم تماما:

- سجارة يا اسطى

أخذ منها السيجارة قائلا:

- ماشي... صباحك فل يا عسل

- صباحك قشطة... طبعاً إنت لو أي حد وقفك وقال لك ع المنطقة اللي

أنا رايحها دي عمرك ما هتوديه... إنما طبعاً إنت وافقت علشان أنا ست

ارتبك قليلا من تلك المواجهة لما يدور بداخله فرد قائلا:

- لأ مش الفكرة يعني بس المنطقة أصلها شوارعها متبهدة والعربية

بتبوظ إنما مش هسيب ست لوحدها في الشارع برضه عيب مش رجولة

ولا إيه يا عسل؟

ضحكت بصوت عال على كذبه قائلة:

- طبعاً ما انا واخدة بالي... لأ مدام كده بقى التوصيلة عليك

ضحك قائلا:

- خلي عنك خالص والله

- الله يكرمك... تعيش

- بس ممكن سؤال لو ما تأخذينيش فيه

أومأت له برأسها أن يسأل وهي تنظر في هاتفها:

- إنتي رايحة هناك تعلمي إيه؟ معلش أصل يعني شكلك مش... إنتي

فاهمة قصدي طبعاً

ردت دون أن تنظر له:

- فاهمة آه... أنا مأجرة شقة هناك

اتسعت عيناه ونظر لها مندهشا:

- مأجرة هناك!! إزاي يعني؟

- ما تقلقش يا اسطى أول ما سكنت أخذت الناس وش وخلص

الكلام

بدأ يشعر بأنها ليست كما يظن فطريقة كلامها لا تدل على أنها فتاة سهلة بل لهجتها تشبه لهجته ولهجة أبناء المنطقة الشعبية مما يتنافى في نفس الوقت مع مظهرها وفوجئ بها تنظر له وتسأله:

- إنما انت بقى منين؟

ذكر لها مكان سكنه فسألته مرة أخرى:

- منين من هناك؟

ابتسم في سخرية وهو يقول:

- لو قلت لك أكيد مش هتعرفي فين أصله مكان مش موجود ع

الخريطة يا غسل

أجابت بكل هدوء متجاهلة إجابته:

- من البركة جوه ولا إيه؟؟ شكلك مكسوف تقول

اتسعت عيناه أكثر لدرجة أنه أصبح ينظر لها ليتأكد هل تلك الفتاة حقيقية

أم أنها مجرد تهيوأت من مفعول الحباية التي أعطاها له السمكري اليوم!!!

- إنتي تعرفي البركة منين؟

- تعرف سيدحمو؟

- محمو!! إنتي مباحث ولا إيه!!

ضحكت ثم قالت وهي تنظر له ببطء:

- معرفة قديمة واتمسكنا مع بعض أيام الشقاوة في كلبش واحد ده

واد رجولة وابن بلد

ما أن سمع ما قالتة حتى امتنع عن الكلام وظل نظره مقتصرًا معظم الوقت على الطريق أمامه وتحاشى حتى أن يسرق نظرات لصدرها وفخذيهما كما كان يفعل فالاسم الذي ذكرته هو بلطجي ومسجل دخل السجن أكثر من مرة... ابتسمت ريم في هدوء وهي تعرف تأثير الحوار عليه جيدا ثم أكملت:

- معكش حاجة شعبي بقى حلوة كده لرمضان البرنس ولا حاجة؟؟

ثم أخرجت سيجارة أخرى من علبتها لتعرضها عليه إلا أنه رفض

قائلا:

- لأ متشكر مش قادر والله...

ذهب عمر إلى منطقته القديمة التي تربى فيها وظل ينظر حوله بحنين وهو يتمشى في الشوارع الضيقة ويأتي إلى أذنه صوت عبدالحليم حافظ من مذياع قهوة يغني (ويبدور الزمن بينا يغير لون ليالينا) معظم المحلات

تغيرت ما عدا بعض المحال القليلة التي ظلت كما هي ذهب إلى أحدهم ووقف لحظات... كان يشتري سجائره من هنا عندما كان في المرحلة الثانوية قبل أن يقلع عن التدخين بعد التزامه دينيا ووجد شابا واقفا داخل المحل فاقترب من المحل قائلا له:

- سلامو عليكموا

- وعليكم السلام ورحمة الله

- أُمال فين عم علي؟

نظر له الشاب مليا ثم رد عليه:

- عم علي تعيش انت من ٨ سنين تقريبا... أنا جوز بنته أوُمري...

ظهرت على وجه عمر علامات الحزن وكأن عم علي كان يمثل ذكرياته القديمة فقد كان صديقا لوالده وكان يحب ابنته التي تزوجها هذا الشاب وكانا يلعبان معا وهم أطفال صغار هنا أمام هذا المحل ويأخذون منه الحلوى ويضحكون ضحكات عالية تمتلئ بالبراءة والنقاء ولكن الحياة وظروفها قد غيرت من ملامح الوجوه والقلوب والشوارع أيضا... انتبه من مشاعره قائلا للشاب الذي ظهر بجانبه طفل صغير يتعلق بساقه وينظر نحوه:

- ابنك ده؟

ابتسم الشاب وهو يداعب شعر ابنه قائلا:

- أيوه

- ربنا يخليهولكم أقصد يخليهولك...

- متشكر قوي

- أنا كنت ساكن هنا زمان واتربيت هنا بس كنت مسافر بقالي
سنين طويلة وعم علي كان صاحب أبويا... ربنا يرحمهم

تأثر الشاب قليلا وهو يردد وراءه:

- ربنا يرحمهم... طب اتفضل طيب أجيب لك كرسي

- ربنا يكرمك متشكر

ونظر عمر نحو السجائر فجأة ثم طلب من الشاب علبة فأعطاهها له
الشاب وسأله عمر عن ثمنها إلا أن الشاب رفض تماما أن يأخذ ثمنها وقال:

- عيب ده انت ابن المنطقة زي ما بتقول وده كلام فاضي المفروض

نشريك حاجة ونعمل معاك الواجب

- كتر خيرك أنا متشكر قوي

حياه عمر وابتعد منصرفا ونظر لعلبة السجائر وأخذ يقلبها في يده
نفس النوع الذي كان يدخنه وهو شاب صغير (كيلوباترا) ولكن شكل
العلبة تغير... لا يعرف لماذا اشتراها هل اجتازا لذكرياته أم يريد العودة
للتدخين أم اعتراضا وتمردا على ما بداخله وعلى كل ما عاشه خلال العشر
سنين الماضية؟؟.... تردد قليلا ثم فتح العلبة وأخرج سيجارة واستأذن
شخصا من العابرين بجواره في أن يشعلها ثم أخذ نفسا عميقا ونفخه في
الهواء ببطء وأغمض عينيه للحظة... ذلك الدوار الخفيف ونكهة الشياطين
في فمه التي تذكره بكل فترات دراسته الثانوية وأول سيجارة دخنها في

حياته... لحظات ثم فتح عينيه ونظر إلى العمارة التي يقف بجوارها وإلى نافذة غرفة نومه القديمة وترقرقت دموع في عينيه لم تسقط وظهرت في هيئة لمعة في عينيه... انصرف متجها نحو الجامع على ناصية الشارع وأطفأ سيجارته وخلع حذاءه ودلف إلى الداخل وتلفت حوله فوجد رجلا مسنا يرتدي عباءة ويمسك في يده مسبحة جالسا يسبح فاتجه إليه عمر وجلس بجواره قائلا:

- السلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

- أنا بسأل على حد يا حاج وما اعرفش إذا كنت من السكان القدام هنا ولا لأ بس أنا لما دخلت بصيت حواليا ما لقتش أي حد أعرفه
- والله يا ابني اسأل لو أعرفه هقولك... أنا ساكن هنا بس مش من زمان... أنا شيخ الجامع...

- طب كويس قوي أنا بسأل على شيخ الجامع الي كان قبل منك هنا هو كان أصغر منك شوية وكان اسمه (أبو بكر)
تبدلت ملامح الشيخ وظهر عليه التجهم ثم أمسك بمسبحته وعاود التسبيح وهو يشيح بوجهه عن عمر قائلا:

- ما اعرفهوش كل الي أعرفه عنه إنه مشي من هنا قبل ما احي أسكن هنا وقبل ما أبقى شيخ الجامع

لاحظ عمر علامات العبوس على وجهه فقال:

- واضح يا عم الشيخ إنك تعرفه مش ما تعرفهوش زي ما بتقول... لو تعرف حاجة قولها لي وما تخافش

- أنا ما بخافش غير من اللي خالقني يا ابني وانا ما عرفهوش فعلا كل اللي أعرفه إنه كان هنا قبل ميني وكان ليه نشاط غير الدين غير كده أنا ما اعرفش أنا في حالي وما ليش في السياسة السياسة نجاسة وانا راجل بتاع ربنا وربنا ما يرضاش بالنجاسة...

شعر عمر أنه لا يعرف شيئا حقا أكثر مما قاله فشكره ثم قام وخرج من المسجد ومشى خارجا من المنطقة ثم توقف وقام بالاستدارة حول نفسه فجأة وتوجه نحو الأمين الذي يراقبه وقطع عليه الطريق وأخرج سيجارة من علبته وطلب منه أن يشعلها له وجفل الأمين للحظة من المفاجأة فأخرج من جيبه كبريتا وأشعل لعمر سيجارته والأخير ينظر في عينيه وهو يشعل ثم شكره مبتسما له باستهزاء واستدار منصرفا مرة أخرى وظل الأمين واقفا مكانه ثم أشار بعينييه لأمين آخر بديل ليتحرك وراء عمر ثم رفع هاتفه بعد أن اختفى عمر عن ناظريه وقال:

- أيوه يا سامح باشا إحنا بدلنا... عمر عارف إننا مراقبينه

عبر نادر الشارع المزدحم واضعا يديه في جيوبه ويشعر بالحر الشديد رغم البرودة في منتصف الشتاء ويشعر بأن كل عضلة في جسده تؤله ويتمالك نفسه بصعوبة وكأنه لو ترك نفسه فسينقسم ظهره لنصفين فجأة وقدماه لا تقدران على حمله وأنفه مزكومة تماما وكأنه يعاني من نزلة

برد شديدة والصداع يضغط على رأسه وكأنها ستنفجر في أية لحظة... لمح السيارة التي يبحث عنها واقفة على جانب الطريق فعبر لها سريعا وتلفت حوله واقترب من الزجاج الخلفي وقام باعطاء الأموال للجالسة بالداخل فقامت بدورها بإعطائه ورقتين صغيرتين في يده فكور عليهما قبضته وعاد سريعا ليعبر الشارع بعد أن انطلقت السيارة منصرفة وكانت رشا تنتظره على الناحية الأخرى فأخذها ودخلا شارعا جانبيا هادئا تماما ثم توقف فجأة ونظر حوله وقال لها:

- أنا مش قادر أستنى لما نروح هموت خدي ورقتك اضربها وأمني لي الدنيا على بال ما اضرب أنا..

وقفا بين سيارتين بجانب الشارع وقامت رشا بفتح ورقتها بعد أن أخرجت من جيبها عملة ورقية جديدة وقامت بلفها حول نفسها لتستخدمها في استنشاق ما تحتويه ورقتها من بودة فهي تتعاطى عن طريق الشم وستكون أسرع من نادر لتؤمن له الشارع حتى ينهي ما يفعله قامت بسحب كل ما تحتويه الورقة بأنفها مرة واحدة ثم رفعت رأسها للوراء وقامت برشفهم داخل أنفها مرة أخرى وهي تساعد بيديها وتكتم أنفها وكأنها تتأكد من وصول ما استنشقت له لداخل كل زوايا عقلها ثم أشعلت سيجارة:

- يلا اضرب يا نادر بسرعة أن مأمّنة

وأعطته ظهرها لتنظر حولها وأخرج نادر السرنجة من جيبه ليمزق غلافها بأسنانه وقام بتحضير ما بداخل الورقة في السرنجة بالاستعانة بأنبول طبي من المياه... بدأت رشا تتوتر فجأة وهي تلمح رجلين يخرجان من

عمارة تبعد عنهما بعمارتين ثم خرج رجلان آخران يرتديان الجلابيب من
عمارة أخرى أمامهما ويبدو أنهم بوابون والتفتوا جميعا نحوهما

- نادر فيه ناس خرجوا من العمارات وجايين علينا يلا نمشي
لم يرد نادر فقد كان مشغولا بإنهاء التعاطي والتركيز وهو يدخل سن
السرنجة في ذراعه حتى لا يهرب منه الوريد خصوصا أنه متعب جدا زاد
توتر رشا وهي تقول له بخوف:

- نادر يلا يا نادر الناس داخلين علينا هنروح في داهيه

- استني الحاجة هتبوظ مني

- ارميها ويلا نمشي بسرعة

سمعوا صوت الرجال وهم قادمون وينادون على شخص آخر بصوت جهوري:

- يا عبد الحميد امسك العيال الي عندك قدام العمارة دول

ثم سمعا صوت ضوضاء قادمة من العمارة التي وراءهم تماما فقال
نادر لرشا:

- اجري يا رشا اجري بسرعة

تسمرت مكانها للحظات وهي تنظر إليه وإلى الناس الذين أصبحوا على
مسافة أمتار قليلة منهم فأعاد نادر عليها كلامه بصوت حاسم:

- اهربي يا رشا بقول لك... اهربي ما لكيش دعوة بيا أنا هتصرف

قامت رشا بالجري مبتعدة وكان نادر قد أخرج السرنجة من ذراعه
بعد أن حقنها لنفسه ثم ألقي بها بعيدا دون أن يلحظه الناس وفي نفس

اللحظة فتح باب العمارة ورائه ليخرج منه رجل ممسك بعصا في يده ووصل الآخرون إليه ليمسكوا به من تلايبه ويقوم أولهم بضربه في قدميه بقوة ليسقط أرضاً وهم يقولون:

- إنت مين يلا ويتعمل إيه هنا والبت الي معاك جريت ليه؟؟... إنتم الحرامية الي سرقتموا العربية هنا من يومين صح؟؟... يا ولاد الوسخة... فتحت النوافذ من حوله على الضجيج وفزع نادر وشعر بالخوف يعتصر قلبه وقال وهو يحاول التملص من قبضتهم التي تمسك به من ملابسه بقوة:

- أنا مش حرامي يا اخوانا أنا بودرجي... والله ما حرامي
قال أحدهم:

- وكمان بتشرب بودرة يا ابن الوسخة
وأنهى كلامه وهوى على وجه نادر بصفعة قوية فصرخ باكياً:
- إحنا مش حرامية والله ما سرقنا حاجة

هوى حامل العصا بالعصا على ظهره بقوة وبدأ نادر يحمي رأسه بيديه من الضربات والصفعات والركلات وهو ساقط على الأرض... كانوا يضربونه جميعاً بغل عجيب وكأن كل واحد منهم يخرج ما بداخله من هموم وحزن وتجارب سيئة في حياته على هيئة ضربة لنادر ويقسم نادر أنه قد رأى وسط سيل الضربات عيونهم تلمع وكأنهم سعداء بضربه!! وبدأ يشعر أنه سيموت من الضرب فهم لا يتوقفون حتى ظهر اثنان فجأة ودخلوا بين الناس ليحاولوا منعهم من الاستمرار في ضربه قائلين بصوت عال:

- كفاية كده يا جماعة الواد هيموت في أيديكم

قال أحدهم وهو يوجه ركلة لبطن نادر:
 - دي أشكال وسخة ولازم تتربى ما هي الأشكال دي هي الي جايبانا ورا
 وعلشان نقطع رجله من هنا
 استجمع نادر قواه ليقول وهو يبكي:
 - والله أنا أول مرة آجي هنا
 صفعه أحدهم على وجهه بقوة قائلا:
 - اخرس يلا خالص ما تتكلمش
 ثم قال أحدهم:
 - خلاص يا جماعة كفاية كده إحنا ناخده عالقسم وهما يتصرفوا معاه
 هناك والقسم جنبنا هنا مش بعيد يعني...
 وافقوا جميعا ثم قام أحدهم بتجريده من سترته وقيد بها ذراعيه وراء
 ظهره ومشوا جميعا به وكأنها مظاهرة صغيرة وسط نظرات الناس التي
 تتابعهم مندهشة في الشوارع حتى وصلا إلى باب القسم فقام أمناء المباحث
 باستيقافهم قائلين:
 - فيه إيه... فيه إيه ما له ده عمل إيه؟؟ حرامي
 فردوا عليهم:
 - أيوه حرامي
 فقام الأمناء فور سماعهم بالإمساك بنادر من ملابسه وصفعوه على
 قفاه مرتين بقوة وهم يسحبانه داخل القسم وما أن دخلوا جميعا وأجلس

الأمين نادر على الأرض حتى فتح باب مكتب ليخرج منه ضابط المباحث وكان شابا يبدو في أواخر الثلاثينات طويلا وعريضا وله شارب متناسق اقترب منهم قائلا بصوت جهوري:

- فيه إيه يا ابني انت وهو وإيه الدوشة دي؟؟

ثم نظر لنادر الجالس على الأرض نصف عار وتغطي وجهه الدماء ونظر للأمين قائلا:

- فيه إيه محمد مين ده ومين الناس دي؟

قال أحد البوابين وهو يحاول توجيه ركلة لنادر:

- يا باشا ده واد مسكناه بيشر بودة وكان بيسرق

لم يرد نادر فقد كان يشعر بالإعياء من كثرة الضرب فنظر له الضابط قائلا:

- سرقت إيه يلا؟

قال نادر بصعوبة:

- ما سرقتش حاجة أنا كنت بضرب بس

حاول أحدهم أن يضربه مجددا فأوقفه الضابط مجرم قائلا:

- بس خلاص كفاية وهو سرق إيه علشان نعمل محضر

رد أحدهم:

- لا ما هو ما لحقش يا باشا إحنا مسكناه قبلها واحنا كنا كلناكم

من يومين لما عربية اتسرفت عندنا في الشارع وشكله هو الواد المدمن ده

الي سرقها

- طب خلاص كده سييوهولنا وكل واحد يروح لحاله مش عايز دوشة في القسم ومش عايز أشوف ولا واحد واقف هنا
- فقام الأمناء بدفعهم للخارج
- ثم وجه كلامه للأمين محمد:
- هات لي الواد ده ع المكتب
- انصرف الناس وتوجه الضابط إلى داخل مكتبه ووراء الأمين ممسكا بنادر وجلس الضابط على مكتبه وأشعل سيجارة ثم قال للأمين:
- فك التريطة الي مربطينه بيها دي وسيبه واستنى انت بره
- خرج الأمين تاركا نادر واقفا بصعوبة يترنح من الإعياء ونظر إليه الضابط مليا ثم نهض وبدأ في تفتيشه ليخرج بطاقته وينظر فيها ثم يضعها على المكتب ويكمل تفتيشه فيجد في جيبه غطاء السرنجة وأخذ يفحص ذراعيه لتظهر له آثار الحقن واضحة... أمسك بالبطاقة مرة أخرى واستند على مكتبه ونظر لنادر وهو يسأله:
- كنت بتسرق إيه يا نادر؟
- والله يا باشا ماسرقت حاجة أنا كنت بضرب وهما اتلموا عليا وقعدوا يضربوني لحد ما خدوني على هنا
- نظر الضابط إلى عينيه جيدا وهو يتكلم:
- بتشتغل إيه يلا؟ مكتوب في البطاقة إنك ثانوية عامة
- أنا ما بشتغلش دلوقت بس كنت بشتغل فترة صغيرة رسام قبل كده
- رسام!! إنت هتحوّر بروح امك!!

- لا والله أنا كنت بعمل كده مجد

!!-

نظر الضابط إلى البطاقة مرة أخرى وإلى نادر الذي لمح اسم الضابط على يافطة مكتبه (الرائد وليد عوني) وهو يقول له:

- يعني فنان وشكلك ابن ناس وساكين في حتة كويسة... مبهدل نفسك ليه كده؟؟ إنت مغفل يلا؟؟ تعمل كده في نفسك ليه وتضرب في الشوارع زي الحرامية وتجييب التهزيق لأأمك وابوك!!

صمت نادر فهو لم يجد إجابة واختنق صوته بداخله فقد كان يقول لنفسه هذا الكلام دائماً ولكنه كان يقتل هذا الصوت بأن يزيد من جرعة الهيروين... سألت دموعه من عينيه دون أن يشعر وعاد وليد للجلوس على مكتبه وأشار للكرسي أمام المكتب قائلاً لنادر:

- أقعد

اقترب نادر من الكرسي ببطء وجلس

أخرج وليد سيجارة من علبته وأعطاهها له وألقى بكبريت ناحيته ليشعلها نادر ويده ترتجف ووليد يراقب انفعالاته جيداً ثم قال له:

- بص يا ابني أنا هعمل معاك واجب وهسيبك تمشي بس هكلم لك واحد صاحبي دلوقت هيساعدك في العك اللى انت فيه ده وهسيب لك رقمه تكلمه وتروح له بس لو مرحتلوش وشفتك في الشارع مش هسيبك وما تزعلش مني ساعتها بقى... اتفقنا؟

أوماً نادر برأسه موافقاً والتقط وليد هاتفه ليتصل برقم صاحبه:

- إيه يا وائل عامل إيه... الحمد لله بص يا سيدي أنا هدي رقمك
لشاب كده لو كلمك ابقي خده عندك وظيفه بيضرب بودرة هو... ماشي يا
وئول.. صباح الفل..

أنهى وليد الاتصال وسحب ورقة من أمامه وكتب عليها الرقم وأعطاه
لنادر ثم نادى بصوت عال:

- محممد

دخل الأمين فورا من الباب فقال له وليد:

- فيه حد من الناس اللي جابوه بره لسه؟

- لا يا باشا مشيوا كلهم

- طيب سيه يمشي

أعطى نادر بطاقته الذي نظر إليه قليلا ثم وضع بطاقته في جيبه
وانصرف سريعا من المكتب والقسم

أتمت زينب ملابسها ووقفت أمام مرآة الحمام لتضع بعض اللمسات
الأخيرة من الماكياج على وجهها وتمسح بعضها من أحمر الشفاه الزائد
وتساوى الكحل حول عينيها وتنظر نظرة أخيرة عليهم ثم أسدلت النقاب
على وجهها وتوجهت نحو باب الحمام لتفتحه وتخرج إلى غرفة نومها وتأخذ
حقيبة يدها وفي طريقها للخروج من الشقة تجد زوجها عبد الله الملتحي
مرتديا جلبابا يبدو من شكله وخامته أنه غال يشاهد التلفاز ويطالع بعض
الأوراق... أخرجت مفاتيح السيارة من حقيبتها وهي تسأله:

- مش عايز حاجة يا عبد الله أنا خارجة أقابل أم أيمن
 - طيب ما تتأخريش علشان تذاكري لحبيبة عندها امتحان بكرة
 - حاضر يا حاج... السلام عليكم..
 - وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
 ما أن أغلقت وراءها باب شقتها حتى فتح باب الشقة المجاورة لها
 وخرجت منه نرمين... منذ أن كانوا أطفالا في المدرسة وهي لا تحب نرمين وتغير
 منها فدايما يحبها الناس ويقربون منها ويشترون لها الحلوى على عكسها...
 دوما كانت أجمل وملابسها متواضعة ولكنها أكثر شيافة وأناقة رغم أنهما من
 نفس المستوى المادي وحتى بعد أن تزوجت هي من عبد الله جارهم الثري
 وأصبح معها المال والإمكانيات لم تستطع أن تهزم جاذبيتها اللعينة... تستمتع
 باستفزازها وتكره الشعور بأنها عندما تراها وكأنها تنظر في مرآة من نوع
 خاص تظهرها عارية أمام نفسها... لماذا هي أرق منها ولماذا تخرج تلك الطيبة
 من نظرات عيونها؟؟ تلك النظرات تثير حنقها حتى عندما كانوا ينجذبون
 نحو الأولاد صغارا خارج المدرسة كانت تحجل ولا تتجاوب معهم وكأنها من
 دماء أنقى وكانت لا ترد على أي إهانة توجهها لها ولا تستطيع المقاومة فقط
 تتألم فقد كانت وما زالت ضعيفة وكم تنتشي عندما ترى في عينيها تلك
 النظرة المنكسرة التي تعقب إهانتها لها... تشعر بالراحة عندما تثير حول
 سمعتها الأقاويل مع الجيران يمنحها ذلك إحساسا بأنها أقوى وأنها ليست
 أقل منها وهي تظن أيضا أنها تستحق هذا فلا بد أنها تخفي شيئا ما!! ليست
 بتلك البراءة التي تظهر عليها حتى لو لم تر شيئا بعينيها مما ترويه للناس إلا

أنه بالتأكيد يحدث شيء من هذا القبيل وهل سيربي الأب الذي يعمل في بار إلا فتاة منحرفة!!... ارتاحت لتلك المبررات الكاذبة وابتسمت في خبث وهي ترى نظرة نرمين لها وتردها في أن تخرج أم تعود لشقتها مرة أخرى... تخاف منها بالطبع تخاف فهي الوحيدة التي تعرف حقيقتها وتمزق عنها وجه البراءة المزيف!!... استجمعت نرمين قوتها وأكملت طريقها نحو المصعد ولم تكن تريد أن تختلط بزینب لولا أنها في عجلة من أمرها... قالت لها زینب:

- أهلا يا نرمين يا حبيبتي

- أهلا يا زینب

دخلا إلى المصعد وقالت لها زینب بصوت امتلاً سخرية وشماتة وهي تبلل إصبعها لتمسح لها الهالات السوداء تحت عينيها وتزيح بعض الشعيرات المتساقطة على كتفها:

- إيه ده!! معلش كنت فاكراه كحل سايح تحت عينيكي.. وإيه الشعر الواقع على كتفك ده!! ما لك خسييتي كده ليه ووشك بقى مشفوط خالص وبهتان كده!! تلاقيني يا حبة عيني علشان الست سميرة تعبانة وانتي شائلة الهم فوق راسك لوحذك... معلش يا حبيبتي هي الدنيا كده ما بتثبتش على حال أبداً سبحان الله....

لم تجبها نرمين وأزاحت يدها وكان المصعد قد وصل للأرضي وخرجا منه وأسرعت نرمين تحاول المضي ولكن زینب استوقفتها مرة أخرى وقالت:

- ابقني حطي شوية روج وكحل يا نرمين قبل كده كان وشك حلو وما كنتيش بتحطي حاجة إنما دلوقت وشك ما بقاش حلو وتعبان لازم تحطي

علشان تداري الكلام ده!!... وعموما لو ما عندكيش ابقي عدي عليا أدي لك شوية من عندي

ووضعت يدها في حقيبتها لتخرج حفنة أموال ومدت يدها بهم نحو نرمين مكملة كلامها:

- خدي دول خليفهم معاكي... أنا عارفة إن ظروفكم على قدكم والحمل ثقل... خديهم ما تنكسفيش واهو تشتري شوية فاكهة وانتي راجعة علشان خاطر الست سميرة تتقوت برضه في مرضها ده..

نظرت لها نرمين وإلى يدها وهي تشعر بالقهر والمهانة وقد احمر وجهها من الاختناق والضيق ثم أدارت لها ظهرها وانصرفت مبتعدة كاتمة دموعها في عينيه... أعادت زينب الأموال إلى حقيبتها وهي تمصمص شفيتها قائلة:

- الله!! عجائب والله فقر وعنظرة ع الفاضي... الحق عليا خسارة فيكي

توجهت نحو سيارتها لتركب وما أن أدارت المحرك حتى خرج من المذياع صوت القرآن الكريم فأغلقت المذياع وما أن ابتعدت عن البيت قليلا حتى أمسكت هاتفها لتتصل برقم قائلة:

- أيوه يا روجي... أنا في الطريق عشر دقائق وأكون عندك...

وصلت إلى ذلك المكان الذي لا يبتعد مسافة كبيرة عن منطققتها وركنت سيارتها في شارع جانبي ودخلت عمارة بجوارها ووصلت إلى شقة وطرقت الباب ليفتح لها شاب تهللت أساريره فور رؤيتها وأدخلها مغلقا الباب وراءها وألقت هي بنفسها في أحضانه وتبادلا قبلتين ثم توجهتا إلى

أريكة قريبة وكان على المنضدة طبق صغيرة به بعض التبغ وموسيقى هادئة تنبعث من مكان ما فنظرت له وهي تخطيطه بذراعها وقالت:

- كنت هتلف سيجارة صح؟

- أيوه

- طب يلا بسرعة أحسن أنا نفسي قوي.. أنا هدخل أغير ع لبال ما تخلص..

قبلها من شفتيها قبلة سريعة ولكنه زاد من القبلات واقترب من رقبته فتأوهت بصوت خافت مثير وهي تزيج به يدها برفق ودلال قائلة:

- اهدا لحد ما اغيّر

وضحكت ضحكة صغيرة ثم قامت مسرعة... دقائق لف هو خلالها سيجارة الحشيش وعادت هي مرتدية بيبي دول أسود مثيرًا وجلست بجانبه ليشعل هو السيجارة ثم يناولها لها فأخذت نفسين عميقين وأعادتها له وهي تنظر في عينيه وتبتسم فوضع السيجارة جانبًا وحضنها حضنًا طويلًا ثم انهال عليها بالقبلات واختلطت أصوات تأوهاتهما وأنفاسهم الحارة بصوت الموسيقى القادمة من ورائهم....

ذهبت ريم إلى الجيمانيزيوم في أول يوم للعمل وهي تشعر ببعض التوتر ودقات قلبها أزيد قليلًا من المعتاد وفور أن دخلت ورأت سوزي أمامها حتى ابتسمت لتخفي توترها وأقبلت عليها قائلة:

- في المعاد أهو ما تأخرتش

ابتسمت سوزي بدورها قائلة:

- كويس قوي يلا بينا بقى ورينا الشغل والنشاط

توجهت ريم إلى مكتب الاستقبال وجلست بجانبها سوزي تقوم بالعمل أمامها وترد بنفسها على التليفونات وتستقبل الزائرين لتعلمها بشكل غير مباشر وراقبتها ريم جيدا وتحركت عيناها على تفاصيل جسدها وكانت سوزي تمتلئ بالأنوثة وقوامها جذاب جدا وممشوق وصدرها متوسط الحجم ويثير الخيالات ومتناسق مع طولها وحجمها ومؤخرتها كذلك تماما كما تشتت في النساء وملامح وجهها جميلة رغم أنها تجمع كل ذلك مع الجدية في العمل وفاجأتها سوزي بنظرة في عينيها وكأنها تنظر داخلها وابتسمت ابتسامة مأكرة وهي تقول:

- ركزي في الشغل شوية أنا بعمل كل ده قدامك علشان تراقبيني وتعلمي ردت عليها ريم بنفس الابتسامة المأكرة:

- ما انا مركزة أهو ومراقبة أُمال أنا بعمل إيه.... عاجبني قوي شغلك وتفاصيل شغلك

ضحكت سوزي ضحكة قصيرة ساحرة:

- ما انا واخدة بالي... طيب أنا هقوم أعمل حاجة أشربها جربي تردي انتي على التليفون وحاولي في الخمس دقائق دول تستقبلي أي حد يبجي وما تخافيش أنا جنبك هنا
- مش خايفة

ردت سوزي عليها بابتسامة خطفت عقل ريم ورن جرس الهاتف إلا أن ريم ظلت تنظر إلى ابتسامتها وعينيها دون أن تتحرك وكأنها لم تنتبه لصوت الهاتف فقالت لها سوزي بهدوء:

- التليفون بيرن على فكرة

أدركت ريم فجأة فاحمر وجهها وهي تجذب السماعه في سرعة لتجيب المتصل:

- ألو... بلو جيم تحت أمر حضرتك يا فندم...

هزت سوزي رأسها مطمئنة لردّها وذهبت إلى البوفيه... دخلت ريم إلى شقتها بعد انتهاء أول يوم لها في العمل بهدوء... تشعر بالتعب ولكنها في نفس الوقت سعيدة بعملها الجديد... خلعت عنها حذاءها ودخلت إلى الحمام لتغسل يديها ووجهها ثم عادت إلى الغرفة لتستمع إلى موسيقى بودابار التي تحبها من هاتفها وتمدد جسدها على السرير وتسرح بأفكارها... تعرف جيدا أن سوزي معجبة بها أيضا وتبدو بجانب جمالها الملفت أنها ذكية ولكن لا يجب أن تتعجل في أي شيء فهي ما زالت جديدة في العمل ولا تريد أن تفسد الأمر كله... قد ملت الوحدة وملت التنقل من بيت لبيت فهذه الشقة تعتبر عاشر شقة تؤجرها في حياتها منذ أن جاءت إلى مصر وخرجت من السجن... لا تشعر بالاستقرار بداخلها ولا خارجها... كل علاقاتها العاطفية بالرجال أو بالنساء كانت أغلبها جنسية وليست بالطويلة فهي لا تبحث عن حب أو بالأصح لم تشعر بأي شيء تجاههم جميعا... كانت تستخدمهم لتسعد نفسها وتنتقم منهم في نفس الوقت إما ببعض السادية في الجنس أو بإهانتهم مباشرة بأن تتصيد نقاط ضعفهم وتدهسها بقدميها وتتركهم مباشرة بعد أن تتأكد أنهم تعلقوا بها وأنها ملكت قلوبهم.... كان جزءا منها يستمتع بتحطيم أحاسيسهم وعواطفهم...

صوت تمزق قلوبهم يشبعها... كانت أشبه بمصاصي الدماء تتغذى على المشاعر بدلا من الدماء لتستمر على قيد الحياة... عندما تكون وحدها تشعر وكأن الحب قد تجسد في هيئة شخص يحاول خنقها ليسترد كرامته وأن كل القلوب التي حطمتها تتحول ليلا إلى أشباح تحاصرها وتلتف حول المرتبة التي تنام عليها يحدقون بها محاولين دفعها للجنون انتقاما منها لما فعلته بهم... تصحو من نومها مفزوعة لو نامت وحدها فهم يأتونها عندما تكون وحيدة وفي الساعات المتأخرة من الليل لا تستطيع أن تميز بين الكوابيس والواقع وهل تلك الأشباح تأتيها في نومها أضغاث أحلام أم هي حقيقة وبالفعل واقفون حولها... لا تجد سبيلا للخلاص من كل هذا أو على الأقل من نصف الخوف إلا بالحشيش ونوع من المهدآت اعتادت تعاطيه لتستطيع أن تسكن عقلها ولتتمكن من النوم سريعا دون صراع مع الأرق... لعل سوزي هي هدفها القادم ولكن لدع الوقت يمر لكي تتمكن من اقتناء جسدها وقلبها وإضافتهم لقائمة ضحاياها...

* * *

خرج نادر من باب القسم وعبر إلى الناحية الأخرى من الشارع ليجد رشا تظهر فجأة... كانت تنتظره كل ذلك لكي تعرف مصيره وتابعته من بعيد ولم تتركه واقتربت نحوه بلهفة واحتضنت ذراعه قائلة:

- الحمد لله إنك بخير وسابوك تمشي..

أوماً نادر برأسه دون أن يتسم... راقبت ملامحه المبعثرة وعينيهِ الزائغتين فاستدارت سريعا لتستوقف تاكسي وظلا صامتين طوال الطريق

للبيت... دخل نادر وألقى بجسده على الأريكة وجلست رشا بجواره بعد أن أحضرت البودرة من الداخل وسرنجة وقامت بتحضيرها له وناولته إياها فأمسك بها نادر وتعالى الجرعة ثم ترك السرنجة معلقة في ذراعه وأشعل سيجارة مغمضا عينيه وهدأت معركة المشاعر في عقله فجأة وبدأت رأسه تنخفض شيئا فشيئا حتى لامست ذقنه أول صدره ليغوص في العالم الموازي... ذلك العالم الذي يعيش فيه معظم الوقت... عالم يشبه موج البحر الهادئ الذي يهدد عقله من الداخل ببطء وكأنه جالس على أرجوحة تتأرجح به... عالم يخلو من أي أصوات أو كلام... يخلو من أي أحاسيس... ما أن ينزع السرنجة من ذراعه فلا حب ولا كره ولا فرح ولا حزن ولا ندم ولا ألم ولا مستقبل ولا ماضي ولا حتي حاضر.... فقط سكون تام... فتح عينيه رويدا بعد أن تسلفت إلى أذنيه موسيقى أغنية (King of sorrow) التي تغنيها (Sade).... ذلك الصوت الذي ارتبط بعالمه الموازي... نظر إلى مصدر الصوت ليجد رشا هي من قامت بوضع الشريط من أجله وهي تنظر إليه مبتسمة... قالت:

- صباح الفل... بقالك ربع ساعة مسقط...

نظر إلى ذراعه السرنجة ما زالت معلقة في مكانها فنزعها من ذراعه ووضعها أمامه على المنضدة وقام بامتصاص الدماء من مكانها بفمه ولعقه بلسانه وبحث عن السيجارة التي كانت بيده فوجدها أخذتها منه لتضعها في المطفأة قبل أن تحرق يديه فأشعل واحدة أخرى وعاد بظهوره للوراء وأغمض عينيه مرة أخرى فاتجهت رشا للمقعد المجاور له وقالت:

- إيه طيب!!.. هتفضل ساكت كده!!؟
- فتح عينيه ونظر لها دون أن يتحرك من مكانه ثم قال:
- أقول إيه؟
- أي حاجة... بس ما تسكتش كده!!... اسألني حتى جبت الضرباية اللي انت ضربتها دي منين؟
- لم يهتم نادر بسؤالها بل قال:
- أنا اتهنت قوي يا رشا... قوي...
- ما لك يا نادر مكبر الحكاية قوي ليه كده!! واحنا أول مرة يحصل لنا مواقف شبه دي!!؟
- أنا أول مرة أضرب في الشارع بالمنظر ده وأول مرة كل الناس تتفرج عليا وأنا ماشي إيديا متقيدة ورا ضهري وكل وشي وجسمي دم...
- صمت قليلا وفرت من عينيه دمة وهو ينظر للأرض ويجز على أسنانه ثم أكمل:
- كانوا بيضربوني جامد قوي كأنهم بيفشوا غلهم فيا!! كل واحد بيضرب كأنه بينتقم مني وزى ما يكون يعرفني من زمان وبيني وبينه تار!! طب الأمنا في القسم وده طبيعي إنما الناس العادية كمان!!؟.... ليه!!؟...
- حاولت رشا تغيير الموضوع وإخراج المشهد من عقله:
- ما قولتليش صحيح حصل إيه جوه القسم؟ مشوك ازاي؟
- الطاباط طلع جدع

- إزاي؟

- أنا كده كده ما كانش معايا حاجة ورميت السرنجة قبل ما يتلموا عليا... وتقريبا صعبت عليه...

- حظك حلو

ابتسم وأشار لها إلى وجهه الذي ما زالت عليه آثار الدماء وملابسه الممزقة قائلاً:

- حظي حلو طبعاً... ما هو باين علياً أهو..
ضحكت ثم قالت:

- طبعاً حظك حلو... ظابط تاني كان ممكن يخليك جنبه كام يوم في القسم ويهدلك أو ممكن يخليك ترشد له عن أى تاجر ويسألك بتجيب من مين ولا يلبسك أى حرز من عنده ويعمل لك محضر وينزل لك الحجز وانت يعني مش عارف!!!... إحنا بودرجية يا نادر يعني ما لناش ديه أنا يعني اللي هقولك الكلام ده؟...
أوما برأسه موافقا ثم سألها:

- جبتي الضرب منين بقى ما قولتلش
ضحكت بمكر ثم قالت:

- إنت عارف إن شكلك سكسي قوي بالدم اللي على وشك وهدمك
المقطعة دي

ضحك قائلاً:

- بتوّهي مش عايزة تقولي يعني ماشي يا حيوانه... طب معاكي حاجة
تاني عايز أخش أستحمى ومش عايز أفصل

- فيه حاجة جاية لي في الطريق ع بال ما تستحي هتكون وصلت
لحد هنا ه جرام يا عم مرة واحدة علشان تنسى وجع القلب ده... المصلحة
بتاعة يوم البار لسه شغاله الله ينور
- قشطة

ذهب إلى الحمام وخلع ملابسه ووضع يده في جيوبه ليفرغها فوجد
الورقة التي أعطاها له وليد ضابط المباحث... نظر إلى الرقم لحظات ثم
كورها وألقى بها في سلة المهملات ثم نظر للمرأة... نظر إلى وجهه النحيل
جدا والسواد الكثيف تحت عينيه وإلى آثار الحقن في ذراعه وخفض رأسه
وتذكر كلام وليد له في القسم ثم عاد إلى الوراء فجأة ليضع يده في السلة
مرة أخرى مخرجاً الورقة ليطبّقها ويعيدها إلى جيبه ودخل تحت المياه وتركها
تهبط على جسده ورأسه لتغسل وجهه وشعره وجسده مغلقاً عينيه...

أخذ سامح يقلب كرة زجاجية في يده وهو جالس أمام مكتبه فاردا
قدميه على الكرسي المواجه له... كان يفكر في ما فعله عمر مع الأمين الذي
يراقبه... إنه يبعث لهم برسالة صريحة واضحة إنه يعرف تحركاتهم وإنه أيضاً
يستعزأ بها... يبدو أن اللواء الفرماوي كان محقاً عندما أخبره أنه ليس هدفاً
سهلاً... ما زال لا يفهم لماذا يراقبونه؟؟ لماذا لا يقبضون عليه ويستجوبونه
ليعرفوا من وراءه وماذا يفعل في مصر!! ليست المرة الأولى التي سيستجوبون
فيها متهماً مثله... ولكن ليس عليه إلا طاعة الأوامر... رن جرس هاتفه
فأمسك به ليجد اسم زوجته:

- ألو... أيوه يا حبيتي... لأ مش هتأخر ساعة ولا حاجة بالكثير.. طب
إديها التليفون...

انتظر لحظة لسمع صوت طفلة ذات الثماني سنوات تقول له بصوتها الرقيق:

- وحشتني يا بابي... هتيجي النهارده؟

- أيوه يا روح قلبي هاجي النهارده..

- طيب هات لي معاك الشوكولا اللي أنا بحبها

- حاضر يا روجي... بيباي يا حبيبة قلبي...

أنهى الاتصال ليقرع أحدهم باب مكتبه ثم يفتح ليظهر منه الأمين
الأول الذي كان يراقب عمر فيقول له سامح:

- تعالى يا مجدي

أدى مجدي التحية العسكرية ثم اقترب من سامح قائلاً:

- إيه يا باشا... سعادتك لسه ما روحتش؟

- همشي كمان شوية... قول لي إيه الأخبار؟

- الأمين مسعد مراقب عمر خطوة بخطوة ما تقلقش سعادتك...

- عرف ازاي يا مجدي إنك ماشي وراه!!... هو انت بتمسك جرنال زي

الأفلام العربي ولا إيه مش فاهم!!؟

ابتسم مجدي وهو محرجا من سخريه سامح فقال:

- يا سامح باشا سعادتك عارف كويس إني مش أول مرة أراقب حد

وعارف شغلي كويس وكنت متأكد إنه ما لمحنيش ولا مرة... بس مش

عارف ازاي كشفني ابن الصرمة!!...

- الواد بيستهزق بينا وييعمل حركات أفلام عربي قديمة!!..... الواد ده شكله مش سهل يا مجدي فتح عينك كويس وخلي مسعد هو كمان يفتح عينه ع الآخر أنا همشي وأي أخبار بلغني بيها أول بأول في أي وقت حتى لو الفجر ماشي؟

أدى مجدي التحية العسكرية قائلاً:

- تمام سعادتك يا باشا

أخذ سامح طينجته من على المكتب ووضعها في حزام بنطاله وراء ظهره ومفاتيح سيارته وهاتفه وانصرف وما أن ركن سيارته أمام بيته ودخل من باب العمارة حتى انتفض البواب قائماً ليؤدي التحية العسكرية وكأنه عسكريٌّ عند سامح لم يلتفت إليه الأخير وأكمل طريقه للدخل إلا أن البواب استوقفه قائلاً:

- يا باشا

وقف سامح ونظر إليه فاقترب البواب منه ببطء وحذر وهو ما زال رافعا يديه بجوار رأسه في وضع التحية العسكرية ومادا يده الأخرى نحوه بورقة ما قائلاً:

- فيه عيل صغير ساب لسعادتك الورقة دي معايا وقال لي أديها

لحضرتك

أخذ سامح منه الورقة وفتحها ليقراً ما بداخلها فينعقد حاجباه فجأة واكفهر وجهه وأمسك بالبواب من ذراعه بشدة قائلاً له بحدة:

- مين الي ادى لك الورقة دي؟! -
- ارتعد البواب من الخوف والفرع وهو يقول سريعا:
- عيل صغير يا باشا والله راكب عجله... أقسم بالله ما شوفته قبل كده ولا صدفة حتى في المنطقة هنا...
- ترك سامح يده ثم توجه إلى شقته بخطا سريعة ودخل مغلقا الباب ورائه ووجد زوجته وطفله قد خلدا للنوم... جلس على كرسي ثم فتح الورقة مرة أخرى ليقراً ما هو مكتوب فيها: (أنا مش عايز حاجة من حد ولا حد عايز مني حاجة... الراجل بتاعك الثاني سليم أنا بس قرصت له ودنه علشان أتعرف عليك... سيبوني في حالي.. عمر)... اعتصر الورقة في يده متوترا وغاضبا... إنه يهدده تهديدا صريحا بأنه أصبح يعرفه ويعرف عنوان بيته... أمسك بهاتفه ليتصل بالأمين مجدي:
- أيوه يا زفت.... فين مسعد؟؟؟
- مسعد في المأمورية سعادتك بيراقب عمر
- طب كلمه دلوقت حالا وكلمني تاني ع لطول
- أشعل سيجارة وأخذ يسحب منها أنفاسا عميقة وسريعة حتى رن جرس هاتفه مرة أخرى فأمسك به متلهفا وهو يقول:
- ها... رد عليك؟
- يا باشا... الحقيقة.... هو... هو في
- ما تنطق يا ابني اخلص!!

- في مستشفى في الحيزة ردت عليا الممرضة!! أنا مش فاهم إيه الي حصل له وإيه الي وداه المستشفى أنا رايح له حالا أعرف إيه الي حصل أنهى سامح الاتصال دون أن يرد على مجدي وألقى بالهاتف على الأريكة بعصية ووضع رأسه على قبضة يده مفكرا وظل ساكنا للحظات ثم نهض فجأة وهو يقول لنفسه بصوت غاضبا وكأنه يخاطب عمر:

- يا ابن الكااالب... أنا هعرفك مين هو سامح زيدان...

* * *

فتحت لنا باب شقتها ودخلت لتفاجأ بأن هناك ضيفا يجلس مع أمها... رجلا يبدو في منتصف الخمسينات يجلس واضعا قدما فوق الأخرى ويضحك مع أمها بصوت عال وانتبهوا فور دخولها ونظرت إليها أمها بابتسامة عريضة في غاية الاصطناع وقالت:

- أهى جت... تعالي يا لنا يا حبيبتي سلمي...

تقدمت لنا ببطء وسلمت على الرجل الذي تفحصها بعينه جيدا... وكادت لنا تمضي لولا أن أمها قالت لها:

- رايحة فين؟ اقعدى معانا شوية... شريف بيه عايز يتعرف عليكى... لم تفهم لنا شيئا خصوصا مع طريقة أمها اللطيفة المزيفة... توقفت للحظات تنظر لهم ثم قررت أن تجلس فاتجهت لكرسي بجانب أمها ووضعت مفاتيحها وحقيبتها أمامها وقالت أمها وهي تشير لشريف:

- شريف بيه صديق عزيز ليا ومن الناس المحترمة قوي وحكيت له
عنك كتير وكان نفسه يشوفك ويتعرف عليك
- ابتسمت لينا نصف ابتسامة وهي تنظر لشريف مجاملة إياه:
- فرصة سعيدة يا أستاذ شريف
- أشعل شريف سيجارة من علبته الفخمة وقام بعرض سيجارة على لينا
ولكنها شكرته وفضت فسألها:
- إيه مبتدخنيش ؟
- لأ...متشكرة بدخن بس ما بغيرش النوع الي بشربه...
- فتوجه بيده نحو أمها فتلقفت منه السيجارة وأشعل لها بولاعة لا تقل
فخامة عن العلبة وتابعت لينا كل ذلك ملابسه الغالية ومفاتيح سيارته ولم
يبهرها ما تراه فهو يشبه تماما الكثير من الزبائن الذين يترددون على أماكن
عملها... ساد الصمت قليلا وقطعه شريف قائلا:
- ماما على طول بتكلمني عليك وعلى المزيكا لما شوقتني أشوفك... أنا
بجب المزيكا قوي وخصوصا الكمانجة
- ردت لينا:
- فعلا!!
- أيوه... كييف كمانجة
- بتحب تسمع إيه بقى من الكمانجة
- أنا بسمع عمر خيرت على طول
- بس عمر خيرت بيلعب بيانو مش كمانجة

- توترت أمها وحاولت أن تلملم ما تبعثره لنا قائلة:
- أيوه أيوه شريف بيه يقصد يعني المزيكا بتاعته ما هي فيها كمانجة
ثم نظرت لشريف مبتسمة وأكملت:
- عمر خيرت جميل قوي... ذوقك حلو يا شريف بيه مش غريب عليك
نظرت لها لنا بابتسامة مأكرة قائلة:
- آه عمر خيرت جميل فعلا
- ساد الصمت مرة أخرى ودارت لنا بنظرها بينهم ثم قالت فجأة:
- حضرتك صديق قديم لما يا أستاذ شريف صح؟
- ظهرت ملامح التوتر على وجه أمها مرة أخرى وقال شريف:
- يعني من كام سنة كده
- غريبة أصلنا ما اتقابلناش قبل كده خالص ولا حتي سمعت إسم حضرتك
- أنا عايش بره مصر أغلب الوقت... بشتغل تاجر تحف وأنتيكات أنا
- عندي محل كبير هنا في مصر الجديدة ويسافر كتير أشتري التحف اللقطة
- من بره وقعدتى بتطول ساعات لما بيكون فيه مزادات ولا حاجة يمكن
- علشان كده ما شوفتنيش قبل كده
- قاطعت أمها حديثهم قائلة:
- تشرب إيه يا شريف بيه
- ممكن قهوة مطبوط
- نهضت واتجهت للمطبخ وهي تنظر لشريف نظرة غامضة لم تلمحها
- لينا... أراح ظهره للوراء في مجلسه وقال:

- إنما ماما قالتلي إنك بتشتغلي تقريبا كل يوم بليل في أماكن كثير...
فنادق مش كده؟
- أيوه

- شغلانة متعبة برضه... سهر ومشاوير في أوقات متأخرة
- ما فيش شغل ما فيهوش تعب... الفكرة هل الواحد بيحب الحاجة
اللي هو بيعملها ولا لأ ساعتها هتفرق وأنا بحب المزيكا ما بتعبش منها..
- يعني لو عندك الاختيار يبقى معاك فلوس كثير وترتاحي من الشغل
والمشاوير والسهر هتختاري إيه؟
صمتت لينا قليلا ثم قالت:

- أستاذ شريف حضرتك عايز تقول حاجة معينة؟؟
ابتسم شريف قائلا:
- إنتي حادة قوي في التعامل ما بتاخديش وتدي كثير
- أنا مش محتاجة آخد وادي المواضيع أبسط من كده... حضرتك اللي
فيه حاجة عايز تقولها تقريبا ومش عارف تقولها ازاي فحاولت أوفر عليك
المقدمات الطويلة بس

كانت لينا قد بدأت تشك في أن شريف جاء ليتزوج من أمها ويحاول أن
أن يخرها ببطء وأشعل هو سيجارة أخرى وقال لها:
- أنا معظم وقتي زي ما قلت لك مسافر بره وبكون لوحدي كثير
هناك وهنا كمان... أنا كبرت ومحتاج حد ياخذ باله مني ومن احتياجاتي...
الحقيقة طول الرحلة الطويلة دي من العمر انشغلت أكثر بالمحل والسفر

والفلوس ونجحت وبقي عندي فلوس كثير قوي بس نسيت نفسي وبصيت
لقيتني كبرت وبقي عندي حاجة وخمسين سنة ولسه لوحدي

- فقررت تتجوز

لمعت عينا شريف وابتسم قائلا:

- بالظبط

ابتسمت لينا ثم قالت:

- وانا موافقة

اندهش قائلا:

- بالسرعة دي... مش محتاجة تفكري شوية تحققي معايا حبة كمان

ضحكت لينا وقالت:

- أنا ما كنتش فاهمة في الأول بس إن الموضوع كده وبعدين انا

محتاجة أفكر في إيه؟

- في شغلك

- ومال شغلي بالموضوع مش فاهمة.

ما اعتقدش هتحتاجي شغل... الفلوس كثير ومش هتبقي محتاجة أي

حاجة وبعدين سفري الكثير ما اعتقدش هيخليكي تقدري تلتزمي بشغل

- أنا مش فاهمة حاجة... مال شغلي بحياتكم وبسفرك

- حياتنا!!

- هو حضرتك مش المفروض اللي يهملك ظروف ماما مش ظروفي هي

اللي هتتجوز مش أنا

اندهش وضحك بصوت عال في نفس اللحظة التي دخلت فيها أمها
حاملة الصينية عليها القهوة لتضعها أمامه ونظرت له مبتسمة وهي تقول:

- بتضحكوا على إيه بقى ما تضحكوني معاكم
قال لها وهو ما زال يضحك:

- لينا يا ستي فاكراني جاي علشان أتجوزك انتي
اندهشت الأم ثم ضحكت هي أيضا ونظرت للينا التي كانت حائرة
بنظراتها بينهم وقالت لها:

- يتجوزني أنا إيه يا لينا!! شريف بيه جاي يتقدم لك انتي
صدمت لينا واتسعت عيناها ونهضت فجأة من مقعدها وقالت لأُمها
وهي نائرة:

- إنتي ازاي تحطيني في الموقف ده وازاي تعملي كده من غير ما تاخدي
رأيي... يتجوز مين!!

توترت الأم وتوتر شريف من انفعالها وضحكت أمها ضحكة قصيرة
عصبية وكأن الموقف لم يتغير وهي تقول لها:

- في إيه يا لينا بتزعقي ليه انتي ممكن تاخدي فرصة وتفكري...
قاطعتها لينا بمحبة

- أفكر في إيه!!! ومين قالك أصلا إني عايزه أتجوز!! إنتي بتحرجيني
يعني!!؟ متهيألي دي حاجة المفروض تاخدي فيها رأيي الأول قبل ما تحطيني
قدام الأمر الواقع بالشكل ده أنا مش عيلة صغيرة... ثم حتى لو هتجوز
تفكرتي هتجوز واحد في سن أبويا!!!!

احمر وجه شريف وتوتر وقالت أمها بصوت عال فجأة وقد أظهرت وجهها الأصلي:

- اتكلمي كويس عيب بلاش قلة أدب الراجل ضيفنا ما يصحش كده

- تقصدي ضيفك انتي أنا ما عزمتش حد

نهضت أمها واقفة وهي تصرخ في وجهها:

- بقول لك عيب كده اخرسي خالص بلاش فضايح

قاطعها شريف محاولا تهدئة الموقف:

- يا أستاذة لينا حصل خير... ماما كانت نيتها كويسة والموضوع مش

كبير كده... ما يصحش برضه تزعلي لها قصادي كده دي أملك عيب

توجهت له لينا بنظرات حادة كالسكين جعلته يتوتر أكثر وهي تقول:

- ما اعتقدش من حقك تتدخل في أسلوب كلامي ولا في أي كلام

بيني وبين أي من أساسه ولو هتجيب سيرة العيب يبقى متهيألي عيب

عليك انت لما تفكر تتجوز واحدة قد عيالك وتحاول تشتريها بالفلوس...

البنبي أدمين مش أنتيكات ولا تحف تشتريهم لو عجبوك

ثم أكملت بابتسامة لزجة:

- شرفت يا شريف بيه

للم شريف أشياءه لينصرف واتجهت لينا نحو غرفتها لتغلق الباب

وراءها بعصبية تاركة أمها تنادي عليها دون إجابة منها:

- إنتي يا بت انتي!! خدي تعالي هنا يا قليلة الأدب

ألقت لنا بنفسها على السرير تحاول أن تتمالك أعصابها وكان جسدها
ينتفض من الغضب... لم تمض دقائق حتى فتحت أمها باب غرفتها وهي
ثائرة تصرخ فيها:

- إيه اللي هببته ده؟؟

نهضت لنا من على السرير لتصرخ فيها بدورها:

- اللي أنا هببته!! إيه اللي انتي بتعمله فيا ده؟؟ هو أنا كرسي ولا
طرايزة في البيت بتتحكمي فيها زي ما انتي عايزة!!! جايالي واحد يشتريني
ويشوفي أسوأ كام؟؟ إنتي بتعملي معايا كده ليه؟؟ ليه بتعامليني كأني ما
اسواش حاجة في نظرك هو أنا مش بنتك؟؟ فيه أم تعرض بنتها للبيع؟؟
- بس بلاش وساخة ولا قلة أدب... ده راجل محترم وجاي يطلب إيدك
في الحلال هيسترك ويعيشك عيشة ما تحلميش بيها
- قصدك يعيشنا... وإيه يسترني دي هو انتي شايفاني ماشية على حل

شعري!!

- شغلك يا قليلة الرباية ورجوعك البيت كل يوم وش الفجر بيخلي
الناس تجيب في سيرتنا واحنا معناش راجل لو واخده بالك يعني... لازم
تتجوزي وتتستري ولما تبقي في زمة راجل يبقى هو بقى يعرف شغله معاكي
أنا ما بقتش قادرة لك ولا عارفة ألمك

- تلميني!! تلميني من إيه؟؟ مكسوفة من شغلي؟؟ أُمال بتشريبي
سجايرك منين؟؟ وشعرك اللي انتي عاملاه ده عاملاه منين؟؟ مش من فلوس
الشغل اللي مش عاجبك ده!!! بتستعري مني دلوقتي ومن شغلتي!!

- إخص عليكي بت قليلة الأدب صحيح... بس هقولك إيه طالعة لا بوكي ما عندكيش دم زيه داهية تاخذك زي ما خدته...

قالت ذلك وخرجت من غرفتها فأغلقت لينا الباب وراءها بجدة شديدة وعادت لتجلس على طرف سريرها ثم دفنت وجهها بين راحتيها وأخذت تبكي... تشعر بالاختناق من كل تلك الأحاسيس الكريهة... إحساس أنها سلعة تباع وتشترى وهي إنسانة وفنانة وأقيم من ذلك بكثير ولكن أمها كعادتها تجعلها دائما بتصرفاتها تشعر بأنها أقل من تصورها عن نفسها... تجعلها تشعر من داخلها بأنها معيوبة وأنها ليست جميلة وليس لها تلك القيمة الكبيرة التي تراها في نفسها... طوال كل تلك السنين الماضية كانت تحطمها ببطء وقد قاومت باستماتة وتشبثت بروحها وبالحياة واستقوت بنفسها وبفنها ولكنها بدأت تشعر مؤخرا أن طاقتها استنفدت وقدرتها على العناد والتحدي مع الحياة بدأت تخبو وروحها تنضب وذلك في حد ذاته يخيفها أكثر من خوفها المعتاد الدائم... ذهبت إلى النافذة تنظر منها للسماء وقالت وسط دموعها:

- هتسييني كده يا رب؟!... أنا ما بقتش قادرة أستحمل.... أرجوك انقذني... حتى لو بالموت... بس انقذني

رن جرس هاتفها ونظرت للرقم وهي تمسح دموعها بكفها إنها صديقتها هاجر... ليس لها أصدقاء كثيرون... لها معارف كثيرة بحكم عملها ولكن أصدقاءها قليلون جدا لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة عددا... ردت عليها:

- ألو... أيوه يا هاجر
- لينا... إنتي فين يا بنتي واحشاني
- واني كمان... أنا في البيت
- مال صوتك؟؟ إنتي كويسة؟؟
- أيوه يا حبيبتى كويسة... إنتي عاملة إيه؟؟
- لأ صوتك بيقول إنك ولا كويسة ولا نيلة... إنتي بتعطي ولا إيه؟؟
- لأ أبدا أنا كويسة والله ما فيش حاجة
- طب أنا جايالك أنا ومادلين نروح نشرب أي حاجة في أي حطة
- ماشي مستنياكم.. باي
- وضعت الهاتف جانبا وتنهدت ثم عادت لتقف في النافذة تنظر بعينيهما
للسماء تبحث فيها عن الأمل....

خرجت ريم من الحمام ترتدي فقط قميصا طويلا يظهر تفاصيل
جسدها الجميل تمشط شعرها بيدها بعد الاستحمام وابتسمت لسوزي
التي كانت مستلقية على المرتبة وتغطي جسدها العاري بملاء خفيفة
وابتسمت بدورها فذهبت إليها ريم لتجلس بجوارها وتقبلها من فمها قبله
هادئة ثم تداعب شعرها قائلة:

- صباح الفل يا غسل
- صباح الخير

- نمتي كويس؟

- قوي... ما تيجي نزل نفطر بره ونستغل اليوم الأجازة ده؟

- يلا بينا

ارتديا ملابسهما ونزلا وأثناء خروجهما بالسيارة من المنطقة التي تسكن بها ريم لاحظت سوزي ذلك الشاب الذي نظر نحو ريم ونظرت هي أيضا له نظرة صارمة فتحسس الشاب رقبتة وحول نظره إلى الناحية الأخرى فسألتها سوزي:

- مين ده؟

- واد كده كنت اتخانقت معاه من فترة أول ما سكنت هنا

- اتخانقتي معاه ازاي!!

- عادي عورته في رقبتة

- عورتيه!! إزاي مش فاهمة؟

- بالموس

وأخرجت من فمها شفرة الموس في حركة سريعة لتريه لسوزي ثم أعادته مكانه مرة أخرى وسط نظرات سوزي المذهولة والمنبهرة في نفس الوقت فهي لو لم تكن مع ريم لما كانت استطاعت أن تدخل تلك المنطقة قالت لريم:

- إنتي شخصية غريبة قوي

- ولا غريبة ولا حاجة

وصلا عند مطعم هادي ودخلا ليطلبا الإفطار وظلت سوزي صامتة
تنظر نحو ريم وهي مبتسمة مما جعل الأخيرة تسألها:

- إيه بقي هتفضلي تتفرجي عليا كده؟

- مش هتحيكي لي؟

- أحكي لك إيه؟

- تحكي لي عنك... أنا ما عرفش حاجة عنك خالص

صمتت ريم لحظات ثم نظرت لسوزي في عينيها قائلة:

- مش عارفة ليه حاسة ناحيتك براحة غريبة يا سوزي

ضحكت سوزي ضحكة قصيرة ماكرة وهي تقول:

- طب ما دام كده احكي لي بقي يلا

ترددت ريم قليلا بسبب إحساسها الدائم أنها تفهمها جيدا ولا تنطلي
عليها صيغها الخادعة في الكلام ثم قررت أن تحكي لها... حكّت لها كل شيء
من بداية علاقتها بأمها وهي صغيرة حتى ما تعيش فيه حاليا من أحلام
وكوابيس وأرق وهلاوس وظلت سوزي تستمع لها بذهول وما أن انتهت
حتى ساد الصمت للحظات قطعته سوزي قائلة:

- أنا حاسة إني بسمع قصة فيلم

انعقد حاجبا ريم وقالت لها بمجدة:

- والله لو مش مصدقة دي مشكلتك... أنا ما كنتش عايزة أحكي أصلا

من الأول

- إهدي بس أنا ما اقصدش إنك بتكدي أنا أقصد إنها حكاية صعبة قوي وتوجع عاملة زي الأفلام... إنتي شيلتي حمل كبير قوي في الدنيا ردت عليها ريم بابتسامة باهتة ونظرت إلى الطبق أمامها في صمت فأكملت سوزي:

- متهيألي موضوع الكوابيس ده له علاقة بكل اللي شوفتیه في حياتك... أنا رأيي تروحي لدكتور يساعدك -
- إنتي شايفاني مجنونة ولا إيه!!

- يا بنتي انتي على طول بتنطي في وشي كده!!... الدكتور النفسي ده دكتور زي أي دكتور مش لازم تكوني مجنونة علشان تروحي له... إنما هو هيبقى أكثر واحد فاهم حالتك وحلها... ولا إيه؟ -
- تفتكري؟

- بصي أنا أعرف دكتور قريب واحدة صاحبة مامتي وأسمع إنه شاطر قوي هجيب لك رقمه وجربي

صمتت ريم ثم أومأت برأسها موافقة ثم قالت:

- مش يلا بينا نرجع ع البيت بقى؟

ضحكت سوزي بدلال وهي تقول:

- ما زهقتيش مني؟

نظرت ريم لها نظرة شهوانية وقالت:

- أزھق منك!! ده كلام برضه ده انتي تتأكل أكل

أنهت جملتها ثم أشارت للنادل طالبة الحساب...

اقترب مدير البار من محمود وهو ممسك بالصينية في يده واستوقفه قائلاً:

- سيب الي في إيدك يا محمود وتعالى

ترك محمود الصينية على حامل بجواره ومشى وراء المدير حتى خرجا من البار واستدار المدير لينظر له في تردد وشفقة قائلاً:

- يا محمود بنتك طلبتك على التليفون من شوية

توترت ملامح محمود وهو يقول:

- فيه حاجة ولا إيه؟ ما ندهتوليش ليه أكلهما؟

- مراتك تعيش انت

ارتعشت نظرة محمود وقدماه وأمسك بذراع المدير الذي تلقف يده بدوره وأجلسه على سور بجانبه وأكمل:

- نرمين كانت منهارة فقفلت معاها وقلت لها بابا هيجي لك حالا...

شد حيلك يا محمود البقاء لله...

استجمع محمود قواه لينهض واتجه إلى البيت.... طوال الطريق في التاكسي تتقاذف إلى ذهنه ذكرياته مع زوجته منذ أن التقيا أول مرة وأول لمسة يد بينهما ونظراتها له وحبهما وزواجهما وعندما كانت تلد نرمين ولحظة وصولها للعالم وهي طفلة رضيعة في يدها وكل تفاصيل حياتهما معا لأكثر من أربعين سنة حتى أيام مرضها الأخيرة... عندما وصل إلى البيت

وما أن فتح الباب حتى انطلقت نرمين لتلقي بنفسها في حضنه وهي تبكي بحرقه:

- ماما ماتت يا بابا... ماتت...

احتضنها بقوة ثم أجلسها على كرسي وتركها برفق واقترب ببطء من الغرفة التي كانت تنام فيها زوجته وكانت بنت أختها جالسة بجانبها تقرأ لها القرآن ونهضت من مكانها فور أن رأته لتترك له الغرفة... اقترب محمود من جثمان زوجته وترددت يده وهو يضعها على جبينها الذي ما زال دافئاً نوعاً ما وأمسك بيدها ليقبلها وهو يقول:

- مع السلامة يا سميرة...

كان العزاء هادئاً ويكاد يكون خالياً إلا من بعض الأقارب والجيران وزملاء محمود في البار والمدير ومع نرمين ابنة خالتها شيماء ولينا يشدان من أزرها... ظل محمود صامتاً أغلب الوقت لا يتكلم وردوده على التعازي بالإيماءات فقط ذاهلاً وكأنه في عالم آخر وعيناه حائرتان ونظراته زائغة... ما زال غير قادر على أن يصدق رحيلها رغم علمه بأن المرض اللعين كان سيودي بحياتها إن عاجلاً أو آجلاً ولكن يبقى الفراق من أصعب المشاعر تحملاً... يجاهد كي يتماسك أمام ابنته في الدفن وفي العزاء محتضنها وانتظر حتى انتهى كل شيء ورحل الجميع ونامت نرمين وشيماء معها ودخل هو إلى الغرفة التي كانت تنام فيها زوجته طيلة فترة المرض ليمدد جسده مكانها وكأنه يحتضن أثرها ورائحتها وأغلق عينيه لتنزل من عينيه دموعه الصامتة أخيراً....

أشعل نادر سيجارة وهو يحتسي القهوة بعد أن حقن نفسه بجرعته الصباحية ويأتي صوت فيروز يدوي من مذياع بجواره - يمكن حبك جد بس أنا تعبانة) وكان واضعا أمامه الورقة التي أعطاها له وليد وأخذ ينظر إلى الرقم المكتوب عليها ولا يتحرك... هل يتصل؟؟ هل هو بالفعل يريد أن يتوقف عن التعاطي؟؟ هل سيستطيع؟؟ هل بالفعل هناك تبطيل؟؟ أم ستكون مجرد محاولة أخرى فاشلة ليس أكثر؟؟... دارت كل تلك الأسئلة في عقله بالأخص أنه حاول كثيرا من قبل أن يتوقف عن التعاطي عن طريق الصلاة والدين ولم ينجح ودخل مستشفيات للعلاج من الإدمان ومصحات نفسية عدة مرات ولم يتمكن في كل مرة أن يصمد لأكثر من شهرين بأقصى تقدير... وضع يديه على جانبي رأسه ليمسك بها بشدة ويضغط عليها محاولا أن يجمع شتات عقله ويمسح بيده على شعره... القرار بأن يقوم بهذا الاتصال شديد الصعوبة وكأنه يريد أن يحرك جبلا من مكانه... ظل هكذا كما هو لنصف ساعة ثم دخل في غفلة قصيرة من تأثير المخدر ليخرج منها فجأة ويشعل سيجارة أخرى وأمسك بهاتفه وكتب عليه الرقم ببطء... هناك صوت بداخله يصرخ فيه أن ينهي الاتصال قبل أن يجيبه أحد ولكنه لا يدري لماذا لم يفعل ذلك إلى أن رد عليه صوت من الناحية الأخرى:

- الو

- أيوه... أنا... أنا نادر

- نادر مين؟

- نادر اللي كلمك عليه وليد بيه عوني ظابط المباحث من أسبوع

- آآآه افتكرت... إزيك يا نادر عامل إيه؟

- الحمد لله

- عايز تعمل إيه بقى يا نادر قولي؟

- عايز أبطل

- طيب تحب نتقابل إمتى

- بس أنا معيش فلوس ومعيش أي حاجة غير التليفون اللي

بكلمك منه ده ولو بعته مش هييجيب خمسين جنيه

- ما تشغلش بالك بالفلوس بس جهز نفسك ولم حاجتك وشوف لو

عايز تضرب آخر ضريبة ولا حاجة قبل ما ايجي لك وهكلمك بليل تقول لي

أجي لك فين ونمشي مع بعض

- أنا عايز حاجة كمان

- عايز إيه قول؟

- عايز صاحبي كمان تبطل معايا... ينفع تساعدنا احنا الاثنين؟

ضحك وهو يقول:

- لأ ما هو احنا مش رايحين شرم الشيخ يا معلم!!

- أنا بتكلم بمجد

صمت الشخص قليلا ثم أجابه:

- طيب هي كمان عايزة تبطل؟.... يعني ده قرارها؟

- مش عارف بس متهيألي لو قلت لها إني هبطل هتحاول معايا

- طيب يا نادر لو هي كمان عاوزة ممكن أبعت لها زميلة ليا تاخذها
هي كمان على مكان فيه بنات... كويس كده يا سيدي؟

- كويس قوي

- ماشي هكلمك آخر النهار... ده رقمك يا نادر؟

- أيوه

- ماشي يلا سلام

لا يدري لماذا أكمل المكالمة رغم أن الصوت بداخله لم يتركه لحظة طوال الحديث وظل يزعجه ويصرخ فيه بصوت يسمعه بالفعل في أذنه أن ينهي الاتصال ولكن شيئاً ما جعله يكمل المكالمة... إنه منهك تماماً من سنين الضرب.... فقد كل شيء.... حتى روحه وملاحه.... لا يعرف نفسه عندما ينظر في المرأة بالفعل هذا الشخص الذي يراه في المرأة ليس هو.... لا يمت له بصلة وفي كثير من الأحيان يشعر بالاشمئزاز عند رؤيته فعادة يتجنب النظر في المرأة إلا في أضيق الحدود... كل شيء تغير تماماً رغم أنه ما زال في منتصف الثلاثينات ولكنه يشعر وكأنه يبلغ من العمر ألف عام.... آلاف الأحداث والذكريات والمواقف والجنون والإهانة والألم.... لن يتصور أحدهم من التفوا حوله ليضربوه ويذهبوا به للقسم لن يتخيلوا أبداً أو يتصوروا ما يشعر به أو ما رآه في الحياة أو ما يدور في عقله ولو كانوا يعلمون لأشفقوا عليه فيكفي أن نفسه وعقله ينهالان عليه يومياً بضربات أقوى بكثير من التي تلقاها منهم... لا بد أن ينتهي كل هذا... فليجرب لآخر مرة وإن لم تنجح هذه المحاولة الأخيرة فسينهي التفكير في التباطيل ما تبقى من عمره الذي سيبدل

كل جهوده في أن ينهيه في أسرع وقت بزيادة جرعات الهيروين لعله يرحل عن الدنيا ويرتاح ككل أصحابه ممن كانوا يتعاطون معه فمعظمهم أصبحوا تحت التراب الآن.... كانت رشا قد استيقظت وجلست بجواره وهي تدعك عينيها من أثر النوم ثم أخرجت طبقاً من أسفل المنضدة لتضعه أمامها وتخرج ورقة من درج بجانبها لتفرغ محتوياتها داخل الطبق ثم تأتي ببطاقتها لتشكّل من البودرة التي وضعتها داخل الطبق صفيين سميكين بحد البطاقة ثم لعقت ما تعلق بالبطاقة من بودرة بلسانها وأبرمت عملة ورقية ثم وضعت طرفها داخل فتحة من فتحتي أنفها والطرف الآخر عند أول صف وسحبته داخل أنفها بسرعة وقوة ثم بدلت الطرف الأول عند فتحة أنفها الأخرى وسحبت الصف الثاني بنفس الطريقة ولكن عكس الاتجاه وعادت برأسها للوراء وظلت لدقيقة كما هي لا تتحرك ثم أشعلت سيجارة ونظرت لنادر الذي ما زال حائراً يقلب تليفونه على المنضدة بيديه فقالت له:

- ما لك يا ابني؟ عامل كده ليه ع الصبح؟

نظر لها نادر وتأمل وجهها قليلاً ثم قبلها من شفيتها قبلة قصيرة فنظرت له رشا ثم قالت:

- ما فهمتش برضه على فكرة؟؟!! ما لك؟؟

- أنا هبطل النهارده يا رشا

- تاني انت... الحالة جات لك تاني...

- أنا ما بهزersh

- يا حبيبي ما انت حاولت قبل كده كذا مرة وما عرفتش بتعمل كده
ليه دلوقت مش فاهمة؟؟

- هحاول آخر مرة

- يا نادر إنت فاكرك لما اتقابلنا أول مرة في عربية سامي؟... وأنا كنت
لسه داخله السكة جديد وانت اللي كنت بتقضي لنا ولما طلبت منك رقمك
ما رضيتش تدهوني علشان أنا شكلي نضيقة ولسه في الأول... ولما قابلتك
تاني بالصدفة وكنت أنا اللي بقضي بنفسي قلت لي إني حلوة ولسه صغيرة
والطريق ده طريق الموت وما فيش فيه ملفات للرجوع الي بيمشي فيه ما
بيرجعش منه... فاكرك؟؟

- فاكرك

- طيب تبطل إيه بقى الي انت بتتكلم عليه؟؟... يا ابني احنا اتكتب
علينا نعيش كده... ده قدرنا... فيه حاجة اسمها بشر وفيه حاجة اسمها
بودرجية... بطل ترفيص بقى وما تصدعناش....

- أنا هبطل يا رشا النهارده.. وكلمت حد هيجي ياخديني وكلمته عليكي
كمان علشان تبطل..

انفعلت رشا فجأة وصرخت في وجهه وهي تقول:

- ومين الي قال لك إني عايزة أتنبيل على عيني!! لو عايز تقعد تعمل الي
انت بتعمله ده اعمله لوحداك وما تتكلمش بالنيابة عني إنت مش أبويا ولا
حتى جوزي علشان تاخذ لي قرار... وما دام انت بتتصرف مع نفسك كده
يبقى لو سمحت ما لكش دعوة بيا وروح بطل لوحداك...

حاول نادر أن يحتضنها ليهدها ولكنها أزاحت يده بحدة ونهضت من مجلسها وارتدت ملابسها سريعا وخرجت مغلقة الباب وراءها بقوة... ظل نادر جالسا مكانه بعد أن أخذ جرعة أخرى أكبر من الأولى وكأنه يودع الهيروين الوداع الأخير ولم يشعر بنفسه حتى انتبه فجأة من غفلته على صوت الباب يغلق ورأى رشا قد عادت وتحاشت النظر إليه ودخلت إلى المطبخ ونظر هو للخارج فوجد أن الشمس قد ذهبت ويبدو أنه غفل لأكثر من ساعتين بعد الجرعة الثانية ورن هاتفه فرد:

- أيوه مين؟

- أنا وائل

- وائل مين؟

- وائل اللي انت كلمتني علشان تبطل

- أيوه أيوه إنت فين؟

- إنت اللي فين جاهز ولا إيه؟

نظر نادر ناحية رشا التي خرجت من المطبخ لتستمع إلى حديثه ورده على وائل:

- أيوه أنا جاهز

- طيب تمام قول لي أجي لك فين بالضبط؟

أخبره نادر بعنوانه ثم أنهى المكالمة وقال لرشا:

- تعالي معايا يا رشا

- لأ يا نادر... مش رايحة في حطة... عموما هما كبيرهم شهرين بالكثير
وهترجع تلاقيني مستنيك زي كل مرة...

صمت نادر وشعر بالحزن... لم يكن يريد أن يتركها وحدها ولكنه لا
يدري ما السبب وراء إصراره على تلك المحاولة الأخيرة... نهض من مكانه
وللم ملابسه القليلة جدا في كيس بلاستيك أسود فهو لا يملك حقيبة
ولا ملابس تقريبا وانتظر مجيء وائل حتى سمع طرقات على باب الشقة
وذهب ليفتح باب الشقة ليجد أمامه شابا أنيقا نظيفا ويبدو في منتصف
الأربعينات تفوح منه رائحة عطر قوية وجميلة يسأله مبتسما:

- نادر؟

- أيوه... مين؟

- أنا وائل

- أهلا بيك... تعالى اتفضل

- لأ معلش خليني بره أحسن... إنت جاهز؟

- أيوه تمام

- وصاحبتك؟

نظر نادر وراءه لرشا الواقفة بالداخل ثم قال:

- لأ مش عايزة تبطل

- طيب يلا بينا

دخل نادر مرة أخرى ليحضر حقيبته ونظر نظرة أخيرة لرشا ثم استدار

متجها للخارج

- ناادر

هتفت رشا بلوعة ولهفة فالتفت لها فأسرعت نحوه لتحتضنه بقوة
وسقطت من عينيها دمعة وهي تقول له:

- خلي بالك من نفسك... هتوحشني قوي

قبلها نادر وربت على وجهها قائلاً:

- وانتي كمان هتوحشيني قوي...

ثم انصرف مع وائل مغلقاً وراء الباب...

تحرك عمر بهدوء في ذلك الشارع شبه المظلم إلا من إضاءة خافتة
صفراء قادمة من عمودين إنارة وتوقف عند مدخل عمارة وأطفأ سيجارته
ودهسها بجذائه وهو ينظر خلفه بطرف عينيه وعندما تأكد أنه لا يوجد من
يتبعه دخل إلى العمارة القديمة ليصعد درجات سلالم قد غير من شكلها
الزمن فأصبحت غير متساوية ووصل الدور الأول ليطرق باب شقة بجواره
وانتظر قليلاً إلى أن سمع صوتاً من وراء الباب:

- مين؟

- أنا عمر يا مصطفى

- عمر مين؟

- عمر شوقي بتاع كلية العلوم

سمع صوت مفتاح يدور في الباب من الداخل عدة مرات ثم فتح الباب

ليرى أمامه وجه مصطفى ينظر إليه مندهشاً وهو يقول:

- عمر!!

ابتسم عمر فاندفع مصطفى في حضنه وأمسكه من كتفيه ليتأمل ملامحه وكأنه يتأكد من هويته مرة أخرى وقال مرة أخرى وهو مبتسم:

- عمر

ثم دفع به إلى الداخل سريعا ونظر إلى السلالم فوقه وتحتة ثم أغلق الباب وراءه لينظر لعمر قائلا:

- يااااه يا عمر خش تعالى... تعالى أقعد...

وتوجهها ناحية كرسيين متقابلين من البلاستيك وكان المكان قليل الأثاث ومتواضعا جدا مليئا بالأتربة وقبل أن يجلس عمر مسح له مصطفى الكرسي بيده وقال:

- معلش بقى المكان مبهدل شوية

- لسه عايش لوحذك يا مصطفى؟

- أيوه أبويا وأمي ماتوا في البلد من ست سنين وانت عارف إني ما ليش اخوات زي حالاتك وما كانش ليا حد في الدنيا غيرهم

- ما اتجوزتش؟

- ما انت عارف يا عمر الي يعيش عيشتنا دي مش سهل يتجوز... إنما قولي انت اتجوزت ولا إيه؟

- لأ

- أُمال فين أراضيك دلوقت وجيت مصر امتي؟

كاد عمر أن يجيبه لولا أن قاطعه مصطفى بابتسامة محرّجة وهو يقول:
 - معلش فرحتي بيبك نسيتني أجيب لك حاجة تشربها عموما مش
 هقول لك تشرب إيه علشان أنا ما عنديش غير شاي

ابتسم عمر قائلا:

- يبقى شاي

نهض مصطفى وعاد بعد دقائق بصينية عليها كوبان صغيران من
 الشاي وضعها ونظر لعمر بدهشة وهو يشعل سيجارة ولا حظ الأخير
 دهشته فقال:

- مستغرب طبعا بشرب سجائر وحالق دقني

- الحكومة مراقباك صح؟

- فعلا بس مش هوده السبب

- أُمال إيه مش فاهم؟

- صمت عمر قليلا ليزن كلامه ثم قال:

- أنا انشقيت عن الجماعة وسيبت الدعوة يا مصطفى.....

اتسعت عينا مصطفى ووضع كوب الشاي من يده قائلا:

- انشقيت!! إزاي يعني؟

- ما تحافش ما خرجتش من الملة بس هجرت الدعوة نفسها والجهاد

- ليه يا عمر؟؟؟؟... إنت عايش بره... صحيح في حروب بس على الأقل

محاط بكم كبير من الإخوة وحياتكم أحسن هناك... ناقصك إيه علشان

تعمل كده؟؟... حياة نضيصة وهوا نضيصة ودولة إسلامية حقيقية حتى ولو
لسه صغيرة وتحت الإنشاء إنما قوية ومعها جيش وسلاح وبتجاهد في بلاد
العجم كإنكم أيام الخلفاء الراشدين بالظبط رضي الله عنهم وأرضاهم... إخوة
بتراعوا بعض وأخوات جميلات تتجوز منهم الي تعجبك وملك يمين كمان من
الشقراوات وذوات العيون الخضراء لو تحب!! جنة في الأرض.... ليه يا عمر؟؟!!!

- إنت مش فاهم حاجة يا مصطفى أنا بقالي معاهم عشر سنين في
الشيشان وكردستان وأفغانستان والعراق كله كذب في كذب...

نهض مصطفى من مكانه متوترا وهو يردد وراءه:

- كذب في كذب!! يعني إيه يا عمر تقصد إيه؟؟!!

- يعني الناس هناك ما بتحاربش علشان الدين ولا كل الشعارات
دي... الحكاية في الآخر مصالح بس...

اتسعت عينا مصطفى في ذهول وامتعضت ملامحه فجأة وهو يقول
بحدة:

- من الواضح إن الشيطان لعب بعقلك وبلاد الكفار أغوتك... يا
خسارة يا عمر!!

- شيطان إيه بس يا ابني وغواية إيه!! إنت مش فاهم حاجة خالص
انفعل مصطفى فجأة وقال بمنتهى الحدة والغضب:

- مش فاهم... مش فاهم.... إيه علشان عشت لك بره كام سنة يعني
بقيت خلاص انت الي فاهم كل حاجة؟؟!!!

نظر له عمر مستنكرا فلم يكن يتوقع انفعاله وهو يقول:

- تقصد إيه يا مصطفى؟

- أصلك عمال تكررها وكل شوية تقول لي مش فاهم كإنك يعني
انت العالم ببواطن الأمور... ما انت أصل لك ما عشتش معنا هنا ولا
اعتقلت ولا اتعذبت ولا حسيت بالقهر والظلم من ناس بتتكلم نفس
لغتك ومن جنسيتك... اصطفوك بدري وسفروك... الحياة بره ناعمة
حتى لو كنت في حرب... الحياة المرفهة بوظتك وخلتك تتفلسف

وترقرقت الدموع في عيني مصطفى فجأة وهو يكمل:

- ما اتكهريتش ولا قلعت عريان و....

تحشرج صوته فجأة وكأن الكلمات رفضت الخروج وأكمل:

- ما عرفتش يعني إيه ما تدفنش لأبوك ولا امك ولا يعني إيه يموتوا
بحسرتهم عليك وما تعرفش حتى تمسح دموعهم بإيديك ولا تقرأهم
الفايحة ولا تصلي عليهم... وعمال تقولي مش فاهم.. أنا الي مش فاهم!!!
مش فاهم إيه يا عمر؟!!!!... إنت الي مش فاهم حاجة خالص

ساد الصمت لحظات وعمر ينظر إلى مصطفى وهو متأثر بكلامه ثم
مسح مصطفى دموعه سريعا وقال له بحدة:

- إنت جاي لي ليه يا عمر؟؟ عايز مني إيه؟

نهض عمر وسار نحو النافذة لينظر للسماء من خلال الشيش المغلق
ثم استدار لمصطفى وقال:

- عايز منك خدمة لو لسه فاكر أيام الجامعة والعيش والملح والأيام
الي عشناها مع بعض...
- عايز إيه
- عايز طبنجة وطلقات... وعايز معلومات عن مكان أبو بكر
- انتفض مصطفى انتفاضة خفيفة من الخوف وهو يقول:
- أبو بكر مين؟
- أبو بكر الشيخ الي جندني أنا وانت زمان في المسجد الي عند بيتي
فاكره؟

- ناوي على إيه يا عمر؟؟
لم يجبه عمر واتجه نحو الباب ثم توقف وقال له:
- مصطفى إحنا صحاب من زمان والي بينا أكبر من أخوة... ما
تخافش... أنا لا شوفتك ولا جيت هنا...
وقبل أن يفتح الباب نادى عليه مصطفى قائلاً:
- عمر... راجع نفسك يا أخي واستخر ربك...
نظر له عمر وابتسم ابتسامة هادئة وأوماً برأسه ليطمئنه وانصرف....

توقف عبد الله زوج زينب بسيارته أمام مسجد مجاور لبيتهم وخلع نعليه
ليدخل إلى المسجد ويتوجه لمجموعة تجلس في زاوية جانبية مشكلين حلقة صغيرة
وبينهم رجل يرتدي بذلة على عكس الجلاليب التي يرتدونها جميعاً فقط يشبههم

في اللحية وعلامة الصلاة في جبينه ويقرأ عليهم بعض الأحاديث ويتبادلون تفسيرها وما أن جلس عبد الله بينهم حتى أنهى الرجل المجلس بالدعاء والفاطحة وتفرقوا جميعا ولم يتبق غيره هو وعبد الله فابتسم لعبد الله قائلا:

- كيف حالك يا عبد الله؟
- الحمد لله بخير يا شيخ أبو بكر
- وكيف حال أولادك وزوجتك المصون؟
- كلهم بخير يا مولانا وبيوسوا الأيادي
- جهزت المراد من الأموال والأوراق؟
- كله جاهز يا مولانا بفضل الله
- طيب الحمد لله ربنا يبارك فيك... هبلغ الإخوة بإذن الله الجمعة الجاية عدشان ننوي السفر بعديها بيومين يعني على الأحد إن شاء الرحمن
- ترجعوا لنا بالسلامة إن شاء الله
- قال له أبو بكر مرة أخرى وكأنه يطمئن:
- الأوراق يا عبد الله؟؟
- ما تقلقش يا مولانا كل شيء تمام والورق نضيف ومضبوط...
- ربنا يسامحنا بقى على أيام الجاهلية لو كان الواحد اهتدى من بدري ما كانش هيبقى فيه صحيفة سوابق كده
- يا مولانا إن الله يمحو الذنوب جميعا وإنه لغفور رحيم... مش انت
- الي علمتنا كده ولا إيه!! ده كفاية الناس الكثير الي اهتدوا على إيدك وانا

منهم ويأذن الله تكون السفرية والدعوة كلها في ميزان حسناتك... أنا كان نفسي أكون معاكم واخذ الثواب لولا الشغل الي ورايا ربت أبو بكر على قدميه قائلا:

- الي انت بتعمله ده يا عبد الله له نفس الثواب كأنك بالظبط سافرت واعتكفت معانا... طيب توكلنا على الله...

نهضا من مجلسهما وودعا بعضهما البعض وعاد عبد الله بسيارته إلى البيت ليأتي إليه مساعده مهرولا ليركن له السيارة فينظر له عبد الله ويسأله:

- جبت الحاجات الي كانت طالباها منك الحاجة زينب يا سيد؟؟

- أيوه يا حاج... وعدى عليا مدير الحسابات وساب لك الملف ده

أعطاه الملف وأخذ السيارة ليذهب بها نحو جراج العمارة ودخل عبد الله وهو ينظر في الأوراق نظرة سريعة فهو يملك سلسلة من أكبر الشركات الاستثمارية في البلد وصعد حتى الشقة وما أن دخل حتى أسرع نحو ابنته حبيبة فأخذها في حضنه وسألها:

- أخوكي فين يا حبيبة؟

- عند جدو وتيته فوق

- وأمك فين أُمال؟

- خرجت ولسه ما جاتش

صمت عبد الله متأففا وأنزلها برفق ثم ربت على رأسها وسألها:

- وذاكرت معاكي دروسك؟

- لا قالت لي لما تيجي بليل

- طيب جهزي كتبك على بال ما أغير هدومي واذا كر لك أنا

ذهبت حببية إلى غرفتها وفتح عبد الله الملف مرة أخرى ليقوع على بعض الأوراق ثم أغلقه وأمسك بهاتفه واتصل بزینب ولكنه لم يتلق إجابة فوضع الهاتف وبدأ عليه علامات التفكير العميق وملامح وجهه حائرة ويشعر بالضيق... فدوما زينب تخرج وتغيب وتهمل دروس أولادهم وقد نبه عليها أكثر من مرة دون فائدة وأكثر ما يغضبه أنها لا تجيبه عندما يتصل بها أغلب الوقت وتعود لتتصل به كل مرة بحجة جديدة تبرر بها عدم ردها وتعود إلى البيت بحجج أخرى تبرر تأخيرها أو خروجها المفاجئ.... لقد سأم كل تلك التبريرات ولا يفهم ويشعر أن هناك شيئا تخفيه عنه منذ فترة ورفضها الشديد لأن يغيروا مكان إقامتهم فهو يملك أكثر من شقة وفيللا في مناطق أرقى وأفضل وتتحجج هي بأنها تحب المنطقة التي نشأوا فيها وأنها تفضل أن تكون بجانب أبيها وأُمها اللذان يرفضان تغيير مكان سكنهما بدورهما ولكنهما كبار في السن ورفضهما منطقي وإنما رفضها غير منطقي وخصوصا أنها لا تراعيهما بالقدر الذي يجعلها تفضل البقاء بجوارهما ثم إنهما ليسا وحدهما فمعهما امرأتان تخدمهما ويدفع لهما جيذا من أجل ذلك!! والمسافات تختصر بالسيارات والسيارات متوفرة بفضل الله ولكنها مصرة على الرفض والبقاء في شقته... أمرها أصبح محيرا له منذ أكثر من سنة والأكثر ريبة أنها لا تلبى طلباته الزوجية إلا نادرا وإذا فعلت فهو يشعر وكأنها تنفذ مهمة مفروضة عليها وخالية من أي أحاسيس!!...
أمسك بهاتفه مرة أخرى ليتصل برقم ما ثم يقول:

- أيوه يا محمد... إنت فين؟
- في الشركة يا حاج
- طب عدي عليا ع البيت ضروري قبل ما تروح...
- تؤمرني يا حاج..

- فضفضت لينا مع صديقتها هاجر ومادلين حتى شعرت ببعض الراحة واستمعا لها بإنصات وملامح وجههما متأثرة جدا وقالت لها هاجر:
- سيبي البيت يا بنتي وامشي أنا مش فاهمة إيه الي مخوفك!!! أنا قلت لك كده كذا مرة....
- مش عارفة يا هاجر كل ما بتيجي لي الفكرة بحس كأني متقيدة كده كأن الخوف رابطني بمجل... وبعدين إيجارات الشقق بقت غالية وعلشان ألاقى حد يرضى يسكن بنت لوحدها لازم مناطق معينة الإيجارات فيها غالية قوي وانا الي بقبضه ما بيكفيش
- ماهو علشان بتاخذ منك نصه
- حتى لو... برضه مش هينفع أسيبها من غير فلوس خالص
- يا ستي ما حدش قال لك كده المهم امشي وبعدين ابقى بعتي لها وإيجار الشقة يتدبر لما تبقي لوحدها هتعرفي تفكري أحسن وتهندي وذهنك هيبقى أصفى وترتبي أمورك
- - برضه يا هاجر كمان بنت تعيش لوحدها في بلدنا دي حاجة مش سهلة خالص... نظرات الناس ليها والقرف ده كله

قالت مادلين:

- يا لينا ما هي على طول بتتخافك معاكي وصوتكم بيطلع بره وفي أوقات متأخرة... تفتكري الناس بتبص لك ازاي؟! حتى لو ما بيتكلموش في وشك مش هنضحك على بعض ما هي هي... على الأقل في شقة لوحده هترتاحي من الصداق والضغط النفسي ده كله ردت عليها لينا:

- بس مهما كان دول جيران من زمان وعارفينا وأخدوا ع الوضع ده ومش جديد عليهم... قاطعتها هاجر:

- وضع إيه!! مش فاكدة لما جريت وراكي مرة بالسكينة وزنقتك في البلكونة وقمتي ناطة منها ولولا إنكم في الدور الأول كان زمانك مش قاعدة معانا دلوقت!!... دي ست مجنونة ما تزعليش مني والي يخليها تعمل كده مرتين ثلاثة يخليها تعمل كده رابع وخامس وسادس كمان ومين عالم إمتي هتعملها تاني وساعتها هتيجي سليمة ولا هتروحي مننا؟! ما تبقيش سلبية يا لينا إنتي بتشتغلي وبتصرفي على نفسك بقالك سنين وبتعرفي تتعاملي وبتوقفي كل واحد عند حده جوه شغلك وبره شغلك كمان إنما في البيت مستسلمة لإنك تبقي ضحية مش عارفة ليه؟!!!!

صمتت لينا وهي تتذكر بحزن ذلك الموقف الذي حكته هاجر فقد تعودت أن تتناسى لكي تستطيع أن تكمل حياتها دون أن تفقد عقلها وشعرت هاجر بالإحراج لذكرها هذا الموقف دون أن تقصد فقالت لها وهي تربت على يدها:

- أنا آسفة يا لينا لو فكرتك بحاجة ضايقتك بس والله ما اقصدش إنتي عارفة... أنا بس خايفة عليكي بحكم إني عشت معاكي كل الحاجات دي... إحنا صحاب من واحنا عيال صغيرة...

ابتسمت لينا وربتت على يدها بدورها فقاطعتها مادلين:

- يعني وبعدين هو احنا متقابلين علشان نقلبها دراما؟
نظرت لها لينا وسألتها متعمدة تغيير الموضوع فهي لا تريد أن تغوص في ذكرياتها الأليمة أكثر من هذا:

- عاملة إيه يا مادلين؟ وطارق عامل إيه؟

- طارق اتجنن وهيقول لأبوه على كل حاجة النهارده

شهقت كل من لينا وهاجر وقالت لينا:

- يا خبر!! طب وبعدين؟؟؟

- ما اعرفش بقى إيه الي هيحصل بس هو مصر إن الموضوع لازم يبقى في النور ما ينفعش يفضل مستخبي أكثر من كده

- أنا خايفة عليكم قوي يا مادلين... إنتي فاهمة يعني إيه الي هو هيعمله ده؟؟! يعني أكيد باباه هيتصل باباكي... أهاليكم انتم الاتنين عارفين بعض كويس ومسلم ومسيحية مع بعض في مجتمعنا ده.... إنتي فاهمة قصدي طبعاً

- فاهمة يا لينا بس هنعمل إيه بقالنا كتير بنتقابل في السر وبنخرج في السر وبنعمل كل حاجة في السر ومن حقنا نحب بعض في النور زي أي اتنين بيحبوا بعض!!....

- نظرت لينا لهاجر التي قالت وهي تأخذ رشفة من العصير أمامها:
- بتبصي لي ليه يعني هقول إيه مثلاً!!... رايحين في داهية رايحين في داهية ما فيهاش كلام كتير
- نظرت لها مادلين وقالت وهي عاقدة حاجبيها:
- هو انتي لسانك ده بينقط دبش كده طول الوقت!!؟
- ضحكت هاجر قائلة:
- طب خلاص ما تزعليش أهاليكم هيوافقوا وهياخدوكوا بالحضن وهيعملوا لكم فرح في الفورسيزونز
- ضربتها مادلين في كتفها ضربة خفيفة وهي تقول:
- يا غلسة
- ضحكت لينا ونظرت إلى ساعتها ثم قالت لهم:
- أنا لازم أمشي يا دوبك الحق الشغل
- قالت لها مادلين:
- طب نيجي معاكي نسمع شوية مزيكا... إيه رأيك يا هاجر؟
- يلا بينا واهو يبقى أحسن من القرف والمآسي الي عمالين تحكوهالي دي
- ضحكوا الثلاثة وضربوا هاجر بحقائب أيديهم....

وقفت ريم أمام باب عيادة الدكتور (سيف) النفسية وترددت قليلا وعادت إلى المصعد ثم توقفت مرة أخرى واتخذت قرارها وعادت لتدخل العيادة لتبتسم في وجه السكرتيرة الجالسة على مكتب الاستقبال وقالت:

- عايزة أحجز لو سمحتي

- ٢٠٠ جنيه يا فندم

دفعت لها ريم فقد كان اليوم هو أول مرتب تحصل عليه من عملها وقررت أن تستمع لنصيحة سوزي وأشارت لها السكرتيرة أن تجلس فما زال أمامها نصف ساعة... جلست ريم لتنظر حولها... المكان هادئ وإضاءته خافتة ولا يمتلئ بالمجانين كما كانت تشاهد في الأفلام... تشعر بالتوتر وتفكر ماذا ستحي له؟؟ وما الذي سيطلبه منها؟؟ وهل كل ذلك سيجدي نفعا؟؟ هل سيمحو حقا ما فعلته بها السنون والأيام؟؟ قاطعت أفكارها السكرتيرة وهي تقول لها:

- اتفضلي حضرتك الدكتور في انتظارك

طرقت ريم الباب لتستأذن في الدخول رغم أن الباب كان مفتوحا ليتسم لها سيف مشيرا إلى مقعد أمامه وهو يقول:

- أهلا وسهلا اتفضلي

جلست على المقعد نصف جلسة ونظرت إلى سيف نظرة فاحصة لوجهه يبدو في بداية الخمسين على قدر من الوسامة يتخلل شعره الكثير من الشعيرات البيضاء المختلطة بالسوداء في تناسق يعطيه وقارا ويرتدي نظارة بيضاء متماشية مع لون بشرته السمراء وملابسه البسيطة ولكنها مهندمة... ابتسم لها وأخرج سيجارة من علبته ليقدم لها واحدة فأخذتها منه شاكرة إياه فمد لها يده بالولاعة ليشعل لها سيجارتها ثم أشعل سيجارته قائلا:

- إيه بقى الحكاية يا ستي بتشتكي من إيه؟

- ولا حاجة

ضحك ضحكة صغيرة وقال:

- طب عال قوي... أُمال إيه الي خلاكي تيجي لدكتور نفسي؟!

- سوزي صاحبتى هي الي قالت لي أجي لك

نظر لها متسائلا فأكملت:

- سوزي زميلتي شغالين مع بعض في جيمانيزيوم اسمه بلو جيم وهي

قالت إنها تعرفك وجابت لي رقمك من مامتها

بدا عليه التذكر فجأة فقال:

- آآه سوزي... عرفتتها... طب وقالت لك كده ليه؟

- حكيت لها شوية حاجات عني فنصحتني أجي لك وقالت لي عليك

دكتور شاطر وهتساعدني

ضحك من أسلوبها وقال:

- والله موضوع دكتور شاطر ده مش عارف... إنما انتي ممكن تحكي لي

لو عايزة ونشوف نقدر نعمل إيه وما نقدرش نعمل إيه

ابتلعت ريقها من التوتر... فنهض سيف من مكانه وسألها:

- بتجبي المزيكا؟

- أيوه

اتجه نحو اللاب توب ليقوم بالبحث عن أغنية وهو يقول:

- أنا أصلي بسمع مزيكا عجيبة شويتين ما اعرفش بقى هتعجبك ولا إيه
وخرج من الجهاز صوت (Diana Krall) تغني (body & soul)
قالت ريم:

- حلوة المزيكا دي أنا كنت بحب الJazz قوي وانا صغيرة بس ما
بسمعوش كثير دلوقت...

- طب كويس قوي... يبقى الي بسمعه هيعجبك... بلدنا أصلها مليانة
دوشة طول الوقت ومزيكا وحشه قوي وللأسف معظم الناس بقت بتحب
الدوشة دي فاتعودت إنهم بيسغربوا الي بسمعه... والدتي كانت مدرسة بيانو
في الكونسيرفوتوار هي بقى الي عملت فيا كده ربنا يسامحها
- ليه كده بس دي عملت معاك حاجة كويسة... يا بختك فيه ناس
ملقوش أمهات زيها...

- نظر لها نظرة متفحصة بعد جملتها لكسر من الثانية ثم ضحك حتى
لا تلاحظ نظرتة وقال:

- يعني لو كانت ما سمعتنيش الحاجات دي وانا صغير مش كان زماي
دلوقت بني آدم طبيعي زي باقي الناس وبسمع مهرجانات عادي
ضحكت ريم وقالت:

- وهما الي بيسمعوا المهرجانات دول طبيعيين؟؟ دول أكيد عيانين طبعا
- للأسف الي طبيعي دلوقت قليل وهو الي بيبقى غلط وبيتقال
عليه مش طبيعي والي أكثر حتى لو عيان بقى هو الطبيعي... المفاهيم كلها

معكوسة... والناس في مجتمعنا بيهاجموا المختلف طول الوقت علشان
يفكرهم بإنهم شبه بعض وهما مش عايزين يحسوا بده ولا يعترفوا بيه
- عارفة الي انت بتقوله ده كويس قوي وعشت فيه سنين طويلة

شعرت ريم بالراحة في الكلام رويدا رويدا وبدأت تسترسل في
أحاسيسها بالاختلاف وكيف بدأت معها منذ البداية والطفولة حتى لحظة
دخولها عيادته... أنصت لها سيف جيدا بكل انتباه دون أن يبدي أي
رد فعل بملامحه أو حتى بجسده فقط إنصات تام حتى انتهت من كلامها
وفوجئت بدمعة تسقط من عينيها فابتسم سيف ابتسامة غامضة فور
رؤيته للدموع وسحب منديلين من على مكتبه وأعطاهما لها ثم أشعل
سيجارة أخرى وسألها:

- إيه الأدوية الي انتي قلتي إنك بتاخديها؟

أخبرته بأسماء الأدوية والمهدئات فقال:

- الأدوية دي عليها عامل كبير في الأحلام الي بتيجي لك وحالة
الاكتئاب المستمرة معاك... ده غير إنهم إدمان يعني مزاجك بقى معتمد
عليهم علشان يبقى مضبوط

صمت لحظات وأمسك من أمامه ورقة كتب عليها اسما لدواء وقال
لها مكملًا:

- الدواء ده امشي عليه بانتظام... حباية واحدة كل يوم بليل هيساعدك
في النوم كمان وعائزك تقللي الأدوية الي بتاخديها بالتدريج يعني لو بتاخدي

النهارده حبايتين بكرة خليه حبايتين إلا ربع ونفضل نقلل ربع في ربع
لحد ما نوقفهم خالص...

ثم سحب من درج المكتب ثلاث ورقات وأعطاهم لها قائلا:
- دول شوية أسئلة عايزك تتسلي وتجاوبهم وهشوفهم المرة الي جاية
الأسبوع الي جاي في نفس المعاد
- خلاص كده!!

ابتسم قائلا:
- أيوه خلاص كده
كانت تتوقع أن يتحدث معها فيما حكته ولكنه لم يفعل ولم يبد حتى
أي دهشة لما سمع وظل وجهه هادئا كما كان قبل أن تحكي...!!... شكرته
وقبل أن تنصرف ترددت قليلا ثم قالت له:
- معلش يا دكتور سؤال أخير... هو ال ٢٠٠ جنيه دول بيتدفعوا في كل
مرة باجي فيها؟

- لأ.... أول مرة بس
شكرته مرة أخرى وانصرفت ونادى سيف على السكرتيرة وما أن
دخلت حتى قال لها:

- لو الأستاذة ريم الي لسه ماشية جت في ميعادها الأسبوع الي جاي
ما تاخديش منها حق الجلسة...

أمضى نادر ستة أشهر كاملة في تلك المستشفى التي أخذه إليها وائل.... كان قد أنهى المدة التي يحتاجها منعزلاً عن الحياة كما أخبره وائل في بداية الأمر... وقف أمام باب المستشفى هادئاً وقد بدت على وجهه علامات الصحة وزاد وزنه إلى حد ما وتبدو نظرات عينيه ساكنة وهو يضع يديه في جيوبه وينظر للسماء والنجوم فقد كانت الليلة جميلة فالسماء صافية وهناك نسمة هواء لطيفة يشعر بها تمر من بين خصلات شعره فتسري في جسده قشعريرة تجعله يغمض عينيه مبتسماً وهي تدغدغه... انتبه على صوت وائل يأتي من ورائه حاملاً كوبين من القهوة ومد يده لنادر بأحدهما ووقف بجواره ينظر بدوره للسماء وأشعل سيجارة وظل صامتا للحظات ثم نظر لنادر مبتسماً وهو يقول:

- مش جاي لك نوم خالص هاه؟؟

ابتسم نادر واستدار ليجلس على مقعد وراءه ممددا قدميه أمامه واستدار وائل هو الآخر ليستند على السور ووضع القهوة بجانبه وألقى سيجارة من علبته لنادر ليتلقفها ويشعلها لنفسه ثم قال لوائل:

- بصراحة يا وائل خايف.... خايف أخرج للدنيا والناس والشوارع.... حاسس إني تايه ومن كوكب ثاني مش من هنا... مش عارف أنا كنت فين ولا رايح فين.... تعرف؟؟... أنا نفسي أفضل في المستشفى هنا على طول...

- أنا كنت في نفس مكانك ده بالظبط من عشر سنين وبرضه ما كنتش عايز أمشي... صحيح الخروجات القصيرة الي كنا بنخرجها في آخر شهر بتقلل الصدمة شوية بس ما بتمنعش الخوف لازم تحس بيه... بس كمان لازم تواجهه...

- وابويا... مش عارف أتعامل معاه ازاى... وبفضل أتخيل مشاهد هتحصل بيني وبينه وكلها من خيالي مش حقيقية... بس بتخليني أخاف أكثر...

- أبوك يا نادر عارف إنك مبطل... أنا يمكن ما قولتلكش قبل كده بس هو كان بيدفع حساب إقامتك هنا آخر ثلاث شهور... لما اتكلمت معاه هو اللي قرر يدفع من نفسه رغم إن أول ما قعدت معاه وقلت له نادر في المستشفى وأنا المعالج بتاعه قال لي أنا مش دافع ولا مليم لوده اللي انت جاي علشانه بس بعد شوية من القعدة والكلام هو اللي قال لي لوحده أنا هدفع...
نظر نادر إلى السماء مرة أخرى حائرا فابتسم وائل وقال:

- أنا مش بقول لك الكلام ده علشان تتعامل معاه بشكل معين أو أغير من مشاعرك.... خالص أنا بقول لك كده علشان كان لازم تبقى عارف... وعموما أبوك ساب لك البيت وقاعد في شقة اسكندرية وهيجي لك أول كل شهر برضه يدي لك الفلوس اللي كنت بتاخدها زي ما هي... إنت مش مضطر إنك تشغل بالك بالقصة دي دلوقت وخذ وقتك فيها... اهتم أكثر بتبطيلك وازاي تحافظ عليه....

- يا وائل أنا مش عارف أقول لك إيه على كل اللي انت عملته معايا ده... أنا عمري ما كنت أصدق إني ممكن أبطل بمجد...
ابتسم وائل ابتسامة دافئة وقال:

- أنا ما عملتش حاجة أنا عملت معاك نفس اللي اتعمل معايا بالظبط أول ما رجعت من الحرب من عشر سنين فاتوا... الحقيقة إن انت اللي عملت كل حاجة... إنت اللي كنت راجل مع نفسك... أهم حاجة زي ما قلت لك قبل كده

الاستمرارية.... ست شهور تبطيل حاجة عظيمة قوي بس إن احنا نكمل مبطلين ونواجه الدنيا مجلوها ومرها ونفضل مبطلين هو ده الأهم بكثير والي هيساعدك على كده ال (NA) زمالة المدمنين المجهولين الي كلمتك عليها من شهر... الزمالة دي ساعدتني أول ما اتخرجت من المكان العلاجي الي كنت فيه وبرضه كنت عامل نفس الست شهور الي انت عاملهم دلوقت وساعدتني إني أفضل مكمل مبطل لحد دلوقت... هتلاقي ناس كثير هناك شبهك بيعافروا علشان يفضلوا مبطلين وهيقفوا جنبك لو انت بس ادبت لنفسك الفرصة إنهم يساعدوك... روح بكرة أقرب اجتماع ليهم من بيتك وشوف في الجدول الي ادتهولك وجرب مش هتخسر حاجة صدقي... وأنا دايمًا هتلاقيني جنبك وفي ضهرك لو احتجتني...

نظر له نادر وكأنه يريد أن يسأله عن شيء ما ولكنه تردد وظهر علي وجهه وائل ابتسامة تدل علي أنه يعلم بما يدور في تفكيره فقال له:

- رشا لسه بتضرب يا نادر... ابعد عن أي حد بيضرب أو له علاقة بالضرب وبالماضي ده... ده أساس الموضوع كله...

أوماً نادر برأسه موافقا ولم يندهش لمعرفة وائل بما يدور في عقله فليست المرة الأولى خلال الستة أشهر الماضية فلطالما كان يشعر به ويساعده... استعد وائل للمضي وهو يقول:

- أنا همشي بقي علشان الوقت اتأخر... خلي بالك من نفسك... تصبح على خير..

نهض نادر من مكانه احتراماً له رغم أن فرق العمر بينهما ليس بالكبير وهو يقول:

- وانت من أهله

اتجه وائل إلى سيارته وتحرك مبتعدا وهو يلوح لنادر بيده... عاد نادر بعينه للسماء وكأنه يحاول كشف غموض حياته القادمة ثم دخل إلى المستشفى ليعود إلى غرفته...

نادى محمود على نرمين بصوت واهن فجاءته نرمين مسرعة وهي تحمل في يدها كوبا من الماء لتحمل رأسه فوق كفها وتساعدته كي يبتلع دواءه ثم تريح رأسه على الوسادة برفق مرة أخرى وتقبل جبينه وتحاول أن تخفي نظرات الحزن في عينيها عليه وعلى قلبه الذي لم يحتمل رحيل أمها فانهار وجعله طريح الفراش هو أيضا... الملمت بعض علب الأدوية الفارغة وبعض المناديل المستعملة لتعود بهم إلى المطبخ وتلقي بهم في الزباله وتأتي بمشروب ساخن ولكنه استوقفها قائلا بصوت ضعيف من أثر المرض:

- استني يا بنتي عايز أتكلم معاكي شوية

وضعت نرمين ما بيدها مرة أخرى وجلست بجانبه واعتدل هو في جلسته بصعوبة وهي تساعد ونظر إلى وجهها لحظات ليتأمل ملامحها وابتسم ابتسامة مليئة بالدفع وبادلت نرمين الابتسامة قائلة:

- إيه يا بابا... بتبص لي كده ليه كأنك أول مرة تشوفني؟

- عايزك تسمعي كويس يا نرمين... أنا أول مرة شوفت فيها ملاحك بعد ما اتولدت على طول وانتي في إيد أمك الله يرحمها وبتصرخي من العياط حسيت إن قلبي ما بقاش قلبي وإنه فجأة بقي بيدق مش علشان أعيش إنما بيدق

علشان انتي تعيشي.... حسيت إن الحياة كلها الي أنا عيشتها قبلك ما كانش ليها أي لازمة لحد بس لما انتي جيتي الدنيا... حبيتك انتي وامك أكثر من أي حاجة تانية في الدنيا حتى أكثر من نفسي... ما كانش عندي أي أمل في الحياة غير إني أشوفكم مبسوطين ومرتاحين واكون مطمئن عليكم... كنتم كل دنيتي... أول مرة شوفتك دماغي وعقلي وتفكيري لوحدهم بقوا شغالين علشانك وما بقاش تفكيري لنفسي... كله كان في إني ازاي أخليكي مش محتاجة حاجة من حد... ما كانش عندي أي لحظة ممكن اتردد فيها إني أجوع بس تبقى شبعانة أو أمشي عريان بس انتي تلبسي الي نفسك فيه... أموت وانتي وامك تعيشوا... لو كنت أقدر آخذ من أمك مرضها وتفضل هي عايشة سليمة كنت عملت كده عن طيب خاطر لكن ربنا كان له حكمه وحكمته إني أنا الي أدفنها الأول... أنا يا بنتي ظلمتلك من غير ما اقصد... شغلتي في البار وسط الناس السكرانين خلتنني أشوف حاجات كتير قوي وناس أشكال واللوان وخلتنني أخاف عليكي... شوفت بنات كتير من سنك ضاعوا في الدنيا وتاهوا بسبب أهاليهم... كل ده خلاني أتصور إني لما أحاولك زيادة وأقفل عليكي هحيمي من الدنيا ومن غدرها ومن الوجع ومن المستقبل... بس من غير ما اخد بالي بنيت حواليلي سور والسور ده خلاكي ضعيفة... اوعى تفكيري إني ما اعرفش كل الكلام الي كنيت بتحكاه لأمك الله يرحمها عن جيراننا والكلام الي بيلقوا بيه عليكي واتوجعت زيك بالظبط ويمكن أكثر لإني دايم كنت بحس إن أنا السبب في ده وشغلتي هي السبب... بس مش كلامهم هو الي وجعني لإني عارف كويس إن كلهم قلوبهم مليانة بالحق والغل إنما الي وجعني هو إنك أثأرتني بيه جامد وما

عرفتيش ولا مرة تدافعي عن نفسك بقوة... كلامهم ووحاشة قلوبهم خلوكي
تدبلي وتعب أمك هد حيلك ودلوقت كمان تعي... أنا السبب يا بنتي واللوم كله
عليا أنا اوعى تلوي نفسك أبدا... أنا الي غلطت لما ما سيبتكيش تري ضوافر
في صوابك تحربشي بيها وقصقصتها لك بنفسك علشان أشوفك جميلة... كنت
أناني... صحيح انتي بقيتي جميلة وأجمل كمان مما كنت أتصور بس كان لازم
أسيب لك ضوافر علشان تدافعي بيها عن نفسك وكان لازم أسيبك تروحي
وتيجي في الدنيا وتعرفي تبقي قوية وتقفي في وش الناس... إنما السور الي بنيت
حواليكي كان أكبر غلطة غلطتها في حقك... أنا آسف ساحميني يا بنتي...

كانت عينا نرمين تنهمر منها الدموع وهي تحتضنه بكل كيانهها قائلة
- أنا بحبك قوي يا بابا... بحبك أكثر من روجي... إنت وماما الله يرحمها
كل حياتي... وأهم حاجة عندي في الدنيا وما يهمنيش أي حاجة تانية....
إنت أحسن وأحن أب في الدنيا...

- أنا خايف عليكي قوي... هتعملي إيه بعد مني وهتعيشي ازاى مع
الناس دي... الناس بقوا عاملين زي الحيوانات المفترسة بياكلوا بعض
ويمكن كمان بقوا أوحش منهم بياكلوا بعض من غير حق ما يجوعوا!!!...
خايف عليكي قوي بعد ما اموت...

- بعد الشر عليك ما تقولش كده... ما لوش لازمة الكلام ده
- سميرة وحشتني قوي وحاسس إني هشوفها قريب وهمسك إيديها
تاني واحضنها... إمبارح حلمت بيها... كانت زي القمر زي أول يوم شفتها
فيه...

شعرت نرمين بالخوف وقاطعته قائلة:

- إنت لازم ترتاح شوية زي ما الدكتور قال علشان قلبك... كفاية
كلام كده النهارده وحاول تنام شوية
ساعدته على الاستلقاء وقامت بتغطيته جيدا وقبلت جبينه قائلة
بابتسامة مختلطة بنظرات عينيها التي تهتز من بقايا الدموع
- تصبح على خير يا حبيبي...

* * *

أخذ سامح يقلب في أوراق أمامه من ملف عمر وتوقف عند بعض
المعلومات الخاصة بدراسته في كلية العلوم وترك الأوراق ليعود بظهره للوراء
ويهتز بالكُرسي يمينا ويسارا في مكتبه ثم طرق الباب ليدخل منه الأمين
مجدي فيؤدي التحية العسكرية ونظر إليه سامح للحظات دون أن يتكلم
فتوتر مجدي ثم سأله سامح:

- ما فيش أخبار يا مجدي؟

- يا باشا الواد الأرض انشقت وبلعته بعد اللي عمله مع الأمين مسعد
ومش عارفين له أثر...

نهض سامح من مكانه ووقف ينظر من نافذة مكتبه للخارج في هدوء
مريب وزاد توتر مجدي واستدار سامح لينظر إليه قائلا:

- بدمتك مش مكسوف من نفسك انت وباقي التيران الي معاك؟!..

يعني مش بس ما عرفتش تراقبوه لأ ده علم على واحد فيكم كمان.. أنا
ولا كأن شغال معايا شوية نسوان...

نظر مجدي للأرض محرجا... أخذ سامح طبنجته ووضعها في حزامه ومفاتيحه وتوجه خارجا من المكتب تاركا مجدي وراءه... ركن سيارته في جراج الجامعة التي كان يدرس بها عمر وتوجه نحو مكتب عميد كلية العلوم واستوقفه موظف يجلس على مكتب بجانب مكتب العميد قائلا:

- أيوه يا أستاذ حضرتك رايح فين؟

نظر له سامح قائلا بوجه بارد:

- داخل للعميد

- وهي وكالة من غير بواب!! نقول له مين الأول؟

- قول له الرائد سامح زيدان من أمن الدولة

انتفض الموظف من مقعده وأسقط الأوراق التي أمامه من الارتباك والخوف واتجه مسرعا نحو مكتب العميد وهو يقول:

- أنا آسف يا فندم... لحظة واحدة حالا هبلغه... نص لحظة بالظبط

لم تمر بالفعل لحظات حتى خرج وفتح الباب لسامح وهو يقول له رافعا يده بجانب رأسه:

- اتفضل سيادتك

دخل سامح ليجد العميد واقفا في استقباله وراء مكتبه وملامح وجهه متوترة وهو يشير إلى المقعد أمام المكتب قائلا:

- أهلا وسهلا يا فندم اتفضل

جلس سامح على كرسي آخر غير الذي أشار إليه العميد وهو يقول:

- أهلا بيك يا دكتور

- خير يا فندم؟

- خير يا دكتور..

أشعل سامح سيجارة رغم اليافطة الواضحة تماما على المكتب ومكتوب عليها (ممنوع التدخين) ولم يبد العميد أي اعتراض وأكمل سامح كلامه:
- دفعة ٢٠٠٠.. كان فيها طالب اسمه عمر شوقي محمد السعيد... عايز كل المعلومات الي عندك عنه وكل المعلومات الي تخص الدفعة دي سواء ورق أو صور....

- طبعا يا فندم حالا

رفع العميد سماعة الهاتف بجانبه ليتصل بشؤون الطلبة قائلاً:
- أيوه يا ذكريا... هات لي كل الملفات والصور الي عندك الي تخص دفعة ٢٠٠٠ واطلع لي بيها حالا وأي ملف عندك أو معلومات عن طالب من الدفعة دي كان اسمه عمر شوقي آآ...

ونظر لسامح ليذكره بالاسم فرد عليه سامح بهدوء

- محمد السعيد

- عمر شوقي محمد السعيد يا ذكريا.... أيوه يا سيدي كل حاجة عندك في الأرشف وبسرعة...

وضع سماعة الهاتف مكانها واعتدل في مجلسه ليعدل من ربطة عنقه وكأنها تخنقه وهو ينظر لسامح في توتر ورسم على وجهه ابتسامة لزجة قائلاً:

- - هو ما له الواد ده يا فندم؟؟ عمل إيه؟
 كان سامح يقلب في هاتفه وقال له وهو ينظر إليه بكل برود:
 - بشربها مطبوط.. بشرب القهوة مطبوط
 كاد أن ينفجر وجه العميد من التوتر واندفاع الدم في رأسه وهو يطلب
 له القهوة ويطبق فمه تماما...

* * *

لم تقدر لينا على أن ترفض طلب طارق في مقابلتها وأن يمر عليها بعد
 عملها ليتحدث معها قليلا... فقد أخبرها أنه في أشد الاحتياج لذلك... ورغم
 أنها تشعر بالإرهاق الذهني والروحي ولم تعد قادرة على الاستماع لأحد أو
 إلى أي شكل من أشكال المساندة فحياتها كافية جدا بما يملؤها من مشاكل
 وإزعاج وضجر... رغم شعورها بأنها مثقلة من الداخل وأن أذنها تكاد تكون
 مغلقة وقلبها أصبح غير قابل لاستقبال أية مشاعر خارجية فهو ممتلئ على
 آخره ولكن... هي لا تملك غير هؤلاء الأصدقاء الثلاثة ونرمين... رغمًا
 عنها لا تستطيع أن ترد سؤالاً لأي منهم أو أن لا تليي احتياجاً لهم منها... لن
 تحتمل شعورها بالذنب أو بتأنيب الضمير وسط كل ذلك الفيضان من المشاعر
 بداخلها... وصل طارق للمكان الذي تعمل به في تلك الليلة قبيل انتهائها وما
 أن رآته حتى ابتسمت له ابتسامتها الطيبة المعتادة وأومأت له أن يجلس على
 منضدتها فقد كانت تتحدث مع شخصين وعندما أنهت حديثها أشارت له أنها
 ستنذهب للحمام سريعا وتعود لينصرفوا... خرجا معا وركبا تاكسي واتجها إلى
 أقرب مقهى هادئ يعمل في تلك الساعات المتأخرة وسألته بعد أن جلسا:

- عامل إيه يا طارق؟

- والله يا لينا مش عارف أقول لك إيه بالظبط ولا أعبر ازاي عن اللي
جوايا بس كل اللي أقدر أقولهو لك إن أبويا طردني...

- طردك!! إزاي؟

- أول ما قلت له ع العلاقة اللي بيني وبين مادلين اتعصب جدا وزعق
جامد وقال لي انت بتقول إيه وازاي تعمل كده!! وقعتت أقول له إزاي إيه!!
وانا عملت حاجة غلط!! أنا بقول لحضرتك إني حبيتها وما توقعتش إن
دي حاجة تضايقك للدرجادي خصوصا إنك عارفها وعارف أبوها وصاحب
عمرك ومامتها صحابة ماما أنا ما بتكلمش عن حد غريب ما تعرفوش!!!...
تخيلي يا لينا يرد يقول لي إيه؟؟... قال لي إني مش من حقي الحب ده وإني
ضحكت عليها وما ينفعش ده يحصل لأن دي علاقة محكوم عليها
بالفشل!! زي ما يكون احنا بنختار نحب مين وما نخبش مين!! ولما سألتها
ليه؟ قال لي انت بتستهيل!! وانت يعني مش عارف؟؟!! قلت له علشان هما
مسيحيين واحنا مسلمين صح؟ قال لي أمال انت شايف حاجة تانية غير
كده؟؟!! قلت له بس يا بابا ده صاحبك وعمو سمير بالنسبالي زي حضرتك
بالظبط ووطنط ماري زي ماما وطول عمرنا كده!! إيه يعني هما مسيحيين
وهما مسلمين أنا مالي أنا ومادلين مش فاهم؟؟

توقف طارق عن الكلام للحظات اقترب فيها النادل ليسألها عما
يريدان أن يشربا وأعطاه كل منهما اختياره سريعا ثم عادت لينا بنظرها
لطارق قائلة:

- وبعدين... كمل يا طارق..

- قال لي يا ابني انت فاكرنا عايشين في أوروبا؟ إحنا في مصر والي انت بتقول له ده ما ينفعش يحصل وبعدين انت مش عيل صغير بشورت علشان أفهمك!! إنت مهندس وراجل كبير بغل!! يعني المفروض تكون فاهم لوحذك الكلام ده إنما انت بتستهبل وضحكت ع البت ومليت عقلها بكلام فارغ وجاي دلوقت تحطنا قدام الأمر الواقع وتودينا كلنا في داهية!!! قولت له:

- أوديكم في داهية!! هو الحب يودي في داهية!!

- حب إيه ونيلة إيه!! هي من دين وانت من دين!! إنت حمار ليه ومش

فاهم!!!

- طب ولو كانت أجنبية كنت هتوافق؟

تأفف الأب ثم قال:

- الأجانب حاجة واحنا حاجة... إحنا هنا في مصر والي انت بتقول له ده يحبسك ويفتح علينا نار جهنم والهبل اللي بتعمله هيقضي على أسرتين وممكن يتشردوا طول عمرهم وتقول لي حب وشغل عيال صغيرة!!

- الحب مش شغل عيال صغيرة أنا مبادئ حد

- لا انت بتأذينا كلنا... أنا وامك وبتأذي مادلين كمان وابوها وامها...

ده اسمه استهتار وقلة عقل..

- طب سؤال يعني حضرتك ما عندكش مانع في إني حبتها بس المشكلة

في المجتمع؟؟ لو كده سهلة نتجوز ونسافر نروح أي بلد تانية نعيش فيها

- ولما تخلفوا عيل هتخلوه إيه بقى؟ مسلم ولا مسيحي؟؟
- مش هتفرق معنا الحكاية دي
- لأ هتفرق إنت لسه صغير ومش فاهم حاجة
- لأ أنا مش صغير أنا كبير وحضرتك اللي لسه قايل كده بنفسك
- ثار الأب فجأة وقال لطارق بأعلى صوته:
- بقول لك إيه!! ما فيش حاجة اسمها مسلم يتجوز مسيحية وأنا
- مش موافق على الكلام الفارغ ده ومش هسمح لك تودينا كلنا في داهية ولا
- إنك تبوظ صداقتي بصاحب عمر والكلام ده تنساه فورا وتصرف عنه نظر
- خالص وكإني ما سمعتوش
- لأ... أنا آسف يا بابا أنا ومادلين بنحب بعض ومش هنتخلي عن
- حبنا ده علشان شوية عادات وتقاليد متخلفة ومجتمع جاهل... وما تقولش
- صاحب عمرك بس لأنه لو صاحبك مجد زي ما بتقول ما كنش هيبقى
- عندك مشكلة مع دينه وكنت هتفرح لنا وتقف في ضهري في وش الدنيا
- إنت قليل الأدب ولو عايز تنفذ اللي في دماغك ده يبقى لا انت ابني
- ولا عايز أشوف وشك تاني وتلم حاجتك وتغور بره البيت ده حالا
- كانت ملامح طارق كلها منفعلة وقد احمر وجهه من الحزن والغضب
- وشعرت لينا بالتعاطف والحيرة رغم أن ردوده على والده كانت على وشك أن
- تجعلها تضحك ولكنها كتمت الضحك لكي لا تخرجه... لم تعرف ماذا تقول
- له فهو ومادلين صديقيها وتحبهما جدا وتعرف أنهما يحبان بعضهما البعض

حقا من قلوبهم ولكنها تعرف أيضا جيدا أن أباه على حق... فهذه العلاقة محكوم عليها بالإعدام في مجتمعنا وقد تؤدي لمشاكل كبيرة بالفعل كما قال له... فأثرت أن تتكلم من ناحية أخرى قائلة:

- طب وانت قاعد فين دلوقت؟

- قاعد عند واحد صاحبي عايش لوحده

- مش عارفة أنا شايقة إنك ترجع البيت وتتكلم مع باباك ثاني هو بيحبك وخايف عليك ويمكن لو اتكلمت معاه بطريقة أهدا من كده توصلوا لحل

- مش راجع ثاني وهتصرف علشان أتجوز مادلين ونسيب لهم البلد دي ونمشي خالص

- طب ومادلين عملت إيه مع باباها ومامتها؟

- هي كمان هتقول لهم بكرة مش عارف بقى اللي هيحصل بس أنا مش هسمح لحد ياذيها ولا يلمس شعرة واحدة منها إن شاء الله لو هرتكب جناية كان هاتف لينا يظهر رقم أمها تتصل دون توقف كالمعتاد تحضيرا للشجار اليومي الأبدي عندما تعود فضغطت بإصبعها على الهاتف لكي تجعل رنينه صامتا وهي تقول لطارق:

- طب اهدا بس وتعالى نمشي علشان الوقت اتأخر قوي والنهار قرب يطلع وروح انت دلوقت عند صاحبك ويأذن الله ربنا هيحلها لما نشوف إيه اللي هيحصل مع مادلين

- أنا آسف يا لينا أنا عارف إني دوشتك وأخرتك ع البيت وانتي تعبانة
من الشغل وفيكي الي مكفيكي من المشاكل والقرف...
- بس يا ابني بلاش هبل إيه الي انت بتقول له ده إنتم اخواتي انت
ومادلين... يلا بينا وربنا هيحلها ويسترها إن شاء الله...

* * *

أخرج نادر يده من نافذة التاكسي ليداعب بها الهواء ويحاول دفعها
للأمام عكس اتجاهه وعينه تتأمل الناس وهم يتحركون في الشوارع
وقد اقترب من بيته... عقله لا يتوقف عن التفكير في الذكريات وكأنها
صور سريعة تمر رغما عنه وراء بعضها البعض وبدأت الذكريات تصبح
أكثرها مشاهد للمخدرات ومواقف مر بها أثناء رحلة التعاطي وكلما مر
بجانب مكان كان يتعاطى فيه أو يقابل فيه تاجرا أو يسكن به أحد رفقاء
الضرب يجد عينيه تلتفت إليه دون أن يشعر... كل الأماكن مرتبطة
معه بالمخدرات... فقد تماما القدرة على التحكم في سيل الذكريات وفي
عينيه... أشعل سيجارة محاولا تشتيت ذهنه بأية وسيلة وما أن وصل عند
البيت حتى تزايدت ضربات قلبه وتملك منه الخوف... تذكر رشا عندما
كانت تأتي معه هنا وأباه وكيف كان يصب عليه غضبه وهو صغير وتذكر
كيف استنزفه هو بدوره أثناء سنين الضرب الطويلة وقفز إلى عقله المشهد
الأخير بينهما عندما دفعه وسقط أرضا... شعر بقبضة في قلبه واختلطت
عليه الأحاسيس ما بين غضب وحزن وغل وندم... مشاعر عكس بعضها
البعض وتصدر الخوف وتغلب عليهم جميعا ليسيطر عليه تماما لدرجة أن

قدميه لا تطيعانه وتسمر أرضا وكأنا أصيب بالشلل.... أخرج هاتفه من جيبه واتصل بوائل:

- ألو أبوه يا وائل... أنا تحت البيت

- حمد لله على السلامة

- أنا خايف قوي لدرجة إني مش قادر أتحرك من مكاني وخايف أطلع...
وعندي أفكار ضرب كثير... عمال أفكر كل حاجة..

- ده طبيعي يا نادر... ما تتخضش... أبوك كده مش فوق وفي
اسكندرية زي ما قلت لك... اطلع وانا معاك ع التليفون لحد ما تخش
البيت..

ظل وائل يتكلم معه ليشئت انتباهه وتفكيره عن المخدرات حتى دخل
البيت وقال له نادر:

- أنا دخلت البيت خلاص

- طيب يلا طلع هدومك من شنطتك ووضبهم في دولابك وروق
أوضتك كده وظيفتها وخش خد لك دش لطيف وزى ما اتفقنا شوف
الجدول وأنهى اجتماع NA قريب ليك وروح احضره وقول لي واقف على
باب الأوضة إنك أول مرة تحضر اجتماعات... وكلمني لو احتجت حاجة أنا
موجود...

- متشكر يا وائل

- يلا خلي بالك من نفسك

أنهى نادر المكالمة وتوقف في منتصف الشقة ينظر حوله... يشعر كأنه يرى البيت لأول مرة منذ سنين طويلة والأغرب أنه يشعر بالجدران وكأنها تتنفس ورائحة البيت!!... كيف نسي تلك الرائحة المميزة إنها تذكره بأمه وبنفسه منذ عشرين عاما قبل أن يغرق في عالم المخدرات... نفس إحساسه عندما شعر لأول مرة في المستشفى برائحة القهوة والهواء والطعام وكأنه طفل صغير يولد من جديد ولم يكن يصدق نفسه... كيف سرق منه الهيروين كثيرا من الحواس؟!.... دخل غرفته ووضع حقيبته على منضدة قريبة ليتوجه نحو النافذة ويفتحها لينظر خارجها نحو الشارع والحديقة الصغيرة الدائرية التي تتوسط البنايات وذهبت عيناه رغما عنه نحو نافذة غرفة لينا... ترى كيف حالها الآن؟؟... استدار ليرى معالم الغرفة جيدا على ضوء الشمس القادم من النافذة وخيل إليه أنه يرى نفسه طفلا وهو يلعب بعجلته الصغيرة وتدخل عليه أمه من الباب لتخبره أن يترك اللعب ويأتي ليتناول طعام الغداء فيترك عجلته سريعا لتسقط على جانبها ويجري نحو الخارج ويقفز على كرسي أمام منضدة السفرة فينهره أبوه وتأتي أمه لتأخذه في حضنها وتجلسه على قدميها لتجعله يهدأ ويتناول طعامه فيقول لها أبوه:

- خليكي كده دلعيه لحد ما يطلع عيل بايظ

- يا راجل الواد لسه صغير فال الله ولا فالك

يعود نادر لوعيه فجأة ليجد نفسه واقفا في منتصف الصالة ينظر إلى المكان الذي كان به منضدة السفرة قديما وترقرقت الدموع في عينيه وعاد إلى غرفة نومه مرة أخرى واتجه نحو سريره وانخفض على ركبتيه ليمد ذراعه

أسفله ويخرج اللوحات القديمة الملفوفة حول نفسها ثم علبة كبيرة لينفض من عليها التراب ويفتحها ويتفقد ما بها من ألوان وأقلام فحم وريشاته القديمة وزجاجات الألوان فيغلقها ويضعها بجانبه في حرص ويمد يده مرة أخرى ليخرج الحامل الخشبي الكبير ويضعه في ركن الغرفة كما كان قديما وينظر إليه ليتذكر نفسه وهو شاب في بداية المراهقة جالسا يرسم وصوت محمد منير يغني من ورائه (بالظبط الشعر الي بحبه الطول واللون والحرية) ووالدته تدخل عليه تحمل في يدها كوبا من عصير الطماطم الذي كان يعشقه من يدها فيقبل جبينها ويقتحم ذكرياته فجأة أبوه وهو يتشاجر معه ويقذف بقدمه الحامل الخشبي علي الأرض ويعنفه بشدة ويذهب هو نحو الحامل متلهفا ليرفعه من على الأرض ويحتضنه وكأنه يعتذر له عن أي ضرر ألم به من ركلة أبيه... خرج من ذكرياته وهو جالس على طرف سريره ليتنهد تنهيدة حارة... فينهض من مكانه ويذهب نحو شرائط الكاسيت القديمة ويختار شريطا لمنير وينفض التراب المتراكم على الشرائط وعلى جهاز الكاسيت القديم ويضع الشريط ليخرج من الكاسيت صوت منير يغني (شبابيك الدنيا كلها شبابيك والسهر والحكاية والحواديت كلها دايرة عليك والكلام كان كان عليك والي كان خايف عليك انتهى من بين إيديك دي عينيك شبابيك)... نفص عن نفسه الذكريات واتجه نحو حقيبتها ليفتحها ويبدأ في ترتيبها وتوضيب غرفته والاستعداد للاستحمام والذهاب لأقرب اجتماع كما قال له وائل....

دخلت ريم العيادة مرة أخرى في الميعاد كما حدده سيف وعندما رآها
ابتسم قائلاً:

- إزيك يا ريم.. تعالي اتفضلي

ابتسمت وجلست وهي تقول:

- إزيك انت يا دكتور

- محبتك تاني في المعاد مؤثر صحي معناه إنك بقيتي أحسن

- الحمد لله... الحقيقة أنا نمت امبارح لأول مرة من كثير قوي من غير

أحلام وده اللي شجعني آجي تاني

- كويس قوي يبقى أكيد وقفتي الأدوية

- أيوة أول امبارح كان أول يوم من غيرهم ما عدا الدوا اللي انت

كتبتهولي بس

- نهض سيف من مكانه ليجلس على الكرسي المواجه لها أمام المكتب

وأخرج من علبة سجائره سجارتين أعطى واحدة لريم وأشعلها لها وأشعل

الأخرى لنفسه ونظر لها في عينيها بجدية قائلاً:

- بصي يا ريم... عايز أقول لك حاجة مهمة قوي...

انتبهت ريم وأكمل سيف:

- اللي حصل ده مش معناه إن الأحلام والأرق والهلاوس دي مش

هتيجي تاني إنما احنا عملنا أول خطوة في العلاج وهي إننا وقفنا مضادات

الاكتئاب اللي كنتي بتاخذيه والي كانت جزء من السبب... بس فيه حاجات

تانية برضه مهمة قوي ويجوز تكون أهم كمان من الأدوية ولو أهملناها تخلي الانتكاسة تحصل تاني وترجعي تتعبي أكثر كمان من الأول...
سألته ريم:

- إيه الحاجات دي؟

- الحاجات دي بتبقى عايشة جوه دماغنا وأرواحنا ومعيشة فيها وبتستحوذ على تفكيرنا وأحاسيسنا من غير ما ناخذ بالناس وجودها... وإننا نقدر نشوفها دي أهم خطوة في العلاج وأصعب خطوة وبعد كده كل حاجة سهلة قوي... بس أنا لوحدي مش هقدر أخليكي تشوفي الحاجات دي هحتاج مساعدتك.. لازم تساعدني إني أخرجها أوريها لك علشان مفتاح باب الاوضة اللي هما فيها معاك انتي بس مش معايا ولا مع أي حد تاني...
- أنا مش فاهمة قوي موضوع المفتاح ده... بس قل لي أنا المفروض أعمل إيه بالضبط؟

- تثقي فيا

- أنا واثقة فيك طبعا ولو مش واثقة فيك ما كنتش جيت لك تاني
ابتسم في هدوء وعاد بظهره للوراء قائلا:

- لأ... إنتي حاطاني تحت الاختبار بس
توترت ملامحها قليلا فأكمل سريعا:

- عموما مش مهم تثقي فيا حالا لأن ده ما ينفعش يحصل أصلا...
بس أنا عايزك تتأكدي من حاجة واحدة... خلال السنين اللي فاتت دي

كلها عقلك الباطن خلق طريقة قوية قوي لصد الناس عنك أو عن الدخول لجواكي وحواجز علشان ما يقربوش منك قوي... ودايما كل الناس واقفين ورا أسوار كتير على حسب مسافة كل واحد فيهم منك وانتي عايزاه يقرب لحد فين وكل واحد منهم متخيل إنه جوه منك وما يعرفش إنه بره برضه... فيه سور واحد بس ده الي وراه الأوضة الي قلت لك عليها... السور ده أنا وراه وعقلك الباطن مش هيسمحلي أعدي السور ده أبدا إلا في حالة واحدة بس إنك انتي الي تسمحي لي... بدليل إنه بيحاول يشكك فيا دلوقت وبيقول لك (خلينا نشوف آخره إيه)...

توترت ملامحها أكثر لرؤيته ما يدور في عقلها ولم ترد... ابتسم سيف مرة أخرى وهو يقول:

- الأوضة الي بقول لك عليها دي يا ريم عالم تاني كبير قوي جوه منك... وعایش فيه أشخاص ممكن يكونوا في الحقيقة ماتوا وممكن يكونوا لسه عایشين وأحداث كتيرة بتحصل جواه... إحنا هنساعد بعض إننا ندخل العالم ده ونخرج الأشخاص دي من هناك وشوية الأحداث الي بتحصل نفرزها ونشوف مع بعض إيه فيها الي حقيقي وإيه وهم بس بيان شكله حقيقي... ونوضب الأوضة وننصفها ونرتبها وبعدين نقفلها تاني والمفتاح هيفضل معاك... وفي أي وقت حبيتي نخرج منها ورفضتي نكمل هنخرج فوراً... اتفقنا؟

أومأت ريم برأسها موافقة بجذر فقال سيف مغيرا الموضوع:

- حليتي الورق الي ادتهولك؟

- أيوه

وأخرجت الورق من حقيبتها ولكنه استوقفها قائلاً أنا مش عايز أشوفه... أنا هدي لك نفس الورق ده ثاني بنفس الأسئلة الي فيه وانتي ماشية بعد الجلسة بتاعة النهارده علشان تحليه ثاني بس المرة دي هتحليه وانتي عارفة إني مش هشوفه ولو تحبي تقطعيه بعد كده كمان براحتك... وفتح درج مكتبه ليخرج ورقة واحدة ليعطيها لها قائلاً:

- الورقة دي فيها نسب مئوية وأسئلة عن أحاسيسك تجاه حاجات معينة... كلها صح وغلط بس ما فيهاش تفاصيل... جاوي على النسب الي فيها وأد إيه صح وأد إيه غلط وهي دي بس الي أنا هشوفها... يلا بينا نبتدي الجلسة؟

- ماشي

مد سيف يده ليقوم باختيار أغنية من اللاب توب كعادته فيخرج منه صوت (Norah Jones) تغني (Come away with me) في نعومة وهدوء... وبدأ يحدثها عن ألها ويجعلها تتذكر أدق التفاصيل التي لم تحدث عنها في المرة السابقة وتخطتها عمدا أثناء كلامها وبدأ يحدثها عن أمها وتحديدا كل مناطق الوجد التي كانت قاسية عليها واستحضر معها اللحظات المؤلمة التي حاول عقلها الباطن أن يجعلها تنساها واحتفظ بها في أعماق مكان بداخلها أو بمعنى أصح جعلها تظن أنها قد نسيتها ولكنها لم تنساها أبدا فقد تلاعب بها وظل يتحكم فيها للتعامل بعقلها الواعي بناء على تلك الذكريات وبناء على توجيهاته دون أن تشعر وتصبح معظم ردود فعلها في الحياة ناتجة عن تلك اللحظات من خيبات الأمل والصدمات الشديدة والأشياء المخزية

والإهانات التي تركت شرخا كبيرا في القلب وحزنا شديدا دفينا... ظل ينبش بداخلها ويساعدها أن تتذكر وتحكي وبكت وكان بكائها هذه المرة حقيقياً جداً وليس كالدموع التي كانت تسقط منها معظم الأوقات فيما سبق فقد كانت تبكي كحيلة لخداع أحدهم أحيانا وكوسيلة للهروب أحيانا أخرى... ولكن تلك الدموع كانت من أعماق قلبها فقد كانت تبكي من أجل نفسها حقاً وشعرت بعدها براحة غريبة... ناولها سيف منديلا وهو يقول:

- كفاية كده النهارده وخلينا نتقابل الأسبوع الي جاي في نفس الميعاد... امشي على نفس الدوا زي ما انتي بس ثلاث أيام وتبتدي تاخدي نص قرص بس...

نظرت له ريم وهي تنهض نظرة بها شعور بالاطمئنان وقالت:

- متشكرة يا دكتور

ابتسم لها قائلاً:

- خلي بالك من نفسك... مع السلامة...

طرقت مادلين باب مكتب سمير أبيها وفتحت الباب لتجده واقفاً أمام المكتبة الكبيرة الممتلئة بالكتب بعرض الحائط وطوله ممسكا بكتاب ما يقرأ به شيئاً ولم ينظر إليها فدخلت لتجلس على كرسي وهي تدعك كفي يديها ببعضهم البعض من التوتر... ترى لماذا طلب والدها رؤيتها والتحدث إليها وحدهما في المكتب؟؟ هل عرف بوضعها هي وطارق؟؟ بالتأكيد عرف به فهي لم تستطع أن تبلغه بنفسها كما قالت لطارق لقد جيت ولم تتمكن

من أن تستجمع شجاعته... خلع والدها نظارته ونظر إليها ثم أغلق الكتاب ليضعه مكانه بكل حرص ثم اتجه نحو كرسي أمامها وجلس واضعا ساقا على ساق يتفحص وجهها وظلت هي تقلب عينيها بين عينيها والأرض.. قال لها بعد لحظات من الصمت حطموا أعصابها تماما:

- متهيأ لي انتي عارفة أنا ندهت لك ليه هنا لوحدنا؟... صح؟

- علشان موضوع طارق

- عمك حسين كلمني في التليفون وحكي لي كل حاجة... كان بيعتذر لي ويقول لي إنه ما لوش دعوة بالحكاية دي وما يعرفش عنها حاجة وإن لما طارق قال له طرده من البيت...

ظلت نظرات مادلين حائرة تبحث عن أي كلمات تقولها ولكن الكلام تاه منها من الخوف فأكمل هو:

- أنا ربيتك يا مادلين على الحرية والاستقلالية... ربيت فيكي القوة وإنك تقدري تفكري وتأخدي قراراتك بنفسك من غير رقابة مني وما اعتقدش إني عاقبتك في يوم من الأيام وانتي كمان برضه ما خذلتنيش ولا مرة وما استخدمتنيش الحرية دي غلط ودأبما كنت بتشرف بيكي وبحس إنك صورتني قدام الناس اللي بتباهي بيها... زمان كان نفسي أخلف ولد لكن لما جيتي الدنيا حبيتك واديتك كل حاجة ممكن تحتاجيها ولما كبرتني حسيت إني كنت غلطان إني اتمنيت الولد لأنك اديتيني الحنية واللي الولد ما كا نش هيديهالي... حسيت ساعتها إن مشيئة ربنا ليا كانت أحسن من مشيئتي... تفتكري هتفضلي زي ما انتي عند ظني فيكي ولا هتبقى في الآخر سلاح يكسرنني ويخليني أمشي باصص في الأرض؟؟

سالت دموع مادلين ولم تجد أي إجابة تصلح أن تجيبه بها وشعرت كأن عقلها قد توقف عن العمل أمام كلمات أبيها... تأكد سمير من أن كلماته قد وصلت لمكانها داخل قلب مادلين فنهض من مكانه وذهب إلى مكتبه ليأخذ من علبة فخمة عليه سيجارا ليشعله ونفث دخانه في سقف الغرفة لينظر نحو مادلين التي تحاشت نظراته تماما وسألها:

- بتجيبه؟

أومأت برأسها في صمت:

- نمت مع بعض؟

توترت مادلين ولم تجب فاقترب منها وتوقف خلفها ليضع كفه على رأسها مربتا عليها ليطمئنهما مكملًا:

- أنا عارف إنك شجاعة وعارف كمان إنك بتثقي فيا وإنك عمرك ما هتكدي عليا.. إحنا طول عمرنا صحاب وصرحنا مع بعض.. نمت مع بعض؟؟
- مش بالضبط... أنا فيرجين وهو احترام ده جدا وما حاولش ولا مرة يغير من ده... بالعكس يمكن ساعات كمان هو الي كان بيوقفني علشان يحافظ عليا...

ظهرت على وجهه علامات الارتياح وصمت قليلا يفكر ثم قال لها:

- أنا عايز أشوفه... خليه يجيني...

نظرت له في لهفة وكأنها تتأكد مما يقوله فابتسم لها وهو يقول:

- كلميه خليه يجيني بعد بكرة هنا على الساعة ٦

ابتسمت ونهضت لتطبع قبلة على خده وهي تقول:

- حاضر هكلمه حالا... عن إذن حضرتك

ما أن خرجت من باب المكتب حتى تلاشت الابتسامة من على وجه أبيها وانقلبت ملامح وجهه للغضب وأطفأ السيجار في المطفأة وكأنه يسحقه.....!!

وقف نادر أمام باب غرفة اجتماع زمالة المدمنين المجهولين مترددا وخائفا ولمحه شخص يقف أمام الباب في حيرة فاقرب منه قائلا وهو مبتسم ابتسامة مرحبة:

- تعالى خش في مكان جوه

- أنا أول مره آجي

تهللت أسارير الشخص وأجلسه في أقرب مقعد وأشار لشخص آخر في مقدمة الغرفة يجلس على مكتب يدير الاجتماع ويبدو أنه فهم الإشارة فابتسم الشخص الآخر بدوره وقال:

- فيه حد قاعد معانا بيحضر اجتماعاتنا لأول مرة... عضو جديد؟

فقام نادر من مكانه رافعا يده فربت على كتفه الشخص الأول ليجلس قائلا بصوت منخفض:

- ما تقومش تقف خليك قاعد عادي وقول اسمك الأولاني بس

فنظر نادر نحو المدير مرة أخرى وقال:

- أنا نادر

فوجئ بكل الحاضرين يردوا عليه في نفس واحد (أهلا نادر) احمرت أذناه خجلا وشعر وكأن حرارته ترتفع والعرق يزداد على صدره عندما نظروا إليه جميعا ذاكرين اسمه... بدأ المدير يقول له وهو ينظر إليه:

- إحنا زمالة من رجاله وستات مدمنين متعافين اجتمعوا مع بعض علشان يساعدوا بعض للبقاء ممتنعين عن التعاطي لليوم فقط... بنجتمع كل يوم هنا وفي كذا مكان هتلاقي عناوين الأوض بتاعتنا في جدول هيدوهلك السكرتير وأشار للشخص الأول الذي استقبله على الباب ثم أكمل:

- إحنا ما بنتقاضاش أجر وما لناش أي رسوم اشتراك أو مستحقات وأي شخص يقدر ينضم لينا ويكون عضو معنا إذا شاف إنه عنده مشكلة مع المخدرات... إحنا ما بنركزش على الاختلافات الي ما بينا وبنركز على التشابهات وما يهمناش نوع المخدر الي كنت بتتعاطاه أو كميته أو مدة التعاطي ولا يهمنا فقرك أو غناك أو دينك أو إلحادك أو لونك أو جنسيتك أو حتى ميولك الجنسية... إحنا ما بنهتمش غير بحاجة واحدة بس إنك عندك مشكلة مع المخدرات وازاي نقدر نساعدك في البقاء ممتنعا...

رحب به مرة أخرى وأشار لجميع الحاضرين ليبدأ كل واحد منهم في ذكر اسمه الأول وفتره امتناعه ليعرفوه على أنفسهم ويعطوه الأمل... ووقعت عينا نادر على ذلك الشخص واندهش عندما رآه فقد ذكر اسمه وقال وهو يتسم له ويغمز بعينه:

- أنا سالم مدمن... مبطل خمس سنين وسبع شهور ويومين... برحب بيك يا نادر

عندما ذكر اسمه تأكد نادر أنه سالم بالفعل فقد كانوا يتعاطون معا دوما منذ سنين ولكنه اختفى فجأة وكان يظن أنه قد توفي بجرعة زائدة أو سجن... تغير شكله كثيرا... نظراته أكثر هدوءا ووجهه أكثر نضارة وملابسه مهندمة ونظيفة... وبدأ الاجتماع وظل نادر يستمع لكل ما يقرأ ويقال ولا يستطيع أن يفهم معظم ما يقولونه حتى انتهى الاجتماع بدعاء دعوا به جميعا في صوت واحد وهم متشابكي الأيدي (اللَّهُمَّ امنحنا السكينة لتقبل الأشياء التي لا نستطيع تغييرها والشجاعة لتغيير الأشياء التي نستطيع تغييرها والحكمة لمعرفة الفرق بينهما)... وتهافت عليه الحضور يسلمون عليه ويحتضنونه مرحبين به بحرارة وكأنهم يعرفونه من قبل!!!... لم يعرف لماذا اهتموا به كل هذا الاهتمام ولكنه شعر بقدر من الأمان مطمئن.. وظل يبحث بعينه عن سالم في وسط الزحام حتى جاءه النداء من خارج الغرفة:

- يا نادر... هنا أهو

نظر ناحية الصوت ليجد سالم واقفا مبتسما له فاتجه ناحيته وهو يقول:
- سالم!! مش ممكن أنا كنت فاكرك مت ولا اتسجنت... إنت لسه

عايش يا ابن الحرام!!

ضحك سالم قائلا:

- عايش يا سيدى ومبطل أهو... هو ده عموما الي كان هيحصل لو ما

كنتش بطلت... أنا مبسوط قوي إني شوفتك هنا...

- شكلك اتغير قوي يا سالم... نصفت يلا

ضحك سالم مرة أخرى وهو يتأبط ذراعه قائلا:

- يلا بينا نمشي نروح نشرب حاجة ع القهوة واعرفك على باقي الشلة فيه ناس هتتخض لما تعرف إنهم لسه عايشين زي ما حصل لي أول ما جيت برضه وشوفتهم في الاجتماع...

توقف فجأة وكأنه تذكر شيئا فسأله:

- أخذت ياض الميدالية البيضاء؟؟

- أيوه الراحل الي كان واقف على الباب إدهالي هي والجدول

قالها نادر وهو يظهر له الميدالية البيضاء المكتوب عليها مرحبا في يده فضحك سالم قائلا:

- كويس قوي أصل دي عيال حرامية كلها وانا عارفهم كويس

ضحك نادر هو الآخر وهو يقول:

- لسه دمك خفيف زي ما انت الحاجة الوحيدة الي ما اتغيرتش فيك

- طب يلا بينا يا عم أحسن أنا كده هعيط هههههههههه... خلينا نشرب

كباية قهوة وتحكي لي بقى الدنيا شكلها إيه معاك...

- نااادر!!

صرخت فجأة رشا وهي تصحو من النوم لتجد نفسها ممددة على الأريكة تنظر حولها... ليس هناك أحد... يبدو أنها نامت دون أن تشعر من كثرة الضرب وحلمت بنادر... مسحت وجهها وأنفها بكفها واعتدلت في جلستها لتنظر إلى المنضدة أمامها... عليها سرنجة مستعملة وطبق به الهيروين المطحون...

أصبحت تتعاطى عن طريق الحقن منذ رحيل نادر... أمسكت بالسرنجة في يدها وسرحت بأفكارها... تذكرت والدها وهو يدق الباب فتذهب هي بسرعة لتقف على أطراف قدميها الصغيرتين لتستطيع أن تصل بيديها إلى مقبض الباب وتفتحه وما أن رأت وجه والدها وابتسامته لها حتى ألقت بنفسها في أحضانه... كانت طفلة فائقة الجمال وتمتلى ملامحها بالبراءة... تعشق والدها وأمها وكانا كل حياتها... أسرة صغيرة متوسطة الحال وهادئة... تتذكر جيدا تفاصيل تلك الأيام الدافئة وتذكر أمها وهي تحنو عليها وتهدهدها على حجرها وتلعب في شعرها وهما يشاهدان التلفاز... عندما بلغت الحادية عشرة من عمرها بدأت تشعر بعلامات الأنوثة... وطرقت أبواب جسدها أحاسيس جديدة عليها شيئا فشيئا ولاحظت نظرات الصبيان لها خارج المدرسة وهي ذاهبة أو عائدة منها إلى البيت ونظرات أبناء الجيران... كانت تشعر بلذة فطرية في نظراتهم وتحمر وجنتها خجلا... وكان ذلك اليوم عندما اجتمع أبوها وأمها مع ذلك الرجل في المنزل... كانت وقتها في السابعة عشرة من عمرها والفرحة تسيطر عليها تماما فالرجل يريد أن يتزوجها... ستصبح سيدة ناضجة كأمها وستعيش قصة حب جميلة كما تشاهد في الأفلام الرومانسية القديمة التي تعشقها... تم الزواج سريعا جدا دون حتى خطبة!!!... كان أبوها وأمها يريدان الاطمئنان عليها في عهدة رجل خاصة أنها فتاة مفعمة بالأنوثة بشكل زائد وهم يخافون عليها من أن يتلاعب بها أحد... فمفاتنها وجسدها الثائر مبكرا سيجعلها مطمعا وعرضة للكثير من الإغراءات بالإضافة إلى أن هذا العريس ميسور الحال وسيجعلها تعيش عيشة رغدة ولم يكن رافضا

لأي شروط ومن أسرة معتدلة... وكل ما كان يدور بعقل رشا أن هذا الأمر كله ليس أكثر من هدية كبيرة من والديها فقد اعتادت منهما الهدايا في أعياد ميلادها كل سنة وكانت ترقص من السعادة وهي تفتحها وتبكي أحيانا من الفرحه ولكن... هذه المرة لم تبكي من الفرحه بل بكت من الألم والصدمة فقد كانت الهدية تلك المرة تمتلئ بالحزن... كان ذلك الرجل يتعامل معها على أنها ماكينة للجنس فقط... يفرغ فيها شهوته التي لا تنتهي كل ليلة بطريقة مرضية وسادية تماما وعندما ينتهي منها يدير لها ظهره ويخلد لنوم عميق... كان الأمر أشبه بالاغتصاب... إنه لا يداعبها ولا يحتضنها ولا حتى يربت على رأسها ولا يرى سوى صدرها وفرجها... لم تكن تعرف ماذا تفعل؟!... تقضي معظم أوقاتها في البكاء وظلت خائفة لفترة طويلة من أن تحكي لأهلها... حاولت في البداية أن تتكلم معه فما كان منه إلا أن استشاط غضبا وشعر أنها تهينه في ذكوره بكلامها وانها عليها ضربا فازداد حزنها وخوفها... استجمعت شجاعته في ذلك اليوم وقصت كل شيء لأُمها وأبيها وهي تبكي بحرقة واستنجدت بهم إنها تريد أن تعود إلى بيتها وحضنها ولا تريد أن تعود إليه مرة أخرى.... وكانت تلك هي الصدمة الثانية والأخيرة فقد قالوا لها إنه زوجها وإنها لا بد وأن تطيعه وتتأقلم وقالوا كلاما كثيرا عن العيب والحرام والمجتمع والناس حتى جفت دموعها فجأة ولم تعد تسمع ما يقولون فقط تشاهد أفواههم وهي تتحرك ولكنها لا تسمع إلا طنيننا مزعجا... كيف باعوها؟! وكيف ارتضوا لها هذا الهوان؟! هل هذان هما أمها وأبوها حقا أم أنهما شخصان آخرا لا تعرفهما؟!... وعندما علم زوجها بما فعلته

انهال عليها بالضرب مرة أخرى لكونها ذكرت ما يحدث بينهما في الفراش وتلك المرة كان يضربها بعنف شديد إلا أنها تلك المرة أيضا لم تشعر بشيء تماما.... لم تبكي ولم تشعر بالألم أو وجع وكانت نظراتها متجمدة وكأنها لا تراه....!!! فكرت في الانتحار وفكرت في قتله ولكن الخوف سيطر عليها وكانت أنسب فكرة طرأت في ذهنها هي الهروب... للممت حقيبة متوسطة بها أهم أشياءها وهربت... ذهبت لتلك الصديقة التي تعيش وحدها ولن يبحث عنها أحد هناك فلا أحد من أهلها يعرفها... وكان هناك في بيتها أول لقاء لها مع الهيروين وبدأت الرحلة التي التقت في بدايتها بنادر صدفة في سيارة سامي صديق مشترك من رفقاء التعاطي وكان هو من يجلب لهم الهيروين فهو من يعرف التاجر... وعندما طلبت منه رقم هاتفه كي تتصل به عندما تحتاج رفض تماما لكونها ما زالت في بداية الطريق!! وبدأت تحبه لما فعله فلم تقابل أحدا في هذا الدرب حتى الآن يحرص على سلامة أحد!!... وعندما تقابلا مرة أخرى بالصدفة لثاني مرة أيقنت أنها لن تتركه وظلا معا وعاشا في تلك الشقة لعدة سنين.... لم تكن تعرف عندما تعاطت ذلك المخدر لأول مرة أنه فخ نهايته مأساوية وعندما حذرها نادر لم تفهم ولم تستوعب ذلك حتى تملك منها الهيروين تماما... كان نادر طيب القلب وحنونا... لم تشعر بالأمان إلا في حضنه... كم تفتقده كثيرا... لم يعد تلك المرة من محاولة التبطل... بل مرت سنة كاملة ولم يعد... أفنعت نفسها أن الأمر قد انتهى وأنها لن تراه مرة أخرى وبدأت تتعاطى عن طريق الحقن مثله عليها تنسأه أو تموت وتنتهي حياتها فتشعر بالراحة من تلك الدنيا اللعينة.... انهمرت دموعها وعادت من

ذكرياتها لتقوم بتحضير جرعة أخرى من الهيروين وتحقنها في ذراعها عليها تكون المرة الأخيرة...

جاء النادل للينا بمشروب النعناع الذي طلبته منه في الاستراحة التي تأخذها في وسط العمل... تذكرت عندما كان محمود يأتيها بالنعناع دون أن تطلبه... تشعر بالحزن لعدم وجوده ولمرضه وكأن المكان كله كئيب في غيابه... تعرفه منذ أن بدأت حياتها العملية كعازفة وهي لا تزال تبلغ من العمر ستة عشر عاما!!!... كانت صغيرة وخائفة وكان هذا العالم كبيرا عليها ولم يكن معها حتى أوراق رسمية تسمح لها بالعمل لولا موهبتها القوية وكان هذا المكان هو أول مكان بدأت فيه رحلتها في العمل وواظب محمود على تشجيعها وطمأنتها منذ البداية ومعاملتها بلطف وكأنها نرمين ابنته وبمرور الوقت كان قد عرف منها كل شيء عن ظروف حياتها مما جعله أكثر مراعاة لمشاعرها ويسأل عليها دوما حتى في غير أيام عملها يتصل بها بالهاتف ليطمأن عليها وعرفها على زوجته وابنته وشعرت معهم بالدفء الذي افتقدته في بيتها والأمان الذي لم تعثر عليه أبدا... عندما ماتت زوجته شعرت كأنها فقدت أمها الحقيقية وتألم قلبها لجمال نرمين الذي بدأ يحبو ومرض محمود جعلها تشعر بالقلق والخوف... الإحساسان اللذان صاحبها طوال عمرها وكان وجوده يقلل منهما وابتسامته الطيبة تهدئ من روعها... خرجت من أفكارها على صوت النادل يخبرها أن المنتج المعروف سليم وهدان يستأذنها أن يستضيفها على منضدته... فنظرت للنادل بابتسامة هادئة قائلة له:

- أنا عارفة إنك جديد هنا... بص في المواقف الي زي دي الي بيعوز
يتكلم معايا هو الي بييجيني أنا ما بروحش لحد...
ارتبك النادل وقال لها محرجا:

- أنا آسف يا أستاذة أنا ما اقصدش حاجة أنا بس علشان عارف إن
الراجل مشهور في الوسط الفني وبيطلع في التلفزيون... إنما والله ما اقصد
أي حاجة بالعكس أنا بمحترم حضرتك جدا...
ابتسمت لينا ابتسامة طيبة مطمئنة إياه:

- أنا عارفة إنك ما تقصدش إنما بس بفهمك الموضوع شكله إيه معايا
علشان تبقى عارف بعد كده مش أكثر...

أوماً النادل برأسه وتوجه ناحية منضدة سليم ليخبره برد لينا وأمسكت
هي بهاتفها تقلب فيه حتى جاءها صوت سليم وهدان من أمامها يقول:
- أديني جيت لك يا أستاذة بنفسني

رفعت عينيها نحوه وكان واقفاً ممسكا في يده كأساً وفي اليد الأخرى
سيجاراً كبيراً فردت عليه بهدوء:

- أهلاً وسهلاً

لمحت بطرف عينيها سريعا امرأتين تجلسان على منضدته تنظران إليها
من بعيد شذرا... وضع سليم كأسه على منضدتها وجلس بجوارها على كرسي
قائلا وهو يمد يده نحوها مصافحا إياها:

- سليم وهدان

صافحته لينا وهي تقول

- لينا

كانت عيناها تأكلان كل جزء مكشوف من جسدها وهو يقول:

- إيه بس العظمة دي كلها... أنا أول ما سمعت عزفك التليفون وقع
من أيدي على الطرايزة من المفاجأة... إنتي مش بس جميلة وزى القمر لأ
وكمان عزفك حلوزيك

ردت عليه ببرود:

- متشكرة قوي

- أنا عايز أتكلم معاكي في شغل

- اتفضل

- لأ مش هينفع هنا في الدوشة دي...

وأخرج من جيبه كارتا له وأعطاه إياه مكمل:

- لو تعدي عليا في مكتبي هنكون براحتنا أكثر في الكلام... إنتي
ما ينفعش الناس ما تسمعش عزفك ده في كل حطة وتلعي في الأماكن
الصغيرة دي... مستواكي أكبر من كده بكثير... قولي لي بتعرفي تغني؟؟

ردت عليه بابتسامة ساخرة:

- لا والله ما بعرفش أغني... ما بحبش الغنا... ولا اللي بيغنوا...

تجاهل سخريتها وكأنها لا تقصده وقال:

- خلاص نعمل لك ألبوم مزيكا بس

نهضت لينا من مكانها قائلة:

- أسفة يا أستاذ سليم لازم أبتدي علشان الاستراحة خلصت...

ارتبك سليم ونهض هو الآخر وأخذ كأسه من على المنضدة وهو يقول:

- طيب عموما شاوري عقلك وكلميني في أي وقت

و عاد إلى منضدته وما أن رآته لينا ينظر نحوها حتى ألقت بكارته في مطفأة السجائر أمام عينيه مما جعله يعقد حاجبيه حانقا واتجهت هي إلى مقدمة البار لتمسك بكمائها وتبدأ في العزف... ومالت إحدى المرأتين الجالستين بجانب سليم على أذنه قائلة له بسخرية وشماتة:

- ما لك يا سليم بيه!! البت دي شكلها عكرت مزاجك

لم يجبها سليم وبدأت المرأتان يغنيان بصوت عال مبالغ فيه ليشوشان على عزف لينا ويضحكان ضحكات عالية مستفزة وكأنهما يسخران من عزفها... فتوقفت لينا عن العزف فجأة لتمسك بالميكروفون وانتبه الحاضرون جميعا على صوتها تقول:

- متهيألي كل الناس اللي موجودة النهارده عارفين كويس قوي إن ده يومي ويبيجو مخصوص علشان يسمعونني... لو فيه أي حد مش عاجباه المزيكا هو مش مضطر يقعد...

توتر سليم عندما نظر إليه الجميع فالكل كان ملاحظا ما تفعله المرأتان الجالستان معه... فلملم سليم أشياءه ونهض ونهضت وراءه المرأتان وهما ينظران لينا بغضب وغيظ وتوجهوا نحو باب البار واستوقف سليم المدير

ليتكلم معه وبدا من حركات جسده ويديه أنه غاضب جدا ولكن لنا عادت لتكلم عزفها وكأن شيئا لم يكن وعندما انتهت من عملها وقبيل انصرافها اقترب منها المدير وهو يقول:

- إنتي هزأتي سليم وهدان قوي هو صحيح مش زبون مكان بس نجم معروف برضه... بالراحة على الناس شوية يا لنا مش كده!!
قالت له لنا بحدة:

- حضرتك عارف كويس طريقي في التعامل من زمان وعارف كويس إني ما بعملش كده إلا لما حد يتخطى حدوده معايا بس... ولا إيه؟؟
ابتسم المدير في هدوء وهو يقول:

- المشكلة إني بعزك وبجترمك... عموما ولا يهكم يا أستاذة إنتي صح ولو إن صاحب المكان لو سمعني وأنا بقول لك كده هروح في داهية... بس انتي صح...

ابتسمت لنا وهدأت ملامح وجهها وهي تقول له:
- متشكرة قوي حضرتك اللي من ساعة ما عرفتك وانت راجل محترم وحقاني...

* * *

تذكر عمر وجه مدرس اللغة العربية الأستاذ (راشد) وملاحظه التي كانت تجمع بين اللين والحزم في نفس الوقت... تحركات جوانب فمه وعينه وهو يتكلم تدل على الطيبة في بعض المواقف ومواقف أخرى كانت نظرات

عينيه تثير الرهبة وتجعل الطلبة يقفون أمامه بانتباه وانضباط لا يتذكر أنه كان يحمل عصا في يده على عكس باقي المدرسين ولكن نظراته الثاقبة ونبرة صوته الحازمة كانتا تحل محل العصا التي كان يحملها دوماً باقي المدرسين ويلوحون بها ويهددون ويضربون إذا لم يتمكنوا من السيطرة عليهم... كان عمر يحبه كثيراً ويحترمه ليس فقط لإخلاصه في مادته التي يشرحها وسهولة توصيله للمعلومة وإدخالها إلى القلب بسلاسة مما يدل على حبه هو شخصياً لها ولما يفعله ولكن لأنه كان دوماً يعامله بحب يخلو من الشفقة... الشفقة اللعينة التي كان يمقتها عندما يشعر بها من الآخرين حوله سواء من المدرسين أو من زملائه نتيجة فقره الواضح في ملابسه وأدواته والحاقدين عليه أيضاً لتفوقه رغم فقره كان يمقتها أيضاً... كان يسكن في نفس الجانب في قلبه الذي يعيش فيه أمه وأبوه رحمهم الله... كان يشجعه دائماً ويفتخر به ولم تخرج من عينيه حتى ولو مرة واحدة بالخطأ أي نظرة سريعة لذلك الشق في نعل حذائه أو تلك الخيوط البالية في ياقة قميصه أو نهايات بنطاله... توقف أمام تلك البناية القديمة في ذلك الحي القريب من بيته... كانت نبضات قلبه سريعة من اللهفة وأخذ نفساً عميقاً ليدخل إلى البناية ويصل لباب شقة الأستاذ راشد... آخر مرة كان هنا منذ أكثر من خمسة عشر عاماً وكان لا يزال في الصف الثالث الثانوي في حالة يرثى لها عقب وفاة أبيه حسرة وكمداً نتيجة اتهامه زوراً وبهتاناً في عمله بالاختلاس وهو الموظف البسيط المسؤول عن الخزينة في تلك الوزارة الحكومية ليضحي به كبار المديرين ويخفوا سرقته... يتذكر جيداً

أن أباه لم يبك... لم يذرف دمعة واحدة بل ظل صامتا وصلبا طوال فترة التحقيقات وتحمل كل الاتهامات الباطلة الملفقة ونظرات مديريه القذرة له والتي لا تستحي أن تنظر بكل بجاجة في عيني الضحية... يتذكر أيضا كيف كان موته صامتا... نام ولم يستيقظ... لم يحتمل قلبه ولم يرض له ربه الهوان فأخذه إليه في هدوء شديد... لم يجد أحدا وقتها يبكي له فقدانه ويحكي معه عن ألمه سوى راشد الذي فتح له الباب وطيب آلامه بكلمات حانية ويده التي ما زال يشعر بدفئها وهي تربت على كتفه... عندما فتح الباب وظهر راشد ظل عمر ينظر له للحظات.... كم تغيرت ملامحه... كل تلك التجاعيد حول عينيه وبجوانب فمه والشعر الأبيض الذي طغى على رأسه... لم يعرفه راشد وتساءل:

- أيوه

- إزي حضرتك يا أستاذ راشد

ضيق راشد عينيه يحاول التعرف على الطارق وهو يقول:

- الحمد لله يا ابني مين حضرتك؟

- أنا عمر يا أستاذ... عمر شوقي فصل تالته خامس مدرسة النحاس

الثانوية بنين.. مش فاكركي؟

تذكره فجأة راشد وانفجرت ملامحه وفتح ذراعيه مرحبا وهو يقول:

- يا إيه أهلا أهلا يا عمر... يا خبر ابيض إزيك يا ابني تعالى تعالى خش

اتفضل

دخل عمر وأغلق راشد الباب وراءه وأجلسه في غرفة المعيشة قائلاً:
- ساحمخي يا ابني العتب ع السن بقى أنا ما شوفتكش من ييجي عشرين
سنة ولا حاجة عامل إيه يا حبيبي؟

- الحمد لله يا أستاذ

- شكلك اتغير خالص يا عمر... كبرت وبسم الله ما شاء الله جسمك
كبير وبقيت عامل زي بتوع المصارعة... إنت بتلعب حديد ولا إيه؟
ضحك عمر وهو يقول:

- حضرتك برضه شكلك اتغير إلا نظرة عينيك زي ما هي كلها طيبة ومودة
ابتسم راشد قائلاً:

- ربنا يكرمك يا ابني... قول لي بقى تشرب إيه؟ عندي شاي وقهوة
وينسون

- ولا أي حاجة.... مش عايز أتعب حضرتك

- لا يا حبيبي ما فيش أي تعب ده انت منورني... هعمل لك قهوة...
عندي شوية بن بقى من اللي وصى عليهم لقمان..

نهض ببطء وأعاناه عمر ثم أخذ ينظر حوله كانت هناك مكتبة
متوسطة في ركن الغرفة وصوت عبد الوهاب يشدو من المذياع بأغنية (يا
جارة الوادي) أدار عينيه لراشد الذي عاد حاملاً في يده الصينية عليها
الأكواب والسبرتاية ونهض عمر سريعاً ليأخذها عنه ويضعها على المنضدة
ويشكره راشد وهو يجلس بنفس البطء ثم يبدأ في تحضير القهوة وهو يسأله:

- طمني على أحوالك يا ابني فينك دلوقت وبتشتغل إيه؟
صمت عمر قليلا ولم يجد جوابا ثم نظر لراشد قائلا على استحياء:
- أستاذن حضرتك ممكن أشرب سيجارة؟
ابتسم راشد وهو يشير إلى المطفأة ليأتي بها عمر ويضعها أمامه وهو يقول:
- خد راحتك طبعاً... وخذ راحتك كمان لو مش عايز تجاوب على
السؤال أنا بس بطنن عليك مش أكثر...

أشعل عمر السيجارة ووضع له راشد قهوته أمامه فشكره عمر وقال:
- أنا مش عارف يا أستاذ أنا جيت لك ليه بالظبط يمكن كنت محتاج
أشوف أي وش حقيقي مش مزيف من سنين طويلة... أو أي وش يفكرني
بأبويا وأمي الله يرحمهم... أي حد أحس معاه ولو لشوية صغيرين بهدوء
وراحة من جوايا...

تأثرت ملامح راشد وهو يقول:

- يااه!!! إيه يا ابني ده كله... ما لك بس فيك إيه؟

تنهد عمر تنهيدة حارة قائلا:

- مش عارف أبندي منين

وبدا يحكي له كل شيء... كيف أنه بعد تخرجه من الثانوية العامة دخل
كلية العلوم وكيف كان يجاهد ليشتري كتبه وليدفع مصاريفه ويعمل في
المساء في قهوة لكي يستطيع أن يدبر أموره وأن يشتري الأدوية التي تحتاجها
أمه فقد ساءت صحتها كثيرا بعد وفاة أبيه وعن وجوه مديريته وقاتليه

الذين حضروا العزاء وعرضوا على أمه أموالا وقالوا لها أنهم قد تنازلوا عن القضية المرفوعة على المرحوم وكأنهم يتفضلون عليهم وكيف شعر هو بالقهر والظلم الشديد وكيف كاد أن يلقي بالأموال في وجوههم ويطردهم خارج المنزل لولا أمه التي أمسكت بيده في آخر لحظة لتحفظ بالأموال لأنهم في احتياج لها وأنها تعتبر جزءًا ولو صغيرا من حق أبيه أيا كانت الطريقة التي جاء بها... حكى له عن موت أمه وكيف أن عربة الإسعاف تأخرت كثيرا ولم تتمكن من دخول شارعهم الضيق وكيف حمل أمه على يديه محتضنها ليجري بها في الشارع حتى عربة الإسعاف ولم ينتظر المسعفين وعندما ذهبت بهم السيارة عند باب أقرب مستشفى لم توافق إدارتها على دخول أمه إلا بعد دفع مبلغ تحت الحساب... مبلغ لم يكن يملك منه حتى ربعه... وكيف ظل يصرخ في وجوه الموظفين حتى خرج له المديرون ورجال الأمن ليطرده هو وأمّه التي كانت ممدّة على حامل الإسعاف خارج المستشفى وهو يصرخ مفزوعا على أمه التي ماتت فجأة في مكانها على أبواب المستشفى وبهت الجميع وظل هو يبكي ويخرج منه نحيب كنحيب النساء وكيف زاد بداخله الحقد والكراهة لكل شيء... أجهزة الدولة والنيابة والقضاء والشرطة والصحة وكل ما يحيطه... كل من كان سببا في ظلمه وظلم والديه ولعن الفقر ألف مرة كل ليلة... وعندما تملك منه اليأس تماما ألقي بنفسه في أحضان المسجد المجاور لبيته ليتلقفه (أبو بكر) الشيخ الذي استغل ضعفه وظروفه واحتياجاته والغضب المستعر بداخله ليجنده ويقنعه بأن الإسلام هو الحل وهو الذي سيعيد له حقه الغائب ويبدد كل هذا الظلم

السائد في كل مكان وأنه لا بد من الوصول لجذور الشر والظلم والقضاء عليها تماماً وكيف أن هذا يتطلب منه جلدا وصبرا وتضحية وأن يبايعهم على الطاعة والولاء ليصبح جندياً من جنود الله في الأرض وينصر الدين الحق وسيفا من سيوف الله ليعيد هو وباقي الإخوة موازين العدل في العالم ولن يأتي العدل إلا بالقوة وأن أساس الظلم قادم من بلاد الغرب الكافر... ودس له أبو بكر السم في العسل وقد كان هو من أكثر المجتهدين في الدين وفي الجهاد لدرجة أنهم اختاروه ليسافر إلى الخارج وبجاهد على أراضي العجم... حكى لراشد عن الحروب التي خاضها في الشيشان وفي أفغانستان وباكستان وكمية الدماء التي أريقَت والجثث والقتلى والمعسكرات التابعة للمجاهدين وكيف شعر في وقت من الأوقات وكأنه واحد من المجاهدين القدماي في أيام الرسول وكأنه خالد بن الوليد أو عمر بن الخطاب وغيرهم... حتى ذهب لشمال العراق... كان في كل ما سبق يحارب جيوشا وجنودا يرتدون ملابس عسكرية ولم يكن قد تعامل من قبل مع مدنيين... وحكى له عن الأسيرة التي دخل إلى منزلهم ليختبئ وكيف عاملوه والحوار الذي دار بينه وبين الأب وكيف اكتشف بعد ذلك الخيانة في قيادات المجاهدين نتيجة شكوكه راقبهم وسمع بنفسه أحدهم يتحدث مع رجل أجنبي عن صفقة سلاح ذاهبة إلى إسرائيل!!! وكيف كانت الصدمة شديدة وظل يراقبهم وكم الخيانات التي اكتشفها جعلته يدرك مؤخرا أنه كان مجرد دمية يتلاعبون بها هو والكثير من الشباب ويستغلون ظروفهم وحماسهم الديني لتحقيق أهداف سياسية لا تمت بصلة للإيمان أو للدين... كيف شعر بأنهم

كشفوا أمره فهرب وتلقفته الصحارى والمرافئ حتى استطاع العودة لمصر وأنه يعيش الآن في غرفة صغيرة لا يعلم بمكانها أحد وأن أمن الدولة تراقبه ويظنون أنه جاء إلى هنا من أجل تنفيذ مخطط إرهابي في حين أنه جاء فقط لينتقم ويقتل أبا بكر... وهو يرى الآن بكل وضوح أن هذا الرجل هو أكثر من يستحق القتل فهو السبب الرئيسي في كل ما مر به وكل ما فعله وكل من قتلهم من أبرياء ماتوا على يديه دون ذنب...

أنهى عمر كلامه وساد الصمت للحظات حتى قطعه راشد قائلاً:

- رحلة صعبة قوي يا عمر ومش سهل على أي حد إنه يستحمل كل ده ويواجهه... ومش سهل برضه على أي حد إنه يقرر يرجع عن طريق زي الطريق الي انت مشيت فيه... ده قرار محتاج شجاعة وقوة وقلب نضيف... طول عمري نظرتي فيك كانت في محلها... شاب ذكي وقوي وكنت متنبئ لك بمستقبل عظيم... أعتقد إن مش هو ده بالضبط المستقبل الي تخيلتهولك بس.... يا ابني بعد شوية سنين عشتهم في الدنيا دي أقدر أقول لك إن المستقبل المادي أو العلمي والشكل الاجتماعي مش صعب أي حد يوصل له... صحيح بالتأكيد بيحتاج مجهود كبير بس أي حد يقدر إنه يبذل المجهود ده ويوصل له.... إنما الشخصية بملاحظتها المميزة ووزن العقل ولون القلب المريح دول هما الأصعب في الوصول ليهم لأنهم بيحتاجوا لتجارب كثير في الحياة والتجارب دي معظمها بتبقى اختيارات غلط... كل اختيار غلط بيسبب علامة في الشخصية ويميزها أكثر وانت عندك من العلامات دي كثير... أقدر بكل ثقة أقولك إن دي نعمة من ربنا عليك...

ابتسم عمر نصف ابتسامة مكسورة وهو يقول:

- كل الوجع والمرمطة والتوهة دي نعمة!! كل الناس الي قتلتها بإيدي
دول نعمة!! الي شافوه أبويا وامي نعمة؟؟!!... معقول يا أستاذ راشد!!...

وترقرقت دموع في عيني عمر سرعان ما جفت قبل أن تظهر أو
تسيل ونادرا ما تخونه عيناه وتفعلان ذلك إلا أن راشد لاحظ تلك الدموع
المكتومة فربت على قدميه فشعر خالد بنفس الشعور القديم الذي شعر به
عندما جاءه بعد وفاة والده فسالت دموعه رغما عنه وقال له راشد:

- البكا مش عيب يا ابني ولا ضعف... ما تكتموش... البكا بينضف
الواحد من جواه ويبغسل قلبه... مش مهم كل الي فات دلوقت الأهم هتعمل
إيه؟؟... فتفكر لو قتلت أبو بكر ده هترتاح؟

مسح عمر دموعه بقبضة يده قائلا:

- لازم ياخذ جزاءه ولازم يدوق من نفس الكاس الي الناس الي
اتقتلوا ظلم دول داقوا منه... لازم يموت قبل ما يكمل صناعة أجيال تانية
من العرايس الخشب الي ماسكة سلاح وعقلها مسروق...

- يبقى ما استفدتش حاجة من التجربة الي عشتها دي كلها وتبقى
فعلا تهت في الدنيا عا الفاضي

- إزاي؟؟!!

- يا عمر إحنا مش موجودين على الأرض علشان نقوم بدور ربنا... ربنا
ما خلقناش علشان نحاسب بعض أو نتحكم في بعض ونكره بعض....

ربنا خلقنا علشان نبني ونعمر ونحب ونعيش ونزرع ونعمل حياة.... أنا عارف كويس قوي إن فيه ناس بتتجبر وبتظلم لكن هل تفتكر إن ربنا ما يقدرش يوقفهم عند حدهم لو أراد؟؟.... هو بس ليه حكمة في وجودهم... وكلامي مش معناه نكون جبناء وما نقفش في وش الظلم... إنما فيه مراحل كثير بنحتاج نعيشها جونا قبل ما نواجه الظلم الخارجي

- إيه المراحل الي جونا دي؟؟

- لازم نعيش جوه قلوبنا فترات طويلة ونعرف إحنا شايلين فيها إيه بالظبط؟؟.... لازم نقف في وش الظلم الي جونا الأول... ونشوف الي جونا حب ولا كره؟؟ حقد ولا تسامح؟؟ انتقام ولا سلام؟؟ شهوة ولا رحمة؟؟... علشان ننصف كل ده ونهزم الظلم جونا ونتأكد من نوع المشاعر الي بنحملها جوه قلوبنا بنحتاج حرب قوية وصعبة قوي... حرب ضروس زي ما بيقولوا... بس حرب ما فيهاش رصاص ولا دم ولا جثث... حرب صامتة من غير صوت... حرب بين الخير والشر الي جوه مننا... لما بينتصر فيها الخير بنكون ساعتها أقوى بما فيه الكفاية لمواجهة أي ظلم خارجي والقوة دي بتبقى قوة داخلية مش خارجية... قوة الروح... فاكّر غاندي؟؟ الثائر الهندي الهزّل؟؟

- أيوه

- غاندي مثلاً وناس كتير زيّه في التاريخ كانت أجسادهم ضعيفة من بره إنما أرواحهم كانت قوية جداً وصلبة لأنهم انتصروا في معركتهم الداخلية وعلشان كده قدروا يقفوا في وش الطغيان الخارجي بعد كده وقوة روحهم كانت أقوى من جيوش ومن دول مجالها... وما حدش قدر يستغل مشاعرهم

ولا يسيطر على قلوبهم ولا يبذل مبادئهم وإيمانهم بشيء محدد لأنهم ما بقاش عندهم نقطة ضعف يتمسكوا منها ولا ماضي مؤلم مش متصالحين معاه ولا حاجة بتوجعهم لما بتيجي سيرتها... بالعكس هما في خلال المعركة الي جواهرم عرفوا كويس قوي قيمة ماضيهم بكل ما فيه من ألم أو خزي وما بقاش بيوجع إنما بقى بيخليهم يبتسموا في هدوء وفخر... وعلى فكرة غاندي ما كانش مسلم ومتهياي هي دي إجابة السؤال الي سأهولك الراجل الي كنت في بيته في العراق وقال لك (هو المسلم بس هو الي كويس!!؟؟)..

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه عمر فكلام راشد كان مختلفا تماما عن كل ما تعلمه وعن طريقة تفكيره أشبه بجهد النفس في الإسلام ولكنه لم يتناوله داخل عقله بهذه الطريقة أو من تلك الزاوية من قبل... شعر براحة وهدوء غريب في قلبه لم يشعر به منذ فترة طويلة... أكمل راشد قائلا:

- أنا مش طالب منك غير إنك تفكر كويس في الكلام ده وتعيد وزن قراراتك في الحياة كلها وأنا واثق إنك لو عملت كده هتكون قراراتك مختلفة تماما...

- أوعد حضرتك إني هفكر كويس في الكلام ونهض عمر من مجلسه مكملًا:

- أنا لازم أمشي دلوقت

- ما لسه بدري يا ابني... كلامي ضايقك ولا إيه؟؟

- أبدا يا أستاذ راشد بالعكس حضرتك مش متصور أنا كنت محتاج لك ومحتاج أسمعك قد إيه... وقد إيه حاسس براحة من جواية... بس أنا لازم أمشي علشان ألحق ميعاد مهم...
صافحه راشد بحرارة وهو يسأله:
- هشوفك تاني يا عمر؟
ابتسم عمر في حب وهو يقول:
- إن شاء الله...
واتجه إلى باب الشقة لينظر نظرة أخيرة لراشد ويرفع يده محييا إياه وأغلق وراءه الباب...

* * *

فتحت ريم عينيها ببطء وشعرت باسترخاء تام وذراعاها يضمنان سوزي داخل أحضانها التي تكورت بدورها داخل حضنها كالقطة الصغيرة مغمضة عينيها وتحسست ريم تفاصيل وجه سوزي وشفتيها بأصابعها ففتحت سوزي عينيها لتنظر لها وتبتسم ابتسامتها الساحرة وابتسمت لها ريم هي الأخرى قائلة:

- صباح الفل

- صباح الخير

قالتها سوزي وتمطعت بدلال لتقبل ريم في فمها وهي تتمطع ثم اعتدلت لتجلس وتأخذ سيجارة من علبتها وتشعلها وهي تقول:
- أنا نمت ما حستش بنفسي... إنتي نمتي كويس؟

ابتسمت ريم وأومات لها برأسها ثم أخذت السيجارة من يدها لتكملها هي وتنهض متجهة نحو سخان المياه وتساءل سوزي:

- تشربي نسكافيه معايا؟

- ماشي

نهضت سوزي بعدها ذاهبة للحمام لتغسل وجهها ثم تعود لتشعل سيجارة أخرى وتجلس على الأرض سائدة ظهرها إلى الحائط بجوار المرتبة تشاهد ريم وهي تعد النسكافية وتهز قدمها واقتربت منها ريم لتعطيها كوب النسكافية ثم جلست بجوارها ورن هاتف سوزي فأمسكت بهاتفها وما أن رأت اسم المتصل حتى ابتسمت ابتسامة مليئة بالحب ثم ردت على المتصل قائلة

- أيوه يا حبيبي... صباح الفل يا روجي... أكيد طبعاً في نفس المعاد الي اتفقنا عليه... وانت كمان وحشتني قوي... ماشي يا حبيبي مش هتأخر... باي كانت ريم تتابعها وعيناها مليئة بالغيرة والدهشة وقالت لها بتوتر:

- بتكلمي مين؟

نظرت سوزي نحوها وأجابتها بحذر:

- واحد صاحبي

- واحد صاحبك وبتقولي له وانت كمان وحشتني قوي يا روجي!!

- ما لك يا ريم فيه إيه!!

- ما فيش أصلك بتكدي وواضح قوي من طريقتك في الكلام

والبصة الي في عينيكي أول ما شوفتي الاسم على التلفون إنه مش صاحبك بس وبابن إنه أكثر من كده شوية

تحولت ملامح وجه سوزي إلى الجدية وهي تقول:

- وحتى لو فرضنا إنه مش كده فيها إيه؟؟!!... وبعدين أنا هكذب عليكي
ليه أصلاً من الأساس؟؟

صمتت ريم لحظات ثم قالت:

- ولا حاجة خلاص

- لأ فيه حاجة يا ريم... ما لك بتعملي كده ليه؟؟

ثارت ريم فجأة في وجهها قائلة:

- ما خلاص خلصنا قلت لك مفيش حاجة... الله!!!

بهتت سوزي من ردة فعلها ونهضت لترتدي ملابسها وريم تدخن
سيجارتها في عصبية وكأنها تأكلها لا تدخنها وتتابعها وهي ترتدي
ملابسها وتفكر... ما هذا الذي حدث؟؟ من المفترض أن ما تفعله سوزي
هو ما اعتادت هي فعله!!! كيف تبدلت الأدوار!! هل أحببتها؟؟ إنها تغير
عليها ولم تستطع حتى تمالك نفسها؟؟ ما هذا!! هل من المعقول أن تكون
أحببتها؟؟ إنها كارثة.. كانت سوزي متجهة نحو الباب فاستوقفتها ريم منادية
عليها:

- سوزي

توقفت سوزي واتجهت ريم نحوها لتمسكها من يدها وتحضنها مقبلة
إياها على خدها قائلة:

- ما تزعليش

- أنا مش زعلانة.... بس أنا خايفة منك وخايفة عليكي يا ريم...
الموقف الي حصل ده يقلق... مخليني حاسة إني في زنقة... المفروض إني في
الموقف ده أكون صريحة جدا واحدد ثاني شكل العلاقة الي ما بينا قبل ما
نتوه ونجرح في بعض... وفي نفس الوقت خايفة عليكي لأنك مش ناقصة
وجع في حياتك وأنا ما مجبش أكون سبب في وجع زيادة ليكي... بس مش
هينفع ما اعملش كده... إحنا بننبسط مع بعض في السرير بس وصحاب ما
فيش ما بينا حاجة وما اعتقدش إني في مرة قلت لك إني مجبك!!

أدارت ريم وجهها لتنظر نحو سيف الذي كان يستمع إليها بإنصات
شديد وأكملت وعيونها تترقرق بها الدموع:

- ما تخيلتش إني ممكن يحصل لي كده!!... حسيت كأني باصة في
مراية يا دكتور... نفس الي كنت بعمله بقالي سنين اتعمل فيا في دقائق...
ما استحملتش ولقيت نفسي باخد حباية من نفس الدوا الي كنت وقفته
علشان أعرف أنا ودماعي تسكت... رجعت ثاني زي ما كنت وفشلت...
أنا حاسة بيأس وإحباط جامد ولا كأني عملت حاجة في كل الجلسات الي
فاتت... الأمل راح ثاني بعد ما كان رجع لي... ما فيش فايده...

عاد سيف يجسده للوراء في المقعد للحظات مفكرا ثم نهض ليذهب
نحو اللاب توب ليغلق موسيقى ال Jazz التي كانت صادرة منه ويستدير
ليجلس على مكتبه نصف جلسة ويقول لريم:

- إنتي مش متضايقة خالص يا ريم من الي انتي حكيتي ده... ولا مرايا
ولا حاجة

نظرت له ريم وهي ترد بحذر:

- مش فاهمة؟

ابتسم وهو يقول:

- يعني الي مضايقتك إنك فشلت في خطتك بس

اهتزت ريم من الداخل وحاولت التماسك حتى لا يظهر على وجهها وهي تقول:

- خطة إيه؟!!

- إنتي يا ريم ما حبتيش البنت دي ولا حاجة، إنتي بس ما عرفتيش تكلمي الحكاية زي ما بتكلميها كل مرة والبت ما حبتكيش زي الباقي وحبت حد ثاني وده الي خلاكي تغيري وتتنرفزي... كبريائك خلاكي ما تستحمليش... إزاي يعني تحب حد غيرك؟!! وإزاي ما تمشي ع الخط الي انتي راسما هو لها؟!!... بس مش أكثر... إنما انتي ما حبيتهاش ولا حاجة... عقلك الباطن عايزك تشوفي الحكاية بالشكل ده علشان ما تشوفيش مشاعرك الحقيقية ويبقى رجوعك كمان للأدوية الي وقفيتها ليه مبرر منطقي...

ذهلت ريم من دخوله إلى ثنايا عقلها وكشفه طريقة تفكيرها للمرة الأولى!! فقام عقلها الباطن بتجهيز حيلة أخرى سريعة لإنقاذ موقفه وهي الوجه البريء الذي يظهر عليه علامات الارتياح وهي تقول:

- يعني أنا ما حبتهاش فعلاً!!... يااه أنا ارتحت قوي دلوقت... يعني معقول كل ده كان وهم وأنا مصدقاه برضه زي ما قلت لي قبل كده؟!!

ابتسم سيف لتلك الحيلة الجديدة الضعيفة متجاهلا إياها وقال وكأنها
انطلت عليه:

- أيوه

- طب والدوا الي أنا رجعت له؟؟

- عادي حباية واحدة مش هتعمل لك حاجة وممكن النهارده تكمل
من غيرها زي ما كنتي مش هتلحقي تدخل في أعراض انسحاب أو أرق
وهتنامي عادي...

نهض من مكانه وجلس وراء مكتبه وهو يكمل:

- أنا هسافر مؤتمر إسبوعين فهناجل مقابلتنا للمرة الي بعد الي جاية
توترت ريم وقالت:

- إنت زعلت مني؟؟

ابتسم سيف للجملة التي تتعارض مع الوجه البريء الذي ظهر في
الحيلة السابقة فهو ينقضها تماما... إحساسها بالذنب يدل على كذب عقلها
الباطن وعلمها بكذبه فقال بهدوء وهو مندهش:

- هزعل منك ليه بس!! عندي شغل وإسبوع بالكثير وهنتقابل في معادنا

- يعني مش هشوفك الإسبوع الي جاي!!

نظر سيف نحو عينيها مباشرة فارتبكت وأكملت:

- أقصد يعني أنا اتعودت أشوفك كل أسبوع يا دكتور... أنا خيفة بس

ابتسم سيف للحيلة الجديدة وهو يقول بهدوء:

- لأ ما تخافيش... أنا متأكد إنك هتبقى كويسة لحد ما نتقابل... أشوفك
الاسبوع الي بعد الي جاي...

* * *

دخلت زينب على عبد الله غرفة النوم وهي تحمل هاتفه في يدها لتجده
يجهز حقيبة صغيرة فسألته:

- مسافري يا عبد الله ولا إيه؟

- أيوه... طالع يومين في سبيل الله مع الإخوة في المنصورة... واهو بالمرة
أزور أبويا وأمي وأقرأهم الفاتحة..

- الله يرحمهم

ناولته هاتفه وهي تقول:

- محمد كان بيتصل على تليفونك

أخذ منها الهاتف لينظر فيه ثم انتظر حتى خرجت من الغرفة وخرج
إلى الشرفة وأغلق وراءه الباب ليتصل بمحمد فيرد عليه:

- أيوه يا حاج

- أيوه يا محمد.... وضبت كل حاجة؟

- كله تمام يا حاج... العربية جاهزة تحت الشركة وبعثت ست نضفت

الشقة الي في ضهر الشركة وجاهزة علشان تبات فيها اليومين الي قلت
عليهم وفيه أكل في التلاجة وكافة شيء

- طيب يا محمد جزاك الله كل خير... وكل حاجة في الشركة تمام؟

- كله تمام يا حاج... بس المهم انت بخير؟؟ مش فاهم لحد دلوقت ليه وصتني
لو الحاجة زينب اتصلت بيا أبقى عامل حسابي في الكلام إنك في المنصورة مش
هنا واوزب لك الشقة الصغيرة دي؟؟ شكلك اتجوزت يا حاج ومخبي علينا

ضحك عبد الله ضحكة صغيرة وهو يقول:

- الله يجازي شيطانك يا محمد... يلا زي ما قلت لك بقى سلام عليكم
عاد عبد الله إلى غرفة نومه ليتم غلق الحقيبة ويحملها ويخرج من
الغرفة ويضعها بجوار الباب منتظرا صعود سيد مساعده ليأخذها ويضعها
في السيارة ودخل إلى زينب الجالسة أمام التلفاز وقال لها:

- عايزة حاجة يا زينب؟

نظرت له زينب مندهشة وهي تقول:

- إنت مسافر دلوقت؟؟ بليل كده؟

- أيوه هاخذ اتنين من الإخوة معايا ونجهز الأكل والحاجات اللي
هحتاجها في الاعتكاف قبل ما يوصل الباقي بكرة

- طيب يا حاج توصل بالسلامة

- لو عوزتي حاجة كلمي محمد في التليفون علشان هاخذ سيد معايا

- ماشي يا حاج

- خلي بالك من العيال يا زينب

- هو انت مسافر شهر يا عبد الله دول كلهم يومين!!

- يعن قلت أوصيكي عليهم وخلاص... يلا السلام عليكم

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

أوصلته إلى باب الشقة وهي تقول:

- ما تنسوش دعاء السفر يا حاج... ربنا يستر طريقكم

أوما لها عبد الله برأسه وانصرف لتغلق الباب وراءه وعادت إلى مجلسها وبعد أن مضت عشر دقائق حملت هاتفها لتتصل برفيقها:

- أيوه يا روجي... فيه مفاجأة حلوة... جوزي سافر دلوقت وهيقعد يومين... هاجي لك بكرة لازم نقضي أكثر وقت ممكن مع بعض براحتنا بقى اليومين دول.... وانت كمان وحشتني قوي... يلا أشوفك بكرة يا حبيبي... باي باي

عندما دخل نادر إلى البيت وجد أباه يخرج من غرفة نومه.. تسمر مكانه وكذلك والده... ظل الاثنان ينظران لبعضهما البعض في صمت ولم يتمكن نادر من أن يترجم أفكاره التي انهمرت داخل عقله فجأة فتحرك نحو غرفته إلا أن صوت أبيه استوقفه وهو يقول:

- نادر

توقف نادر أمام باب غرفته وظهره لأبيه لا يعرف هل ينظر إليه أم لا ينظر؟؟ هل يدخل غرفته ولا يرد مغلقا الباب وراءه؟ أم يستدير ليرد عليه؟؟ وتقلصت أصابع كفه المستندة على جانب الباب لتقبض عليه بقوة من التوتر... هل هو جان أم ضحية؟؟؟ أحاسيسه وأفكاره كموج البحر الهائج

ثائرة ومختلطة ببعضها البعض لا يستطيع تمييزها من بعضها وكل ما تمكن من فعله هو التوقف مكانه كما هو... لم يدخل غرفته ولم يستدر لينظر إليه ولم يرد فأكمل والده:

- شكلك كويس قوي يا ابني ما شاء الله... الحمد لله بقيت بخير...
ظل نادر كما هو ثابت مكانه لا يرد فاقترب منه أبوه حتى أصبح خلفه وأغمض هو عينيه وهو يشعر به وراءه ومد أبوه يده كي يلمس كتفه ولكنه تردد قليلا وعاد بيده للوراء مرة أخرى وسالت دمعته من عين نادر لم يرها أبوه الذي قال مكملًا:

- أنا... أنا بس كنت عايز أشوفك واطمن عليك وكنت باخد شوية حاجات وهمشي تاني أرجع اسكندرية...
وتهدج صوته وهو يقول مكملًا:

- لو حبيت تبقى تيجي تغير جو هناك ابقي تعالى... أنا قاعد لوحدي خالص... عموما أنا سايب لك نص المعاش وزيادة زي ما اتعودت علي درج مكتبك في أوضتك... ساحمني لو دخلتها وانت مش موجود...

صمت الأب قليلا وكأنه يريد أن يقول كلاما آخر ولكنه تراجع وعاد إلى باب غرفته ليغلقها وكاد أن يغلقها بالمفتاح كما اعتاد ولكن يده توقفت وتذكر أنه لم يعد بحاجة لذلك فنادر قد تعافى وابتسم ابتسامة خفيفة وترك الغرفة غير مغلقة وحمل حقيبة صغيرة وتوجه نحو باب الشقة وفتحه وقبل أن يغادر استدار نادر فجأة وكأن الصراع بين قلبه وعقله قد انتصر فيه القلب وعقدة لسانه قد انفكت فجأة لينادي عليه:

- بابا

توقف الأب ونظر نحوه ليذهب إليه نادر مسرعا ليحتضنه ويقبل كف يده بحرارة وتسقط الحقيبة من يد أبيه ليربت على رأسه وهو يبكي قائلاً:

- وحشتني يا ابني... وحشتني قوي

اختلفت قبلات نادر على كف أبيه بدموعه التي بللت كفه ورفع رأسه لينظر في وجهه عن قرب.... مرت سنوات طويلة لم يقترب فيها من أبيه إلى هذه الدرجة منذ أن كان طفلاً فتحسس أبوه ملامح وجهه وكأنه يتذكرها بدوره أيضاً ثم ربت على خده وهو مبتسم ومطمئن ليحمل حقيبتة مرة أخرى وهو يقول:

- خلي بالك من نفسك يا ابني...

وانصرف مغلقا الباب ورائه تاركا نادر يشعر وكأن قلبه يؤله من ثقل المشاعر فيجلس على أقرب مقعد له وينظر إلى صورة أمه المعلقة على الجدار أمامه ويمسح دموعه بيديه وينهض ليحمل صورتها من مكانها ويدخل غرفة نومه ليعلقها على جدار بجانب سريره...

خرج أبو بكر من المسجد المعتكفين فيه في تلك البلدة الأوروبية الصغيرة وقد أخبر الإخوة أنه سيذهب للاطمئنان على أحد أصدقاء الطفولة القدامى الذي هاجر من مصر إلى هنا منذ سنين طويلة وتركهم يتدارسون الفقه وأصول الدين في المسجد ويعلمونه لإخوانهم حديثي الإسلام من الأجانب.... استوقف تاكسي وسار به في شوارع كثيرة حتى أشار له كي

يتوقف عند ناصية شارع جانبي ما وترجل من التاكسي وبعد أن أعطاه حسابه وتأكد أنه رحل دخل إلى ذلك الشارع الجانبي الضيق وتوقف قليلا مستندا بظهره للحائط ليتأكد أنه ليس هناك من يراقبه ولن يدخل أحد وراءه وبعد أن اطمأن أكمل سيره ليخرج من الناحية الأخرى للشارع ويعبر الطريق الواسع إلى تلك السيارة الفارهة المنتظرة على الجانب الآخر فيركب بجوار السائق وتنطلق السيارة ولم تمر ربع ساعة حتى وصلا عند باب قصر كبير ليفتح الباب وتدخل السيارة وتسير في طريق دائري مرصوف بعناية وتتوقف بالداخل أمام باب القصر نفسه فيترجل منها أبو بكر ويدخل من الباب إلى البهو الفخم ليستقبله رجل طويل القامة واضح من قسماات وجهه القاسية وجسده العريض مفتول العضلات وذلك السلاح المعلق في حزام تحت إبطه أنه حارس شخصي ومشى وراء أبي بكر حتى خرجا من باب آخر على حديقة خلفية واسعة يتوسطها حمام كبير للسباحة ومقاعد وثيرة ممدد على واحد منهم رجل أجنبي لا يرتدي سوى مايوه وبجواره فتاتان أقل ما يقال عنهما أنهما مثيرتان للغاية يرتديان البكيني ويدلكان ظهره وبجوارهم جميعا كؤوس من الخمر ممتلئة بالثلج فيتوقف الحارس ويقترب أبو بكر بحذر ولا ينتبه له الرجل ويتشتت ذهن أبي بكر للحظات مع مفاتن المراتين ولكنه تنحى لكي يستعيد ذهنه ويلفت انتباه الرجل لوجوده فالتفت إليه ببطء ثم اعتدل في مجلسه ابتسم له مرحبا وهو يقول بلغة عربية ولكنة أجنبية:

- إزيك؟ أبو بكر صح؟

- مضبوط يا باشا... أهلا بيك
- بقالك شوية كتير واقف؟
- لأ لسه واصل
- تناول الرجل كأسا من الخمر وعرض واحدا آخر عليه فاعتذر له أبو بكر... فقال له الرجل ساخرا:
- إيه؟ ما بتشر بش أبو بكر؟
- سعادتك عارف يا باشا الخمرة حرام عندنا
- فضحك الرجل بصوت عال ثم قال:
- صح... خمرة حرام... لكن سلاح قتل حلال... صح أبو بكر... مضبوط
- فضحك أبو بكر ضحكة عصبية قصيرة مجاملة ولم يرد فأشار الرجل للحارس فاقرب وأخرج من جيبه صورة أعطاها لأبي بكر فتفحص هو الصورة قليلا وعقد حاجبيه وكأنه يحاول تذكر وجه صاحب الصورة... يعتقد أنه قد رآه من قبل في مكان ما... فنظر للرجل متسائلا فقال له:
- عمر شوقي... هرب من الناس تبعنا في العراق... هو دلوقت في مصر... طبعا عارف هتعمل إيه؟
- تذكره أبو بكر فور سماعه الاسم وهو يرد على الرجل:
- عارف يا باشا... هنخلص عليه
- بالظبط أبو بكر... بالظبط... الفلوس هتتبع على نفس الحساب
- بعد قتل زي ما يحصل كل مرة...

أوماً أبو بكر برأسه موافقا وانصرف وأخذ الرجل الأجنبي فوطه كبيرة ليحفف بها رأسه وجسده ثم أحاط بها خصره وأخذ هاتفه من الحارس وطلب رقما مصرياً ليتفق معه على صفقة هيروين ذاهبة إلى مصر خلال أسبوعين مؤكداً على الميعاد ومكان الوصول لكي يخفف الطرف الآخر على الهاتف من التواجد الأمني في هذا المكان في التوقيت المتفق عليه...

* * *

كان سامح جالسا على أريكة بجوار مكتبه ومدا قدميه على منضدة أمامه ينظر لصورة يظهر فيها عمر ومصطفى وهما ممسكان بكأس ما ويضحكان يبدو أنهما قد فازا به في مسابقة رياضية ما في الجامعة وسمع طرقات على باب مكتبه ليدخل الأمين مجدي مؤديا التحية العسكرية فينظر إليه سامح وهو يقول:

- تمام سعادتك عرفنا مكان مصطفى وليه ملف عندنا يا باشا كان شغال معاه أحمد بيه سعيد قبل كده

- طيب ومستني إيه؟؟!!

- أوامر سعادتك يا باشا الحملة جاهزة وهنروح نجيبه

وانصرف مجدي وأمسك سامح بهاتفه ليتصل برقم أحمد بيه سعيد:

- ألو.... أحمد بيه.... صباح الفل يا باشا... عامل إيه؟؟.... تعيش بخير الحمد لله... لا مؤاخذه يا باشا هنزعجك معلش كان فيه طلب كده بس صغير... تسلم يا باشا... كان عندك واد من بتوع التكفير من فترة اسمه مصطفى الدهشان... هنتقل عليك يا باشا في الملف بتاعه بس... آه... تمام

كده متشكرين يا باشا صباح الفل...
أنهى سامح المكاملة ونادى على الأمين الذي يقف بالخارج وعندما دخل
قال له:

- هتروح يا ابني لحد مكتب أحمد بيه سعيد الأمين اللي هناك هيدي
لك ملف هاتهولي...

خرج الأمين وعاد بعد عشر دقائق بالملف ليفتحه سامح ويقلب فيه
ويقرأ أجزاء منه ويطلع على ما فيه من صور... نصف ساعة ودخل عليه
مجدي مؤديا التحية العسكرية وهو يقول:

- تمام سعادتك يا باشا... مصطفى في أوضة التحقيقات...

أغلق سامح الملف ونهض من مكانه متجها لغرفة التحقيقات ودخل
وأغلق الباب ورائه وجرجر كرسيا عن عمد ليجلس أمام مصطفى المقيّد في
كرسيه من يديه وقدميه ورأسه مغطى بالكامل بغطاء أسود به ثقبان فقط
عند فتحتي الأنف ومربوط على مكان فمه رباط أسود قوي لمنعه من الكلام
ويرتعش من الخوف الذي ازداد فور سماعه صوت الباب يفتح ويغلق
وخطوات قديمي سامح وصوت سحبه للكرسي والولاعة وهي تفتح وتغلق
وقال سامح فجأة بعد دقائق من الصمت انهارت فيهم أعصاب مصطفى:

- حمد لله على السلامة يا درش

ازدادت رعشة جسد الأخير فأكمل سامح بلهجة ساخرة لاستنزاف أعصابه:
- حد ضايقتك وهما بيقبضوا عليك؟؟... فيه حد مد إيده عليك

ولاحاجة؟؟؟

ثم وضع يده على ركبته فانتفض مصطفى وهو يكمل:

- لو حصل حاجة قول لي علشان أعرفهم شغلهم التيران دول... أنا ما بحبش أأذي حد ولا أقل من كرامة حد... ما تخافش... أنا بحب الي بيتعاون معايا... إنما ساعات يببقي فيه ناس إنت عارف دماغهم ناشفة شوية فبنضطر نلينها لهم بس إنما بيبقى غصب عننا والله.... وبعدين يا درش ما انت مش غريب يعني واحنا مش جداد عليك إنت صاحب مكان... مش كده ولا إيه؟؟ نهض سامح من مكانه ودار حول مصطفى ليزيد من توتره ثم وضع يديه على كتفه فانتفض مصطفى فزعا وكاد أن يسقط بالكروسي لولا أن سنده سامح وهو يربت على كتفه قائلا:

- لأ ننشف كده إحنا لسه قدامنا وقت طويل هنضعف من أولها ولا إيه؟؟!!... تاخذ سيجارة؟؟

فهز مصطفى رأسه يمينا ويسارا رافضا فأكمل سامح:

- معاك حق والله التدخين ده عادة وسخة أصلا... عمر شوقي فين يا درش؟؟

انتفض مصطفى وأخذ يهمهم همهمات غير مفهومة فقام سامح بفك الرباط الأسود عن فمه فانطلق صوته بلهفة ورعب:

- والله ما اعرف... والله العظيم ما اعرف هو فين... عدى عليا من أسبوعين وقعد نص ساعة ومشي

- كان عايز منك إيه يا مصطفى؟

- كان عايز طبنجة وطلقات

تردد مصطفى للحظات بينه وبين نفسه في ذكر سؤال عمر عن أبي بكر فهو في موقف لا يحسد عليه أمن الدولة ستعذبه وأبو بكر سيقتله شر قتلة لو أتى بذكره فهو يعرفه جيدا وزاد خوفه أكثر فأطبق فمه وقاطع سامح تفكيره بعد أن شعر بأنه يخفي شيئا:

- بس كده؟

- والله كده بس واتخانقت معاه وطردته كمان

ضحك سامح بصوت عال ثم قال:

- ما فيش فائدة فيك يا درش.... مع إنك قديم وصاحب مكان زي ما قلت لك إنما برضه فاكّر نفسك هتعرف تحور!!

كاد مصطفى أن يتكلم مبررا موقفه إلا أن سامح أعاد الرباط على فمه مرة أخرى ونادى على الأمين بالخارج ليأتي مسرعا فيقول له:

- واجب الضيافة بقى... إنت عارف مصطفى حبيبنا من زمان مش عايزينه يقول علينا بخلا ولا حاجة... هاه؟

وخرج سامح منصرفا تاركا إياهم بالداخل ليبدأ الأمين حفلة الترحيب مع مصطفى....

- تشرب إيه يا طارق؟

قالها سمير أبو مادلين وهو يمد يده نحو طارق بعلمة بها بونبوني فأخذ

طارق منها واحدة وهو يقول:

- متشكرا عمي مش عايز أشرب حاجة
- ليه يا ابني؟ علشان احنا مسيحين ولا إيه؟ ما تقلقش ما بنحطش
- في اللي بنشربه مية قسيس ولا حاجة زي ما الناس بتقول
- قالها وضحك بصوت عال فنظر له طارق باستغراب قائلا:
- حضرتك أنا يا ما شربت وأكلت عندكم!!! أنا متربي في بيتكم
- مش فاهم إيه لازمة الكلام ده أنا فعلا مش عايز أشرب حاجة!!
- قال سمير مبتسما ابتسامة مأكرة:
- ما انا عارف أنا بهزر معاك بس... لسه بتحب تقرأ؟
- أيوه
- قرئت الإنجيل قبل كده؟
- توتر طارق قليلا ثم أجابه:
- لأ
- ليه؟

احتار طارق في الرد للحظات ثم قال:

- يمكن ما جاتش الفكرة في دماغي بس ما عنديش مانع أقراه عادي
- تعرف يا طارق... أنا قرئت في القرآن كويس... كتاب لطيف قوي
- وملهم فيه آيات كتير مهمة بتفيد الإنسان في حياته...
- ساد الصمت للحظات وسمير ينظر في عيني طارق الذي كان متوترا
- جدا لا يعرف النقطة التي يريد سمير الوصول إليها من الحوار وأكمل سمير

كلامه وهو يمد جسده للأمام متكئا على ركبتيه:

- فيه آية فيه بتقول لك (لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون)... المسيحيين في حكم الإسلام يعتبروا مشركين بالله وكفرة... حتى فيه آية تانية بتقول لك (كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثالث ثلاثة)...

اندهش طارق لحفظه الآيات فهو نفسه لا يعرفها!! فقال:

- الحقيقة أنا مش حافظ القرآن بصراحة بس كل الي أعرفه إن احنا ممكن نتجوز ست من دين تاني عادي مش حرام... واعرف إن سيدنا محمد نفسه كان ليه زوجة قبطية....

- طب ولو كان حرام كنت هتتجوزها برضه؟؟

- يا عمي أنا ما اعرفش الآية الي حضرتك قلتها أصلا ومش متدين قوي للدرجادي ولو حضرتك بتلمح كل ده لنيقي من ناحية مادلين علشان تتأكد منها... فأنا بحب مادلين قوي وحتى لو كان جوازي منها حرام كنت هتجوزها برضه...

وضع سمير ساقا على ساق وقال بهدوء

- بس هي ما ينفعش تتجوزك يا طارق

تغيرت ملامح طارق للخوف وقال:

- ليه؟؟

- علشان إحنا عندنا ما ينفعش... في المسيحية ما ينفعش... لازم
تتجوز مسيحي زيها...

صمت طارق وشعر بالحيرة تزداد داخله ولم يرد وابتسم سمير وهو
يكمل:

- إلا في حالة واحدة

قال طارق متلهفا:

- إيه هي؟

- تتعمد

- يعني إيه؟

- تتعمد بروح القدس وتعرف المسيح... يعني تبقى مسيحي يا طارق
انفض طارق من المفاجأة فلم يكن يتوقع ذلك الحل ولم يطرأ حتى على
عقله وعندما تأكد سمير من أنه حقق هدفه من النقاش أكمل كلامه قائلا:
- ده الحل الوحيد... وانت شاب مهذب واحنا عارفينك كويس ومتربي
وسطنا مش باقي بس غير إنك تبقى واحد مننا بروحك...

- طب وبابا وماما؟

- ما لهم؟

- هيوافقوا على ده؟

- إنت سيبت لهم البيت خالص علشان مادلين

- أيوه بس.... البيت حاجة والدين حاجة تانية... ربنا؟؟

- عموما يا طارق أنا عن نفسي ما عنديش مانع إنكم تبقوا مع بعض... بس موافقتي مش كفاية.. حتى لو كنت ليرالي شوية بس أنا ما اقدرش أقف قدام الكنيسة والمجتمع المسيحي... لازم تساعدني لو كنت فعلا بتحب مادلين وخايف عليها...

ارتبك طارق ولم يجد أي إجابة فابتسم سмир ونهض من مكانه إيدانا بانتهاء المقابلة وهو يقول:

- خد وقتك ولما تقرر وتحدد موقفك قول لي.... آه... نسيت أشكرك إنك حافظت على بنتنا وسيبتها فيرجين زي ما هي...

احمر وجه طارق خجلا لاكتشافه معرفة سмир بما دار بينه وبين ابنته فنهض سريعا من مكانه واستأذنه في الرحيل وخرج من غرفة المكتب متجها نحو باب الشقة لتخرج مادلين من باب غرفة أخرى لتنظر إليه ويبدو في عينيها آثار البكاء فيتوقف طارق لحظات نظر فيها لها ثم نظر لأبيها الواقف أمام باب مكتبه هادئا ثم أكمل طريقه منصرفا وقلبه ممتلئ بالحزن وبالحيرة....

تعالت ضحكات لينا وهي تمزح مع زملائها الموسيقيين في البروفة... فقد أخبرها المتعهد عن حفلة قادمة في الغردقة فتقابلوا للتحضير لها بعد ميعاد عملها أو قبله تبعا لمواعيد الاستوديو الذي يؤجرونه... لم تلاحظ هاتفها الذي كان يرن فقد وضعوا جميعا هواتفهم على الوضع الصامت لكي ينتبهوا لما يعزفونه من موسيقى ويسجلونه ويحفظونه... لمحت أن هاتفها كان

يرن فأشارت لهم بالتوقف للحظات قائلة:

- معلش يا جماعة ثواني بس علشان دي أجي بس لازم أرد... ألو...
أيوه يا ماما... ما كنتش واخدة بالي كنت عاملة التليفون سايلنت... أنا في
البروفة ما انتي عارفة

كانت تحاول أن تتكلم بشكل هادئ وطبيعي كي لا تلفت نظر زملائها
للمشاكل التي تعيش فيها ولكن صراخ أمها وصوتها كان عاليا لدرجة
وصوله لمسامعهم من هاتفها في هذه الغرفة المبطنة الجدران التي يجلسون
فيها والتفتوا جميعا إليها فشعرت بالإحراج ونهضت خارجة وأغلقت باب
الغرفة وراءها وهي تقول لأمها بحدة:

- إنتي بتزعقي ليه دلوقت مش فاهمة؟؟

- بزعت ليه!! الساعة كام؟؟ إنتي مش واخدة بالك يا ست هانم ولا
إيه؟؟!! بروفة إيه لحد دلوقت!!

- يعني إيه بروفة إيه!! ما تبطلي بقي أسلوبك ده وكفاية قرف

- قرف!! اخربي يا قليلة الأدب... بروفة إيه الي شغالة لحد دلوقت...

بتتصرمحي فين على حل شعرك انطقي

بدأت الدموع تتساقط من عيني لينا وصوتها يعلو وخرج اثنان من
زملائها ليطمئنوا عليها فوجدوها تصرخ في الهاتف فتوقفوا مكانهم ولم
تلاحظهم لينا وهي تقول:

- حرام عليك كفاية بقي.... إنتي عايزة مني إيه.. صرحة إيه الي بتتكلمي

عليها ما انتي كنتي بتعملي بروفات زمان وكنتي بتغني وعارفة إن البروفات

بتأخر!! ولا انتي عايزة تشميني وتهزقيني وخلاص... كفاية بقى كده أنا زهقت..
- أيوه يا بت ابلفيني بشوية المسكنة دول... لما ترجعي أنا هشوف شغلي
معاكي يا بنت ال...

لم تكمل أمها الكلمة فقد أغلقت لنا الخط في وجهها وجلست على
كرسي بجوارها تبكي واقترب منها زميلاها ليقول أحدهم:
- في إيه يا لينا؟؟ إنتي كويسة؟؟

مسحت لينا دموعها بعد أن انتبهت لوجودهما لتداري على الموقف
وترسم ابتسامة على وجهها قائلة:

- آه... أنا كويسة ما فيش حاجة... ماما بس كانت قلقانة عليا شوية
اتأخرت أصلي نسيت أقولها إني عندي بروفة بعد الشغل
اضطرت أن تكذب لتحافظ على ماء وجهها فأشار زميلها إلى الآخر
أن يتركهما وحدهما فعاد الآخر إلى داخل الغرفة مغلقا الباب وراءه وتركهما
ليجلس بجوارها قائلاً:

- في إيه يا لينا؟؟ أنا عارف إن فيه حاجة كلنا سمعنا صوت مامتك وهي
بتزقق في التليفون وبتشتم

صمتت لينا وأشاحت بوجهها وبكت فربت هو على كتفها قائلاً بتأثر:
- إحنا صحاب من زمان ويا ما اشتغلنا مع بعض تقدري تتكلمي
معايا لوعايزة

قالت لينا وهي تحاول أن تتحكم في دموعها لتتوقف وتمسحها بيدها:
- ربنا يخليك أنا عارفة... بس الحكاية تفاصيلها كتير وانا ما بقتش

قادرة أحكي خلاص

- اللي يريحك بس أنا عايزك تعرفي يا لينا وتتأكدي إني بعزك جدا وبحترمك وكل الناس الي جوه في البروفة برضه بيحترموكي قوي كإنسانة وكفنانة... طول الفترة الي عرفتك فيها عمري ما شوفت منك أو سمعت عنك من أي حد حاجة مش كويسة.... بالعكس يمكن الناس كلها في الوسط بتاعنا سواء عازفين أو مطربين الي يعرفوكي بيقولوا عليكي من ضهرك إنك من أكثر الناس في شغلانتنا جدعة ومحترمة وفنانة بجد وحقانية.... اوعي تحلي أي حاجة في الدنيا تكسرك أبدا... أنا بقول لك الكلام ده علشان تاخدي بالك من نفسك وما تضعفيش أبدا....

ابتسمت لينا ونظرت إليه قائلة:

- أنا متشكرة قوي...

ابتسم بدوره قائلا:

- مش محتاجة تشكريني على حاجة... ده حقك وانا ما قولتش غير الحقيقة... عموما امشي انتي دلوقت ونكمل الي ناقص في البروفة الي جاية... نهضوا وعادوا إلى الغرفة لتلملم لينا أغراضها ونظرت إلى باقي الفرقة فنهضوا جميعا متعاطفين معها وسلموا عليها بابتسامات تحمل المساندة والحب وكأنهم يقولون بنظراتهم لها كما قال زميلهم بالخارج وهي تستأذنها في الرحيل.... طوال الطريق في التاكسي ظلت لينا تسترجع علاقتها بأُمها وكلام صديقتها هاجر... أصبح لا بد من أن تترك البيت وترحل... فاض بها الكيل ولم تعد قادرة على التحمل أكثر من ذلك.... تستنزف كل طاقتها

في تحمل إيذاها شبه اليومي وتسلسلها وأموالها التي تؤخذ منها والطاقة السلبية الهائلة التي تخرقها رغما عنها في كل ليلة تعود فيها للمنزل... إنها لا ترغب سوى في استقرار نفسي وبدني وهدوء... مكان تشعر فيه بإحساس البيت والأمان.... سنوات من الشجار والشتائم والصوت العالي المزعج والتحكمات والالتهامات الباطلة دون أي مبرر.... بجانب طبيعة عملها التي تجعلها تواجه كثيرا من الشخصيات المتطفلة كذلك المنتج اللزج.... كثير جدا من الضغوط في أحكام الناس ونظراتهم لمجرد كونها تعمل ليلا!!... في البيت وفي الشارع وفي العمل فقط لا شيء غير الضغوط... أصبحت على وشك الانهيار تماما... لا بد من قرار... ولكن من أين تأتي بالأموال التي تساعدك في تبدأ حياتها وتؤجر مكانا جديدا؟.... الإيجار والمقدم والأجهزة كل ذلك سوف يكلفها كثيرا إنها تحتاج ما لا يقل عن خمسين ألفا من الجنيهات وهي لا تملك كل هذا المبلغ... كانت قد وصلت عند باب الشقة وفتحت الباب ودخلت لتجد أمها في انتظارها... أصبحت تكره ملامح وجهها فحاولت تجاهلها وهي تتجه نحو غرفتها إلا أنها استوقفتها قائلة:

- خدي يا بت انتي تعالي هنا

توقفت لينا ثم استدارت لتنظر لها قائلة وهي تتحكم في أعصابها:

- ممكن أخش أنام أنا تعبانة ومش قادرة أتخاف النهارده... خلينا

نأجل الحناقة دي لبكرة...

- إنتي بتتريقي عليا يا حيوانة يا قليلة الأدب!! قصدك إيه؟؟ قصدك إني

ست نكدية يعني وغاوية خناق!! ليه يا حبيبتي ما انتي رايحة جاية براحتك

- ما بس بقى كفااااية

- كفاية بقى كفاية حرام عليكي!! إنتي ايه؟؟ إنتي ما عندكيش قلب؟؟
هو انا مش بنتك؟؟ إنتي دمرتيني... كل يوم شتيمة وخناق والجيران على طول
سامعين صوتك وعارفين كل حاجة عننا وفصايح وفلوسي كلها واخداها... يا
شيخة ده انتي لو لقياني في الشارع مش هتعملي فيا كده!! أنا كل يوم بداري
الجرح الي في رقبتى علشان الناس ما يشوفوهوش ويسألوني إيه ده ومن
إيه.... علشان ما يقولش إن أي هي الي عملت فيا كده... عايزة تبيعيني
لأئي واحد معاه فلوس من الألاضيش الي بتعرفهم علشان تاخدي من
ورايا قرشين وخلص!!!!... كل ده وساكته وما بتكلمش وعمالة أزق فيكي بس
علشان تسيبيني في حالي... بس تسيبيني في حالي... وبرضه مش عايزة... زي
ما تكوني نادرة ندر إنك تموتيني بالبطيء.... حرام عليكي حرام!!!!!!....

استجمعت أمها نفسها لكي لا تنهزم وصرخت بدورها:

- أيوه يا بت أيوه خدوهم بالصوت.... خفت أنا كده وكشيت!! إنتي

فعلا زودتيها قوي ولازم أقطم لك رقبتك

قالتها وجذبت لينا من شعرها فصرخت من الألم وهي تمسك بيد أمها وبدأت تتعالى طرقات على باب الشقة وأصوات الجيران بالخارج يتساءلون

عما يحدث والأم تجذب لينا من شعرها بقوة أكثر فسقطت أرضا وهي تقول:
- أهم الجيران اتلموا أهم تحبي أفتح الباب واقولهم مين اللي فاضحني
واخليكي تسمعي بودانك بيقولوا عليكي إيه وعلينا إيه؟؟

كانت لينا تصرخ وتحرك يدها لتحاول أن تجد شيئا لتدافع به عن
نفسها وما أن شعرت بشيء في متناول يدها حتى أمسكت به وغرزته في
يد أمها فصرخت الأخيرة بدورها صرخة شديدة وتركت شعرها لتنهض لينا
وتنظر لها فتجد أن ما غرزته في يدها هو نفس المبرد الذي جرحتها يوما به...
فزعت لينا للمشهد وانهمرت دموعها وأسرعت بعصبية نحو الباب الذي ما
زالت الطرقات تزداد عليه لتفتحه فجأة وتنظر في وجوههم جميعا وتصرخ:
- إيبيبيبيبية... عايزيين إيه... ما حدش له دعوة بينا... حرام
علييبيبيبكم... غوروا في داهية...

وفزع الجيران من صراخها ورد فعلها الحاد جدا وتفرقوا جميعا لتغلق
هي الباب بقوة في وجوههم وتعطي الباب ظهرها لتقع أرضا ببطء وهي
تمسك رأسها وتبكي بحرقة شديدة... تبكي كل البكاء الذي لم يكن قد
اكتمل من قبل...

ظلت ريم طوال الأسبوعين تفكر هل هي تحب سيف حقا!! أم أنها
فقط تشعر بفراغ لغياب سوزي التي أصبحت تتعامل معها فقط في حدود
الصداقة العادية جدا وتوقفت أية علاقة جنسية بينهما وفي العمل تتعامل
معها رسميا كمديرتها... الحق أنها ليست فتاة سيئة وكانت صريحة معها ولم

تخدعها ولم تنخدع هي أيضا ولم تتعامل معها بأي شكل يدل على غضبها مما حدث بينهما من خلاف شخصي... كانت في طريقها للجلسة مع سيف بعد مرور أسبوعين... تشعر من داخلها أنها تفتقده حقا... ترى هل هو متزوج؟؟ لم تسأل نفسها هذا السؤال من قبل ولكنها لم تلاحظ أي خاتم في يده يدل على زواجه وكيف وهو على هذا القدر من الوسامة والذكاء يعيش بلا امرأة في حياته؟؟ قد يكون مطلقا أو أرملًا؟؟ ترى هل عنده أطفال؟؟ سرحت في تساؤلاتها وتوقعاتها حتى وصلت عند باب مكتبه ودخلت وهي تطرق الباب المفتوح كعادتها وتستأذنه في الدخول وكان هو جالسا على المكتب يقرأ في كتاب وكالعادة تخرج من اللاب توب بجواره موسيقى ال Jazz الهادئة كانت الأغنية لمطربة اسمها (Sara Lazarus) تغني (smile)... رفع سيف وجهه عن الكتاب لينظر نحو ريم ويبتسم وهو يخلع نظارته قائلا:

- أهلا ريم اتفضلي

دخلت ريم وهي مبتسمة وجلست لتنظر إليه وهي تقول:

- إزيك يا دكتور؟

- شكلك أحسن ووشك رادد واضح إنك رجعتي تنامي كويس وتاكي

كويس

- أيوه... وما رجعتش ثاني للأدوية القديمة وعرفت أوقف من ثاني يوم

زي ما قلت لي

- هايل يا ريم... وأخبار البنت اللي كنتي بتحكي لي عنها آخر مرة

إيه؟؟... لسه فيه مشاكل ما بينكم؟؟

- لأ خالص إحنا ما بقناش مع بعض بس... كان عندك حق لما قلت لي
إن أنا اللي كنت عايزة أثبت لنفسي إني ما اترفضش بس وهو ده اللي ضايقني
إنما أنا ما مجبهاش ولا حاجة..

ابتسم سيف قائلاً:

- لأ ده احنا اتحسننا قوي... والأسئلة الأخرانية حلتها؟
- أيوه... أنا مستغربة حاجة واحدة بس عايزة أسألك عنها من المرة
الي فاتت
- إيه هي

- إحنا لحد دلوقت ولا مرة اتكلمنا عن إني بنام مع الستات... ولا مرة
لمّحت في كلامك للجنس مع إني كنت فاكرة إن هو ده السبب في تعبي!!
أشعل سيف سيجارة ونهض من مجلسه ليغلق باب المكتب ويجلس
أمامها ويقول:

- المشكلة عندك مش في ميولك الجنسية... المشكلة في سلوكك وردود
أفعالك في العلاقات العاطفية سواء الطرف الثاني راجل أو ست... المشكلة
مش مع الطرف الثاني... المشكلة كانت دايمًا عندك انتي... علشان كده
تركيزي كان كله على الماضي وعلاقتك بوالدتك لأنها أساس المشكلة كلها
والأسئلة الي كنت بديها لك علشان تحليها بتفرد قدامك المشاكل في
هيئة أسئلة مباشرة ساعات وغير مباشرة ساعات... ساعدتك على مواجهة
الأجزاء المدفونة جوه منك وإنك تخرجيها للنور على ورق وتتكلم مع بعض

فيها... الحاجات دي جوه منك كانت عاملة زي الحمل... كأنك ماشية طول
عمرك بشوالين كبار مليونين طوب على ضهرك بيتقلوا رجلك وبيتعبوكي
ويخلوكي عصبية وردود أفعالك مع الناس كلها حادة وناتجة عن الحمل نفسه
أكثر من سلوكيات الناس نفسها... إحنا كل الي عملناه مع بعض إن احنا
فضينا الشوالين دول وما بقاش على ضهرك أي حمل..

- فعلاً أنا حاسة إني خفيفة... من جوه ومن بره لدرجة إني عايزة أرقص...
نهضت ريم فجأة من كرسيها وبدأت ترقص وتدور حول نفسها وكانت
تخرج من اللاب توب موسيقى (Bach violin concerto in A minor)
(firs movement by Bobby McFerrin)... ضيق سيف عينيه وهو
يتابعها ويفكر فيما تفعله واقتربت منه ريم فجأة لتشده نحوها وهي تقول:
- أرقص معايا

حاول سيف أن يزيح يدها ببطء وهدوء من حول رقبتة إلا أنها ضمته
نحوها وهي تقول وقد بدأت تشعر بالإثارة:
- إنت خايف مني يا سيف؟؟ ليه مش عايز ترقص معايا؟؟ أنا عايزة
أرقص معاك!!

كان سيف يحاول التملص منها وهي تكمل:
- ما تبعدينش عنك.. وانا بحبك وعارفة كمان إنك بتحبني... باين في عينيك
أمسك سيف يديها بقوة وأزاحهما عن رقبتة وهو يقول:
- اهدي يا ريم... اهدي واسمعي

ظلت تحاول الإمساك به وهو يتملص منها وأزاحها ليذهب نحو اللاب
توب مغلقا الموسيقى ونظر لها قائلا بلهجة حادة وهو يقترب منها ليمسكها
من كتفها ويجلسها:

- فوقى يا ريم... فوقى واهدي

نظرت له ريم وهي مصدومة للحظات ونظرات عينيها تائهة في عينيه
وفجأة انخرطت في بكاء شديد وهي تقول:

- أنا آسفة... أنا آسفة

أخرج سيف محقنا به مهدى وشمر عن ذراعها وحققها لتهدأ شيئا
فشيئا وأنهضها وهو يسندها حتى وصل بها إلى الأريكة ليمددها عليها
وذهبت هي في نوم عميق من تأثير المهدئ... وعدل هو من شعره وهندامه وعاد
للجلوس وراء مكتبه لينادي على السكرتيرة ويطلب منها كوبا من القهوة...
ثم أشعل سيجارة... كان متوقعا آخر هجمة للمرض ومنتظرا حدوثها إنه يحاول
الإيقاع به هو شخصيا لكي لا يسمح لريم بالنجاة لكي تعود كما كانت... المرض
النفسي كالفيروس يحاول الهجوم أحيانا للبقاء على قيد الحياة وكان هو الذي
يشكل التهديد الرئيسي والأخير لحياته ولكنه كان منتبها ومستعدا لهجمته
ودفاعه عن نفسه... وهذه هي آخر مرحلة من مراحل المرض وأولى مراحل
التعافي الحقيقية... ابتسم سيف في هدوء ليعيد تشغيل الموسيقى ويفتح الكتاب
أمامه مرة أخرى منتظرا عودة ريم لوعيتها في خلال ربع ساعة على الأكثر
وعودتها أيضا لحياتها ونفسها لأول مرة منذ سنين طويلة...

اشترى نادر علبة سجائر من الكشك واستدار ليرتب أمواله ويضعها في جيبه وفتح العلبة ليشعل سيجارة ولمح تلك السيارة تتوقف على الناحية الأخرى من الشارع ليهبط منها السائق سريعا ويدخل بناية مجاورة وتلفت الفتاة التي كانت تجلس بجواره نحو نادر فيتسمر مكانه... إنها رشا... اتسعت عينا رشا فور رؤيته ولكن نادر لم يتحرك من مكانه ولم تتحرك هي الأخرى من السيارة بل ظلا ينظران لبعضهما البعض... شعر نادر بقدميه تهتران وشعر بخليط من الخوف واللهفة في نفس الوقت!! لم تكن المرة الأولى التي يصادف فيها أحد أصدقاء الضرب القدامى وعادة لم يكن يجيب نداءهم إذا نادى عليه أحدهم وأحيانا كان يعدو في الشوارع كالمجنوب أو اللص هربا من المواجهة إذا كانت حتمية وأصبح أهدأ بعد مرور سنتين من التعافي... يتجنبهم ولكنه لا يتوتر مثلما كان يفعل وفي الأغلب أصبحوا هم من يتجنبونه لكي لا تذكرهم رؤيته بوضعهم المؤسف وضعفهم ولكن... إنها رشا... رشا لم تكن مجرد صديقة ضرب بل كانت رفيقته وحبيبته أيضا وفي نفس الوقت أخطر شخص عليه الابتعاد عنه كما كان يخبره وائل... الصراع كان يحطم عقله من الداخل ونتج عنه أن قدميه خرجا عن سيطرته فاستند بيده على السيارة المركونة بجانبه وظلت عيناها تتابعان بعضهما البعض ودار بينهما حوار بالنظرات لم يره أحد غيرهما فقد كان نادر يقول لها:

- وحشتيني قوي يا رشا... قوي

- وانت كمان يا نادر وحشتيني قوي... إنت مش متخيل وحشتيني قد

إيه!! أنا ضايعة من غيرك...

- شوفتي أنا عرفت أبطل... طلع فيه ملفات نرجع منها أنا كنت غلطان... فيه رجوع من الطريق ده... مش مكتوب علينا الموت والضرب ولا حاجة!!!

ابتسمت عينا رشا وسقطت منها دمعة وكأنها تسمعه وتقول:

- يا ريتني سمعت كلامك ساعتها ما كنتش هبقى نفسى ألمس وشك دلوقت ومش عارفة... أنا مبسوفة علشانك قوي يا نادر وفرحانة لك... شكلك حلو قوي ووشك منور....

كان السائق قد خرج من البناية مرة أخرى وبدأ يتحرك بالسيارة واعتدل نادر في وقفته وكأنه يقول لها:

- استني يا رشا ما تمشيش... تعالي معايا... لسه فيه فرصة... تعالي معايا...

ولكن السيارة انطلقت وظلت عينا رشا تتابعان عيني نادر للوراء حتى اختفت السيارة وسط الزحام والناس...

- إيه يا رشا إنتي شوفتي حد تعرفيه ولا إيه؟

سأل الشاب السائق رشا فقالت له وعيناها مملتئتان بالحزن:

- لا أبدا ولا حاجة... ده واحد كنت بشبه عليه بس..

وصلا بالسيارة عند ميدان ما فتوقفا وظلا يتلفتان حولهما حتى لمحا ذلك الشاب قادما نحو السيارة مسرعا ليفتح الباب الخلفي ويركب قائلا:
- يلا بينا يلا...

فتحركوا بالسيارة وفتح الشاب ورقة كبيرة بحرص بها قطع من الهيروين
كالطوب الصغير فنظر له السائق نظرة سعيدة وهو يقول:

- العب بقى يا معلم... يا حلوياتك... قسم وروقنا بسرعة
فنظر له الشاب في مكر قائلاً:

- فلوسكم الأول يا حبيبي... البكا على راس الميت
تململ السائق وهو يقول:

- ياعم واحنا هننصب عليك!!... ما تخلص إحنا تعبانين بنموت..
نظرت له رشا وهي تمد له يدها بالأموال وتقول:

- امسك يا عم وخلص والتبي
تلقف الشاب الأموال من يدها قائلاً:

- أيوه كده... الله عليكى

وأعطاه الورقة بعد أن أخذ منها نصيبه وأخرجوا جميعا السرنجات وقاموا
بتحضيرها وحقنوا أنفسهم... لم تمض عشر دقائق حتى مالت رأس رشا للوراء
بشكل حاد فجأة وسقطت السيارة من يدها فنظر لها السائق بتوتر وهو يقول:

- رشا... رشا؟؟

لم ترد عليه فأخذ السيارة الساقطة منها وألقاها بالخارج وأخذ
يهزها بقوة ويضربها بكفه على خدها ولكنها لم تستجب وبدأت تخرج
من فمها رغوة بيضاء واختفى معظم بؤبؤ العين وصعد للأعلى... بدأ السائق
يفزع وانتبه الشاب وراءهم فقال:

- فيه إيه يا معلم؟.. البت أفورت ولا إيه!!

- شكلها كده

- يادي الفصلان... طب خش أي شارع جانبي يكون فاضي بسرعة...

وما أن وجدا شارعا جانبيا هادئا حتى توقفوا وهبط الشاب من الخلف وفتح باب رشا وأخذ يحاول أن يعيد لها وعيها ويمسح وجهها بالماء والسائق يحاول معه بدوره دون أي فائدة... لا يوجد نبض ملحوظ... فنظر الشاب نحو السائق قائلا:

- تعرف بيتها فين؟

- لأ

- أُمال تعرفها منين؟

- اتعرفت عليها عند تاجر كده واحنا بنقضي من فترة وكانت لوحدها

معهاش حد ووصلتها بالعربية ونزلت في شارع عمومي مش عند بيت معين... لا أعرف هي منين ولا بيتها فين... نوديتها مستشفى؟

- إنت اهبل عايزنا نخش في سين وجيم ونتحبس!!

- أُمال نعمل إيه!! بسرعة قبل ما حد يشوفنا ولا نلاقي المباحث فوق

دماغنا

فتش الشاب جيوبها فلم يجد أي أوراق أو بطاقة... ثم فكر لثوان ونظر حوله جيدا في الشارع من الناحيتين... لا يوجد أحد فقال:

- طب يلا انزل ساعدني بسرعة

- هنعمل إيه؟

- هنحطها جنب الحيطه يعني هنكون هنعمل إيه؟
 اتسعت عينا السائق وتردد للحظات إلا أن الشاب قال له في حزم
 شديد وبجدة:

- يلا يا عم انت اخلص... قبل ما نروح في داهية
 فنزل السائق ودار حول السيارة ليحملها ويضعها بجوار الحائط
 كأنها جالسة ووضعها سرنحتها المستعملة في يدها واستعدا للرحيل إلا أن
 السائق قال له فجأة:

- أخذت البودة منها؟

فعاد الشاب فحوها سريعا ليأخذ الميروين من جيبتها ويعود كالطلقة
 ليركب مكانها في السيارة لينطلقا بها مبتعدين تاركين رشا وحدها وقد
 فارقت الحياة ببطء شديد في شارع جانبي مهمل لا يوجد به أحد إلا بعض
 القطط الضالة التي نظرت إليها وكأنها حزينة على تلك الفتاة التي كانت
 يوما ما ترقص الشمس مع ابتسامتها...

منذ مقابلته لراشد وعمر يفكر في كلامه طوال الوقت... هل ما سيقوم
 به سيغير من الوضع شيئا؟؟ هل سفك مزيد من الدماء حل؟؟ هل قتل أبي
 بكر سيغفر له ذنب من قتل فيما سبق؟؟ يبدو أن كل معالم الأشياء في عينيه
 وشكل الأفكار في عقله كان معكوسا لسنين طويلة... لا بد أن تلك الرحلة
 التي عاشها منذ ولادته في الدنيا لها حكمة أخرى غير كل تلك الحروب وكل
 ذلك الألم... كم طفل تيتم وكم زوجة ترملت وكم أم أصبحت مكلومة أو

ذهب نور عينيها من الحزن على وليدها بضغطة من إصبعه على الزناد؟؟؟
 عندما يكبر هذا الطفل اليتيم دون أبيه كيف ستصير ملامحه وكيف
 سيشعر وكيف سيكون شكل حياته؟؟ هل سيكون مشابه له عندما يكبر
 ممتلئاً بالحقد والسخط على المجتمع وعلى من قتل أبيه وعلى نشأته يتيما
 وحيدا دون ذنب اقترفه فيصبح معول هدم آخر جديدا في جانب مختلف
 من الحياة؟؟؟ ذلك الطفل سيحمل نفس مشاعره؟؟؟ إنهما يشبهان بعضهما
 البعض كثيرا؟؟؟ هل ماتت الأم والزوجة وراء فقيدهما حزنا عليه؟؟ تماما
 كما ماتت أمه حزنا على أبيه؟؟ هل من الممكن أن تكون طليقة واحدة قد
 تصيب أسرة كاملة وتقتلهم جميعا وليس فردا واحدا كما ترى العين؟؟....
 هل قتل أبي بكر سيمنع هذه السيناريوهات من الحدوث؟؟؟... للأسف قد
 قتل من قتل ومن نجا فقد نجا وانتهى الأمر... إحاسسه بالذنب وغضبه
 الجديد هو نفس غضبه القديم لم يختلفا في شيء سوى في السبب فقط...
 إن راشد على حق كما كان دوما... الحل داخلي وليس خارجيا... المشكلة منذ
 البداية لم تكن مع أحد آخر غيره... كانت دوما بينه وبينه... لقد استسلم
 للحقد بداخله وانتقم من البشر اعتقادا منه أنهم السبب في فقره وفيما
 حدث لأمه وأبيه وذلك اعتراضا على القدر وعلى مشيئته أيضا ولا يمت
 لأي تعاليم دينية بصله... لقد اختلطت عليه الأمور وأصبح لا بد أن
 يمضي راحلا... لم يعد له مكان هنا... ليرحل من مصر ويذهب إلى أي مكان
 آخر بعيد فهو يعرف دروبا كثيرة ليخرج بها من هنا ومعه ما يكفي من
 أموال هرب بها من العراق... وليعيش وحده بعيدا عن كل هذا الصخب وكل

تلك المعارك الكاذبة... يعيش ليهذب نفسه ويبحث بداخلها عن الحقيقة... عن حقيقته وأن يحاول تطهيرها من كل ما علق بها من آثام حتى يلقي ربه... لعله وقتها يفهم كل شيء ويعرف الحقيقة كاملة ولعله يسامحه ويحكم في أمره فهو الوحيد المطلع على كل شيء وهو الوحيد من لا تضيع عنده الحقوق ولو كان مذنباً فهو راض بحكمه وعقابه بنفس راضية... سيذهب في الميعاد لمقابلة مرسل مصطفى الذي بعثه إليه بالطبنجة والطلقات ليخبره أنه لا يريد هما ويبلغ مصطفى عن طريق المرسل أنه لن يكمل ما نوى وسيرحل عن البلاد مرة أخرى ويرجوه أن يسامحه على آخر مقابلة بينهما فهو لم يكن يقصد أي تعال من كلامه وأنه سيظل دائماً ممتناً له على صداقته فلم يكن له طوال حياته أي أصدقاء غيره... وذهب عمر بالفعل في الميعاد أمام ذلك المطعم وتوقف ليأكل ما اشتراه من طعام إلى أن جاء شاب ليقف بجانبه ويضع طعامه على نفس السور وبجانب الطعام وضع كيساً أسود وهو يقول دون أن ينظر له:

- أنا رسول مصطفى

أجابه عمر دون أن ينظر إليه بدوره:

- وأنا عمر

هم عمر أن يخبره بأنه لن يستلم الطرد وبالرسالة التي ينوي إيصالها لمصطفى إلا أن المرسل قال له وهو يأكل أيضاً:

- مصطفى اتمسك من ثلاث أيام وأمن الدولة عايزينك انت وبيدوروا عليك... الحاجة في الكيس الاسود

صدم عمر من الخبر ولم ينطق بما كان يريد قوله وشعر بقلبه يعتصر
حزنا على مصطفى فهو السبب فيما يحدث له الآن من عذاب فتلجم لسانه
وجز على أسنانه غضبا وقال المرسال ما قاله ثم لملم طعامه وانصرف تاركا
الكيس الأسود وظل عمر ينظر لدقائق نحو الكيس ثم مد يده ليأخذه
وينصرف بدوره حاملا ما بداخله من غضب جديد...

* * *

لم تذرف نرمين دمعة واحدة وكأن دموعها انتهت ولم تعد عيناها قادرتين
على إنتاج دموع أخرى تكفي للتعبير عما تشعر به... فقد رحل آخر من لها
في الحياة وبكل بساطة وهدوء وفي لمح البصر!!!... استيقظت من نومها لتجد
أباها قد أصبح مجرد جسد بارد لا يوجد به روح... لم تصرخ... لم تبكي... وكأن
الذهول كان أقوى من استجابتها... هل قررت السماء أن تأخذ منها كل ما تملكه
في الدنيا خلال شهر؟؟ فقط ثلاثون يوما؟؟!!!!... لماذا؟ وماذا فعلت لتستحق
هذا؟؟!!!!... دارت في عقلها كل تلك الأسئلة التي لا توجد لها أي إجابات... كان
رد فعلها الوحيد هو مكلمتها لابنة خالتها وكان صوتها هادئا تماما بشكل مقلق
جعل الأخيرة غير قادرة على الفهم... فقط (ألو... بابا مات)... اتصلت شيماء
ابنة خالتها بلينا لتأتي وبعض الأقارب القليلين جدا فلا يوجد لهم الكثير من
الأقارب... وظلت نرمين صامتة في الصلاة وفي الجنازة وفي العزاء وحتى بعد
انصراف الجميع... لم يتبق معها غير شيماء ولينا وباتوا معها ليلتها وكانت لينا
قد تركت بيت أمها بعد ما حدث وذهبت لإحدى صديقاتها حتى تحاول أن تحدد
مصيرها وأحاسيسها المشتتة وعندما علمت بالخبر ذهبت بسرعة وباتت معهم

فهي خارج بيتها في جميع الأحوال ولكن الحفلة التي كانت تحضر لها هي والفرقة في اليوم التالي ولا بد أن تترك نرمين لثلاثة أيام... اعتذرت لها وهي محرجة منها إلا أن الأخيرة ابتسمت لها في هدوء وتقبلت اعتذارها بشكل أثار حيرتها!!! هل هذا الهدوء هو الذي يسبق العاصفة؟؟؟ إن الصدمة شديدة عليها بالفعل ولا بد أن تنفجر إن عاجلاً أو آجلاً... كانت تود لو تترك الحفلة وكل شيء وتظل بجوارها لولا أن التذاكر قد بيعت بالفعل والمتعهد قد تقاضى الأجور ولم يعد في إمكانها إلغاء الحفلة... أوصت شيماء عليها ورحلت... واضطرت شيماء أيضاً أن تعود لبيتها ولأولادها التي تركتهم وحدهم مع زوجها ولأن إجازتها عن العمل قد انتهت وطمأنتها نرمين بأنها بخير ورفضت تماماً عرضها عليها أن تأتي لتبيت معها وأصرّت على البقاء وحدها بشدة فهي لا بد أن تجمع أشياء والدها ووالدتها وتبقي بعض الأوراق وتفكر فيما ستفعل وهل ستنتقل لتعيش في مكان آخر أو قد تسافر يومين في مكان ما لتستجمع شتات نفسها... قالت ذلك واطمأنت عليها ابنة خالتها ورحلت... وأصبح البيت خالياً تماماً إلا منها وحدها... جلست على الأريكة لتنظر نحو صورة أبيها وأُمها ونظرات عينيها خاوية ومتجمدة!!! كثير من الأسئلة التي اختلطت عليها فلم تخرج في نهاية الأمر سوى في هيئة صمت... صمت مهيب وكأنه صندوق قديم ضخم مليء بالأقفال الصدئة ملقى في قاع بحر عميق منذ مئات السنين تتجنبه حتى الأسماك وتلتف من حوله في طريقها... مرت ثلاثة أيام وكانت تتصل شيماء بها فلم يرد عليها أحد من هاتف المنزل وعندما حاولت على هاتف نرمين المحمول وجدته مغلقاً... بدأت تقلق فاتصلت بليلى التي كانت قد عادت لتوها من حفلة الغردقة وقالت لها:

- نرمين ما بتردش عليا يا لينا على البيت وموبايلها مقفول... أنا قلقانة عليها

- مش يمكن تكون سافرت زي ما قالت لنا؟؟ أنا كلمتها أول امبارح بليل وأكدت لي إنها مسافرة كام يوم اسكندرية

- طب ما انا مش عارفة أطمئن عليها ازاى إحنا ما لناش قرايب في اسكندرية وأنا مش عارفة هي بايئة فين هناك... وبعدين حتى لو كده قافلة تليفونها ليه!!!

- طب إيه رأيك شايفة إيه؟؟؟... تعالى نروح نعدي عليها ونسأل البواب.. ممكن يكون عارف هي فين أو تكون سايب لنا معاه خبر...

تقابلا ووصلا عند البناية وصعدا وطرقا باب الشقة عدة مرات فلم يجبهما أحد فنزلا مرة أخرى ليبحثا عن البواب فوجداه جالسا عند زميله في البناية المجاورة وسألاه ولكنه قال أنه لم يرها منذ ثلاثة أيام وقد تكون خرجت دون أن يلمحها ولكنها لم تترك معه أي خبر أو رسالة لأحد... ازداد قلقهما بشكل كبير خصوصا أنهما تذكرتا هدهدها وردود أفعالها العجيبة قبل مغادرتهم لبيتها وأصرا على أن يصعدا مع البواب ليحطما باب الشقة ورغم أن البواب كان معترضا لأنها مسئولية وتعتبر جريمة إلا أنها ثارا في وجهه وقالوا له أنهما المسئولتان أمام القانون ولن يتركاه وسيذهبان معه للقسم... صعدوا جميعا وقام البواب بكسر الباب ودخلا سريعا وما أن شاهدها ما أمامهما حتى صرخت ابنة خالتها وسقطت لينا على مقعد وراها غير مصدقة ما تراه... فقد كانت نرمين جالسة على الأريكة كما هي ولكن رأسها ساقط على صدرها

ويدها ساقطتان بجوارها وقد ازرقّت أصابعها... لقد ماتت وهي جالسة مكانها منذ يومين... لم يسأل عليها أحد... لم يحاول أحد الاطمئنان عليها...!!!... لعنت لينا الحفلة والموسيقى وكل شيء وهي تبكي ندما لأنها تركتها وحدها ولعنت شيماء بيتها وعملها ويا ليتها أصرت أكثر على أن لا تتركها وحدها... ماتت نرمين وحيدة كما عاشت وحيدة... ماتت دون صوت أو استغاثة أو أي اعتراض... ماتت في صمت كما عاشت في صمت... كم هي قاسية تلك الحياة وغير عادلة... كان مشهد نزول النعش الذي يحمل جثمان نرمين مهيبا رغم أن كل من كانوا يحملونه أو يحيطون به لا يتخطون العشرة أشخاص... وفتحت جميع أبواب الشقق المجاورة لها ليقف كل الجيران ينظرون للنعش خوفا وحزنا ولكن بعد فوات الأوان فمعظمهم أكل من لحمها وخاضوا في عرضها... ورغم أن المشهد قد خلا من زينب إلا أن وجهها كان يجيم على ملامح وجوههم جميعا... دارت لينا بعينيها اللتين ملأتهما الدموع في وجوههم ببطء ونظراتها تحمل الاحتقار والكراهية وخفضوا جميعا عيونهم فور مرور نظراتها عليهم منكسين رؤوسهم مذنبين وكأنها تقول لهم:

- ماتت خلاص... ماتت اللي كنتم بتعلقوا عليها خطاياكم وذنوبكم... هتناموا مرتاحين ازاي بعد كده؟؟!!

ولكنهم لن يعجزوا عن إيجاد ضحية جديدة ليلقوا عليها بأحمالهم ويمتصوا دماءها فيطمئنون أنهم أنقياء من الدنس وهم كل الدنس... وكل الإثم....

خرجت ابنة سامح من المدرسة وذهبت نحو السيارة التي تقلها دائما وتتبع أباهما وعندما ركبت وجدت السائق مختلفا فليس هو من تراه منذ سنة كاملة فسألته:

- أُمال فين عمو فارس؟؟ إنت صاحب بابا؟؟

استدار السائق بوجهه نحوها مبتسما بهدوء وقال لها:

- أيوه يا سكر أنا جيت بدل عمو فارس علشان تعبان شوية

ابتسمت في براءة قائلة:

- اسمك إيه؟

- اسمي عمر

في نفس الوقت كان سامح يدخل مكتب اللواء الفرماوي مؤديا التحية العسكرية ليقول له الفرماوي:

- تعالى يا سامح

تقدم سامح ليجلس على المقعد أمام مكتبه ليكمل الفرماوي قائلا:

- إيه الأخبار؟ الواد اللي اسمه مصطفى ده اتكلم؟

- ما يعرفش حاجة يا باشا

انفعل الفرماوي فجأة وهو يقول:

- يعني إيه ما يعرفش حاجة!!! إيه الأرض انشقت وبلعته يعني؟؟ مش

عارفين نجيبه وهو في بلدنا ولا إيه؟؟

قال سامح بثقة:

- يا باشا هجيبه سعادتك والله لو كان فين... هجيبه
رن جرس هاتف سامح فنظر إلى المتصل ليرى رقم زوجته فقال
للفرماوي يستأذنه:

- بعد إذن سعادتك يا باشا
أشار له الفرماوي مشوحا بيده أن يرد بطريقة تدل على أنه ليس الوقت
المناسب فرد سامح:

- أيوه يا حبيبي أنا في شغل دلوقت هكلمك كمان شوية.... إيه بس
فيه إيه!!!!... اهدي وقولي لي فيه إيه؟؟.... يعني إيه ما جتش لحد دلوقت وما
كلمتيش فارس ليه؟؟... تليفونه مقفول؟؟!!!!... طب اقفلي وأنا هتصرف
أنهى الاتصال وما أن أنهاه حتى رن جرس الهاتف مرة أخرى ليظهر
رقم الأمين مجدي فرد سامح:

- إيه يا مجدي؟
جاءه صوت مجدي متوترا:
- يا باشا مصيبة

نهض سامح من مكانه والفرماوي يتابعه ووجهه يتساءل عما يحدث
وسامح يقول بحدة:

- فيه إيه يا ابني حصل إيه؟؟
- عمر اتكلم علي تليفوني وقال إنه سايب فارس السواق في مكان متقيد
وسليم وخطف بنت سعادتك وبيقول نسيب مصطفى يسلمنا البنت

- إيببيبيبييه!!! إنت بتقول إيه!!!!

أنهى سامح الاتصال وسأله الفرماوي وهو ينهض بدوره:

- فيه إيه يا سامح؟؟

- الواد خطف بنتي يا باشا... الواد ده اتجنن وهموت أمه... هموته يا باشا

قال الفرماوي:

- اهدا طيب وروح على مكتبك دلوقت... إحنا لازم نعالج الموقف

بحكمة... هنوفر لك كل الإمكانيات اللي تحتاجها ما تقلقش يا سامح إحنا في ضهرك... وبنتك هترجع لك سليمة ما تخافش... بس لازم تتعامل مع الموضوع بالعقل إنت ظابط...

نظر سامح في عيني الفرماوي قائلاً بحزم:

- لو شعرة واحدة اتلمست من بنتي... هضربه بالنار

لم يرد الفرماوي أمام لهجة سامح القوية وخرج بعدها سامح من المكتب دون أن يؤدي التحية العسكرية.... وما أن وصل عند مكتبه حتى وجد الأمناء مجدي ومسعد في انتظاره فوجه سؤاله لمجدي:

- الرقم الي اتصل منه يا مجدي؟

- يا باشا الرقم مرفوع من الخدمة بس الواد ساب العنوان الي فيه فارس..

يا باشا ممكن يكون عامل لنا كمين

قال سامح بجدّة وكأنه لم يسمعه:

- هات العنوان

أعطاه مجدي الورقة التي كتب عليها العنوان فخطفها سامح من يده وانطلق خارجا من المكتب وانطلق وراءه مجدي ومسعد ومجدي يقول:

- استنى يا باشا إحنا جايين معاك

وصل الثلاثة عند باب تلك الشقة في تلك المنطقة الشعبية طبقا للعنوان الذي تركه لهم عمر ووقفوا شاهرين الطبنجات بحذر وجميع السكان يشاهدونهم بخوف من وراء الأبواب وفتح سامح الباب عنوة بقدمه ودخلوا ليدوروا في كل ركن في الشقة ولم يجدوا أحدا... لا أثر لفارس ولا حتى أية ملابس أو أشياء تخص عمر ويبدو من الطعام المتروك مكانه باردا أنه رحل من هنا منذ يوم أو يومين على الأرجح... ركل سامح الأطباق وكرسيا بجواره ليقلبهم من مكانهم على الأرض بعصبية وغضب ثم نظر للأمناء قائلا:

- كل الجيران الي في العمارة يتقبض عليهم لازم أجيب الواد ده النهارده قبل ما النهار يطلع يكون في إيدي فاهمين ولا مش فاهمين
ولمح فجأة تلك الورقة الملقاة في المطفأة المليئة بالسجائر فالتقطها ليفردها ويقرأ ما هو مكتوب عليها:

(فارس في مستشفى العجوزة وبتك معايا سليمة ما تقلقش... مستنيك...)

وترك له العنوان... وضع سامح الورقة في جيبه وانطلق خارجا بسرعة ليجري وراءه مجدي ومسعد...

اتصل نادر بوائيل وسالم وهو مرتبك تماما فقد جاءه اتصال من بواب شقتهم بالأسكندرية ليخبره ب وفاة والده المفاجأة... أتاه الاثنان فورا ولم يتركاه وحده بل ظلا معه لحظة بلحظة في السفر وفي كل مراسم الدفن وحتى في استخراج الأوراق اللازمة كانا معه حتى انتهى كل شيء حتى اطمئنا أنه قد تماسك وأخبره وائل أن يكن حذرا فمن أشد التجارب التي تمر على المدمن المتعافي هي فقدان... فقدان أي حبيب قريب من القلب والخوف الناتج عن الإحساس بالوحدة... سالم أيضا قال له:

- خليك جوه اجتماعات ال (NA) يا نادر... كل يوم تحضر اجتماع وانا هكون معاك وكلنا هنكون جنبك.... أهم حاجة ما تقعدش لوحذك كثير....
كانت كل الأصوات في عقله تنجرف به نحو آلام الوحدة والخوف وسيناريوهات مظلمة عن المستقبل وتلك الوخزة التي تقبض قلبه ولكنه عمل بما قاله له أصدقائه الجدد والتصق بالاجتماعات لم يكن يريد تحت أية حال من الأحوال أن يعود إلى المخدرات أو أن يسيطر عليه ضعفه... بعد وفاة والده بأسبوع مر عليه بالبيت صديق لوالده لم يكن يعرفه فقط رآه في الدفن ولاحظ أنه يبكي على والده وكأنه أخوه فتح له باب الشقة وقال له:

- اتفضل

دخل الرجل وأغلق نادر الباب وأشار إلى أريكة قريبة قائلا:

- اتفضل حضرتك ارتاح

جلس الرجل وهو يقول:

- متشكرا يا ابني

جلس نادر بجواره وساد الصمت للحظات والرجل ينظر حوله وكأنه يشتم رائحة أبيه في المكان ويتمتم بأشياء بصوت هامس يبدو أنه يقرأ له الفاتحة ويدعوه فقطع نادر الصمت قائلا:

- تشرب إيه حضرتك؟

ابتسم الرجل في هدوء قائلا:

- ولا حاجة... أنا عارف إنك ما تعرفنيش

- شفت حضرتك في الدفنة...

- أنا صديق قديم قوي لبابا من أيام ما كنا عيال صغيرين وجاي لك علشان أسلمك أمانة أبوك سابها لك معايا

انتبه نادر وعلامات وجهه تحمل تساؤلا عن طبيعة الأمانة فأكمل الرجل وهو يخرج من جيبه ورقتين ويعطيهم لنادر:

- دول الأمانة... سابهم معايا قبل ما يموت بشهر تقريبا أو أقل وقال لي أديهم لك لو جرى له حاجة... الله يرحمه كان قلبه حاسس

أنهى الجملة وترقرقت في عينيه دموع لم تسقط ونهض يستأذن نادر في الرحيل وما أن رحل حتى جلس نادر ونظر في الورقتين ليجد إحداها رقما كبيرا واسما لفرع بنك معروف والأخرى رسالة بخط والده مكتوب فيها:

(لو بتقرأ الكلام ده دلوقت يا نادر فأكيد أنا ما بقتش موجود في الدنيا ومشيت... وده هيبقى أنسب وقت أقول لك فيه الكلام اللي دايم كنت كل ما انوي أقوله لك أخاف واتردد... أنا كنت غي يا ابني ومش مقدر النعمة اللي ربنا ادهاني... بس البني آدم ما بيعرفش قيمة الحاجة غير لما بتروح منه....

علشان كده أنا ما عرفتش قيمة أملك إلا بعد ما ماتت وما عرفتش قيمتك غير بعد ما المخدرات سرقتك مني.... جازي أنا ما كنتش بحبك زي ما كان المفروض أحبك أو زي ما كنت تستحق مني... ما عرفتش أحبك كفاية... كنت فاكر إن القسوة والشدة جزء من الحب وإنهم هيخلوك راجل وتتحمل المسؤولية بس كنت غلطان... لأنهم ضيعوك... صحيح ربنا كرمي إني أشوفك كويس تاني قبل ما اموت ورجعك ليا من الدوامة اللي كنت فيها... بس التجربة الصعبة اللي انت مریت بيها علمتني كتير وخلتني أشوف حاجات ما كنتش شايفها قبل كده... وكان دين عليا لربنا إني أعترف لك الاعتراف ده ما دام رجعت ليا من تاني... سامحني يا ابني على أي حاجة عملتها معاك جرحتك أو كسرت قلبك.... أنا حوشت لك من وانت صغير مبلغ في السريساعدك إنك تبدأ حياتك من جديد وتحاول من تاني تحقق أي حلم أنا وقفت بينك وبينه في يوم من الأيام هتلاقي رقم الحساب في الورقة الثانية... بس أنا طالب منك طلبين صغيرين... تخلي بالك من نفسك كويس وتبقى تفتكرني بالخير كل ما آجي في بالك زي ما بتفتكر أملك وادعي لي كتير إن ربنا هو كمان يسامحني وابقى زورني من وقت للتاني...)

كانت عينا نادر ووجنتاه غارقتين في الدموع وقال بصوت منخفض وكأنه يحدث أباه:

- أنا اللي أسامحك؟؟؟ سامحني انت ده أنا بهدلتك كتير قوي!! ربنا يرحمك يا بابا...!

وقبل الرسالة بشفتيه وكأنه يطبع قبلة أخيرة على جبين والده ويده....

في اليوم التالي لسفر عبد الله سعدت زينب بأولادها لتتركهم عند والديها وخرجت وفور أن تحركت بسيارتها حتى تحركت وراءها سيارة من مسافة غير بعيدة يقودها زوجها عبد الله... وصلت زينب عند البناية التي يسكن فيها رفيقها وصعدت لشقته ودخل وراءها عبد الله ليقف أمام باب المصعد ونظر إلى رقم الدور حيث توقف بزينب... توجه إلى غرفة البواب ونادى عليه:

- سلامو عليكم... حد هنا

خرج له البواب سائلا:

- أيوه... أوامري يا شيخ

- ما فيش شقق هنا للإيجار؟

- فيه يا بيه

- وكام الإيجار؟

- على حسب فيه من تلتلاف لحد خمستلاف

- هو الدور فيه كام شقة؟

- ثلاثة... لو تحب تتفرج ممكن بكرة الصبح أكون بلغت صاحب

العمارة

أعطاه عبد الله إكرامية في يده قائلا:

- أشكرك يا أخي... أجي لك بكرة باذن الله...

- تؤمرني يا باشا

خرج عبد الله وجلس في سيارته وانتظر خروج زينب وخلال انتظاره قام بالاتصال بمساعده:

- أيوه يا محمد... خد العنوان ده عندك

- تمام يا حاج

- عايزك تعرف لي مين الي ساكن في التلت شقق الي في الدور الرابع وترد عليا النهارده بليل

- أوامرك يا حاج

خرجت زينب آخر النهار وتحرك وراءها عبد الله حتى عادت إلى البيت وبعد أن انصرف عبد الله وعاد هو الآخر إلى الشقة التي يبيت فيها وراء الشركة اتصل به محمد:

- أيوه يا حاج... شقة ١٠ ساكن فيها راجل ومراته كبار في السن لوحدهم خالص... وشقة ١١ فاضية للإيجار... شقة ١٢ ساكن فيها شاب بيشتغل مهندس معماري... ومعايا كشف فيه أسماؤهم كلهم ومعلومات عنهم بالتفصيل.. أعديه عليك؟

- الشاب الي هو المهندس ده ساكن لوحده يا محمد؟

- أيوه يا حاج مأجر الشقة بقاله سنتين وشوية تقريبا

- طيب يا محمد... تمام كده بعدين هبقى آخذ منك الكشف ده

أنهى الاتصال وهو حزين ممتلئ بالتوتر ومرهق فقد أنهكته الشكوك وغدا سوف يحسم الأمر فقد تكون زينب على علاقة ما بالزوجين المسنين وهو لا

يعلم بذلك وتساعدهما في شيء ما أو أي عمل إحسان أو لأي سبب كان... كان يرجو الله ألا يكون ظنه في محله وأن تكون كل أحاسيسه إثما من عمل الشيطان... في صباح اليوم التالي ذهب عبد الله عند البيت وانتظر وتكرر نفس ما حدث بالأمس وعندما دخل عبد الله العمارة وراها تلك المرة صعد إلى الدور الرابع بعد زينب بدقائق وقام بطرق باب الشقة التي يسكنها الزوجان المسنان ففتح له بعد برهة الرجل متسائلا فابتسم له عبد الله وهو يقول:

- السلام عليكم يا حاج... لا مؤاخذه أنا بس جاي علشان الحق زوجتي وادي لها موبايلها أحسن نسيته معايا

- موبايل إيه يا ابني وزوجتك مين؟

اعتصر قلب عبد الله وابتلع ريقه وهو يقول:

- زوجتي... الست المنتقبة اللي لسه داخله عندكم من خمس دقائق
اندهش الرجل وظهرت على ملامح وجهه علامات الحزن والتعاطف معه وهو يقول:

- ما فيش حد يا ابني جالنا من خمس دقائق لا منتقبة ولا بشعرها...
يظهر إنك غلطت في الشقة

وأغلق الباب في وجهه واستدار عبد الله بجسده واقترب من شقة الشاب ودقات قلبه تزداد بسرعة كبيرة ويتصبب عرقا وكل الدماء تصعد إلى رأسه في غضب وحزن شديد وتوقف أمام الباب لحظات ثم استجمع قراره وانصرف عائدا للبيت منتظرا عودة زينب وهو جالس يعتصر المسبحة في

يده... دار المفتاح في باب الشقة ودخلت زينب لتجد عبد الله جالسا ينظر إليها فابتسمت قائلة:

- الله... إنت جيت يا حاج... حمد لله على سلامتك

صمت عبد الله ولم يرد وظل ينظر لها والشرر يتطاير من عينيه وعقله يستعرق قالت له:

- ما لك يا عبد الله... شكلك تعبان من السفر.. فيه أكل في التلاجة معلش بقى هو أكل جاهز من بره علشان بس كنت عند أم أيمن وما لحقتش أطبخ... خرجة انت على بال ما ادخل الحمام واطلع أجيب العيال من فوق

رد عليها ببطء:

- العيال مش فوق.. ولا أبوكي ولا امك فوق

- يعني إيه مش فوق؟؟ أُمال راحوا فين؟

- خرجوا مع محمد يفسحهم شوية علشان بقالهم كثير ما بيخرجوش وما حدش بيهتم بيهم.. ومش هيباتوا هنا النهارده هيرجعوا على شقة التجمع...

شعرت زينب بالتوتر من كلامه وطريقته ولكنها أخفت توترها وردت عليه:

- والله فيك الخير يا حاج... ربنا يكرمك زي ما انت مراعيننا كده... طب أدخل أنا الحمام بقى علشان ألحق أحضر لك ال....

قاطعها عبد الله فجأة وهو ينهض من مكانه ويقترب منها:

- كنتي فين يا زينب؟

- يعني إيه كنت فين ما انا قلت لك كنت عند أم أي....

قاطعها مرة أخرى ولكن تلك المرة بصفعة قوية مفاجئة جعلتها

تسقط أرضا وهي تنظر إليه برعب وهو يكمل بصوت عال جدا:

- كنتي فييييين؟؟؟

انفجرت من عينيها الدموع وهي تقول بصوت خائف ومتقطع:

- فيه إيه؟؟؟ فيه إيه يا عبد ال....

قطع كلامها بصفعة أخرى ليمسكها من غطاء شعرها فينخلع

فيمسكها من شعرها بقوة ويرفعها بعنف لتقف وهي تصرخ من الألم

ويقول لها بصوت مجروح وثائر وهو ينهال عليها بالصفعات:

- ليه؟؟؟؟ ليه؟؟؟؟ بتخونيني أنا يا زينب؟؟؟؟.... بتخونيني أنا يا بنت

الكلب

بدأت زينب تنهار من كثرة الضرب وهي تصرخ مستغيثة وقد وصلت

أصواتهم للجيران الذين التفوا خارج باب شقتهم يطرقونه بشدة متسائلين

عما يحدث وعبد الله مستمر في صفعها على وجهها وهو يقول:

- عملت لك إيه علشان تعلمي فيا كده؟؟!!... ناقصك إيه؟؟؟؟!!!!... ده أنا

عملت لك كل حاجة وما حرمتكيش من أي حاجة في الدنيا تقومي تعلمي

فيا أنا كده؟؟!!!!... ده جازاتي؟؟!!!!... تفضحيني وتمرمغي سمعتي في الأرض؟؟!!!!....

استطاعت أن تفلت من يده ولم تجد أمامها مهرباً منه سوى باب الشقة فانطلقت نحوه تفتحه ليدخل منه الجيران يسألون عما يحدث وعبد الله يذهب نحوها يحاول الإمساك بها وتحاول هي الاستنجاد بهم فوقفوا حائلاً بينه وبينها قائلين:

- اهدا يا حاج عبد الله مش كده!!! إيه بس الي حصل!!! ده شيطان ودخل ما بينكم... ما تفرجوش الناس عليكم عيب... الحاجة زينب ما تستاهلش منك كده برضه!!
فانفعل عبد الله فجأة وهو ينظر لهم جميعاً قائلاً:
حاجة!!!

ثم ضحك بعصبية وهو ينظر لها نظرة كلها استحقار وغل وهي تنظر له وكأنها تستجديه ألا يفضحها أمام الناس الذين يحاولون وضع غطاء الرأس عليها مرة أخرى لسترها إلا أنه أكمل قائلاً بأعلى صوته:
- ما لوش لازمة الحجاب الي انتم بتلبسوهوها ده... الحاجة دي ست مومس

فزع الجميع وتسمروا في مكانهم وأخذت زينب تلطم على خديها وعلى صدرها وهو يكمل:

- أيوه... مومس...
وهذا صوته فجأة وتهدج وكأنه سيبيكي وهو يكمل:
- موووومس.... ويقول قدامكم كلكم أهوه إنها طالق... طالق مني...
طالق...

ثم نظر نحوها مرة أخرى وهو يقول بصوت عال مرة أخرى:
 عيالكَ دول مش هتشوفيهم تانى... وامشي اطلعي بره روجي لي كنتي
 عنده... برررره اطلعي برررره
 وكان يحاول الوصول إليها مرة أخرى إلا أن الرجال أمسكوا به ودفعوه نحو
 الداخل والنساء ينظرن إليها شذرا ويمصصن الشفاه وهي تقلب عينيها في
 وجوههم ثم أزاحت أيديهم المسككة بها بعيدا عنها لتخرج من الشقة هاربة
 من نظراتهم التي اخترقتها كالخناجر ونظرت فجأة نحو باب شقة نرمين
 بجوارها المغلقة بعد موتها وخيل إليها أنها واقفة تنظر لها بنظرات نارية
 وتملكها الفزع الشديد فانطلقت مسرعة تركض وتنزل السلالم ليسقط
 عنها نقابها مرة أخرى وهي تعدو ليصبح وجهها عاريا أمام الجميع....

* * *

ظل طارق يمشي في شقة صديقه التي يعيش فيها منذ شهرين ذهابا وإيابا
 متوترا وقد دخن كثيرا من السجائر فقد اتصلت به مادلين لتوها ولم يكن قد
 سمع صوتها منذ أسبوعين فهي تتصل به سرا كلما استطاعت من هاتف أمها
 دون أن يعرف أحد... عرف منها أن أباه قد حبسها في البيت وأخذ منها هاتفها
 وهددها إن لم تنس أمره تماما فسيلجأ إلى نفيها في أي دير بعيد لتعيش فيه ما
 تبقى من عمرها... يفقدها كثيرا ويشعر بالغضب الشديد فالجميع يقف بينهما
 وبين حبهما ومشاعرهما... تلك التجربة جعلته يرى أهلها بشكل مختلف فقد
 عرف منها أن أباه وأباه تشاجرا معا واتهم سمير أباه بأنه كان على علم بالأمر
 منذ فترة ولم يفعل شيئا وتطور الشجار بينهما لمنحنى عنصري أن أباه لم يهتم

بالأمر كما ينبغي أو بمنعه لأنهم مسيحيون!! وعرف أيضا أن أباه انفعل جدا ولم يستطع تقبل فكرة اتهامه وطريقة كلام سمير معه وانكشفت وجوههم الحقيقية فهم لم يكونوا أصدقاء يوما كما كانوا يظهرون لسنين طويلة!!.... أخبرته مادلين أنها ستخرج أخيرا مع أمها ليذهبان إلى الكنيسة في عيد صيام العذرا بعد إقناعها لأمها بأنها قد ضجت من تلك العزلة وعلى الأقل لو ذهبت إلى الكنيسة تلك الساعات القليلة فقد تشعر ببعض من الحرية والمنتفس وترى الناس والشوارع وأن تأتي معها وتحاول إقناع والدها بذلك... وقد وافق والدها تحت ضغط محاولات أمها وقال بحزم:

- ماشي.... هي ساعة زمن وتكونوا راجعين هنا ثاني وتخلي عينك عليها كويس... أنا كده كده اتفقت مع جرجس ابن عمها على الجواز خلاص هو يبيحبها من زمان وعاييها وكلمني كذا مرة في الموضوع قبل كده... شهر بالكثير وتروح بيت جوزها ويبقى هو بقى يتصرف معاها بعد كده

فكرة زواجها وأنها تعيش مع شخص آخر غيره تجعله يشعر بأن قلبه يتمزق من الداخل.... كيف يفعل بها هذا؟!... كيف سيزوجها من رجل لا تحبه؟؟ وماذا سيفعل هو في ذلك؟؟؟ كيف سينقذها من هذا المصير المؤلم؟؟؟ لا يعرف وعقله يكاد يتحطم من كثرة التفكير... اتفقا على أن يذهب هو أيضا للكنيسة غدا في ميعاد الصلاة على الأقل يراها ولو من بعيد... فقط يرى وجهها وعيونها وابتسامتها التي لا تفارق مخيلته ليلا ونهارا... في اليوم التالي توجه طارق نحو الكنيسة وقد وصلت مادلين وأمها قبله بخمس دقائق وعندما دخل وراءهما كان الزحام كبيرا والأنوار مضيئة في كل مكان

وأصوات تراتيل الصلوات تخلق حول أذنه وهو يدور بعينيه يمينا ويسارا في وجوه الناس ويتخطاهم بجسده بحثا عنها حتى لمحتها عيناه من بعيد تقف بجوار أمها تبحث عنه أيضا بعينيهما وعندما التقت نظراتهم توقف طارق ولم يشعر بذلك الرجل الذي اصطدم به صدمة خفيفة ونظر إليه بغضب لتوقفه المفاجئ... ارتسمت الابتسامة على وجهيهما وكانت عيناهما تقول كل شيء... كنا يركضان نحو بعضهما البعض بعيونهم لتلقي مادلين بنفسها في حضنه وتبكي وهو يضمها إليه بشدة ويمس على رأسها وشعرها الناعم بيديه أن لا تخافي واهدي فأنا هنا... أنا معك... وظلا يدوران حول نفسيهما مع نغمات التراتيل وكأنهما يرقصان رقصة صوفية بديعة وهادئة في وسط بيت الرب قلما أجاد بها الزمان المليء بالعنف والضجر... لم يلمح كل منهما خلال نظراتهما التي أخذتهما من عالمهم آخر ذلك الرجل الذي اصطدم بطارق فقد سقطت من جيبه كرة معدنية غريبة الشكل ويخرج منها بعض الأسلاك وقد تدرجت بعيدا عنه بقليل وتوتر هو للغاية وهو يتابعها وزاد توتره وهو يذهب نحوها يحاول استردادها سريعا عندما رأى ذلك الطفل الصغير المتشبث بيد أمه وهو يقول لها ويشد يدها ليجذب انتباهها نحو الكرة قائلا:

- ماما ماما... كرة

فتخرج أمه من صلاتها وتلتفت نحو ما يشير إليه لتلمح تلك الكرة عجيبة الشكل والرجل يذهب نحوها متلهفا فتوجست خيفة وأمسكت بطفلها بقوة تضمه إليها وما أن توقف أحد العابرين في الزحام في طريق

الرجل حتى دفعه الأخير بقوة فسقط العابر أرضاً بشدة وشعرت السيدة بأن هناك خطراً ما في شكل الكرة العجيب وملامح الرجل الغاضبة والقاسية ودفعه للرجل الآخر أرضاً بعنف ليسقط أرضاً فينظر الجميع نحوه حينما وصل هو عند الكرة وأمسكها بقوة لينظر لهم جميعاً فصرخت السيدة وهي تشير نحوه وساد الهرج والمرج ولمح طارق ما يحدث ففزعت عيناه وتحرك في اتجاه مادلين ليحميها ولكن القدر لم يمهلها فقد جذب الرجل سلكاً ما من أسلاك الكرة وانتهى كل شيء في ثوان... دوي هائل وهزة عنيفة مصحوبة بنيران متطايرة وشظايا لتقتل كل من كانوا حاضرين في محيط القنبلة ويتحطم زجاج الكنيسة بأكمله وملأ الدخان كل شيء وبعد دقائق بدأ الدخان ينزاح رويداً حتى وضحت مشاهد الجثث الممزقة في كل مكان واختلطت الأشياء ببعضها البعض... وانتهت التراتيل التي كانت تشدو بالمحبة والسلام وقتل من كانوا يرتلونها ومن تبقى حياً وقف مذهولاً ينظر حوله غير مصدق أن كل تلك الجثث كانت لأناس يصلون من أجل المحبة منذ دقائق معدودة وكانوا يسلمون على بعضهم البعض فرحين وسعداء... لم يعرف من تبقى حياً أن هناك وسط الجثث مشوهة الملامح جثتين لقلبين كانا كل ما تمنوه من الحياة أن يحضنا بعضهما البعض في أمان وحتى عندما ماتا لم يمنحهما الوقت مهلة كي تتشابه أيديهم فظلت كل يد فاردة أصابعها نحو الآخر لا تتمكن من لمسه.... ولم ير أيضاً من تبقى حياً وجوه أسترين لم يكونا في الكنيسة بعد الانفجار بساعتين... وجه أبي طارق وهو يتلقى الخبر بالهاتف فيسقط الهاتف من يده وتتهدج ملامحه وتسقط الدموع من عينيه

وملامح وجه أم طارق وهي مفزوعة لا تدري ماذا حدث فتتلقف الهاتف الذي سقط من أبيه لتسأل المتصل وما أن علمت بالخبر حتى صرخت صرخة تدمي القلوب... ووجه سمير وهو يتلقى الخبر بالهاتف بدوره فينهي الاتصال ويضع الهاتف على المكتب ويظلم وجهه ويظل ثابتا مكانه للحظات وينظر نحو الكتب التي تملؤ مكتبته الكبيرة.. كتب مقارنات الأديان والفلسفة وكتب الديانات الأخرى وكتب العلم والأدب ويزيجهم بيده بقوة ليسقطوا على الأرض ويصرخ منفجرا فجأة:

- ~~~~~ه....

ثم يسقط على ركبتيه أرضا ليبيكي بحرقة دافنا وجهه في يديه وهو يتأوه ثم يرفعه ببطء لينظر نحو الصليب المعلق على الحائط وعيناه مغرقتان بالدموع... دموع سقطت منهم جميعا بعد فوات الأوان....

رفع الفرماوي هاتفه واتصل برقم ما وعندما جاءه الرد من الناحية الأخرى قال:

- الحملة هتتحرك دلوقت... ما تقلقش يا باشا الحكاية هتخلص خالص النهارده...

أنهى اتصاله ورفع سماعة هاتف مكتبه ليقول:

- أيوه يا ابني القوات كلها تتحرك مع سامح بيه وتبلغوني بالي بيحصل أول بأول

وضع سماعة الهاتف وأشعل سيجارة لينفث دخانها في سماء المكتب... في نفس الوقت كان سامح قد ركب سيارته بملابسه العادية فقط يرتدي فوقها السترة المضادة للرصاص ومعه خمس مدرعات ممتلئة بالضباط والعساكر التابعين للأمن المركزي وقوات مكافحة الإرهاب ليتجهوا نحو العنوان الذي تركه عمر لسامح في المطفأة.... كان المكان في شقة من دور واحد في منطقة منعزلة عن الناس وشبه خالية من السكان بالمقطم وما أن اقتربت القوات حتى ترجلوا من المدرعات وانتشروا في المكان كله وحاصروه تماما واقترب من باب الشقة سامح ومعه ثلاثة من ضباط المكافحة وقد حاولوا منعه من الاقتحام معهم وإقناعه بأن ينتظرهم مع باقي القوات فهم الأقدر على التعامل مع تلك المواقف ولكنه أصر تماما على التعامل منفردا والاقتحام وحده فابنته التي بالداخل وهو لا يريد أن يعرضها لأي خطر وأن الأمر كله بينه وبين عمر.... ودخل سامح من الباب بعد رضوخهم لرغبته وأوامر القيادة بتركه يفعل ما يريد... كان الباب مفتوحا نصف فتحة وتقدم منه داخل الشقة بحذر شاهرا بندقية آلية وعندما وصل إلى غرفة جانبية لا يوجد بها نوافذ وتعتبر بعيدة عن مرمى نيران القوات بالخارج تماما دخلها بحذر وتسمر مكانه عندما رأى عمر جالسا على كرسي وابنته واقفة أمامه حائلا بين عمر وبين مرمى بندقيته وقال عمر فور رؤيته لسامح:

- أهلا سامح باشا... أخيرا اتقابلنا

- سيب البنت يا عمر هي ما لهاش ذنب ومصطفى هخرجه

كان عمر ممسكا بذراع ابنته وفي يده الأخرى مسدس ولكنه لا يوجهه نحوه ولا نحو ابنته بل كان ساندا يده التي تحمله على فخذه وموجها فوهته للأرض وقالت ابنة سامح لأبيها ببراءة:

- بابا وحشتني قوي... عمو عمر قال لي نستناك هنا لحد ما تيحي تاخذني علشان الحرامية كانوا عايزين يخطفوني وانت كنت بتقبض عليهم...
نظر لها سامح وزاد توتره وهو ينظر لعمر الذي قال بهدوء:

- اسمعني كويس يا سامح باشا... أنا ما أذيتش بنتك وما أذيتش أي حد في البلد دي أنا عملت كده علشان تسيب مصطفى وعلشان نتقابل في مكان أنا مأمن نفسي فيه بس... أنا هسيب بنتك حالا بس اديني الأمان
- عايز إيه اخلص؟

- عايز أتكلم معاك... وزى ما انت شايف أنا أول ما هسيبها إنت ممكن تضربني بالنار عادي وحتى لو عرفت أفلت منك وخرجت من هنا هموت في أقل من ثانية بالجيش اللي بره ده كله... بس صدقني لو سمعتني هيكون أفيد بكثير من قتلي... وبعد ما تسمعني أنا تحت أمرك... وحاجة ثانية كمان... تضمن لي الإفراج عن مصطفى... كلمة شرف منك...
- موافق بس سيب البنت زى ما قلت...

نظر عمر في عينيه للحظات كأنه يقرأ ما بهم من نية ثم ترك ذراع البنت ليدفعها نحوه برفق فأسرعت نحو أبيها الذي ضمها إليه بلهفة وقبلها من جبينها وقالت له:

- يا بابا عمو عمر ده طيب قوي جاب لي شوكلاتات كتير وفسحني امبارح بليل وجاب لي الفطيرة بالسكر اليي مجبها... خليه معانا على طول بدل عمو فارس ما كانش بيضحك خالص ولا بيهزر معايا وعلى طول مكشر....

ابتسم عمر في هدوء لكلامها ونظر لسامح الذي ما زال شاهرا بندقيته في وجهه ثم رفع عمر يديه للأعلى علامة الاستسلام وهبط بالتي تحمل المسدس ببطء حتى وصل بها للأرض ووضع المسدس أرضا ليركله بقدمه نحو قدمي سامح... الذي لم يفهم شيئا ونهض عمر ومشى بهدوء لجانِب الغرفة ليأخذ علبة سجائره مشعلا سيجارة منها ونظر لسامح قائلا:
- أنا جيت مصر هريان من الجماعات... انشقيت عنهم بعد ما عرفت أسرار كتير عن خيانتهم وإنهم لا بيدافعوا عن دين ولا عن حق وإنهم مجرد تجار سلاح ومخدرات وبغاء ودعارة ورقيق أبيض كمان... أنا عرفت حاجات ممكن لو انت عرفتها تحس بنفس إحساسي وممكن كمان تسبب شغلِكَ خالص....

ضحك سامح ضحكة ساخرة قصيرة وهو يقول:

- هما دول بقى الكلمتين الي انت عايز تقوله لى!! إنت عبيط يلا!!

قال عمر بهدوء:

- تحب أقول لك أسماء ما حدش يعرفها غيركم؟؟ وشوية معلومات

مستحيل أكون عارفها إلا لو أنا شغال معاكم فى الداخلية؟

وذكر له عدة أسماء وبعض المعلومات التي جعلت سامح يندهش

ويخفض بندقيته لأول مرة منذ دخل إلى الغرفة فأكمل عمر:

- يا باشا ما تزعلش مني في اللي هقوله لوك ده... بس احنا الاتنين زي بعض بالظبط... إحنا الاتنين مغفلين... أنا كنت فاكّر إني بحارب الباطل وبنصر الحق والعدل تحت راية الدين.... وانت فاكّر إنك بتحمي الأمن وبتنصر الحق برضه والعدل بس تحت راية القانون.... واحنا الاتنين في الآخر عرايس بيتلعب بينا... ولما بنقدم بيجيبوا عرايس جديدة غيرنا.... إنت تاخذ مكافأة نهاية خدمة محترمة تأمن بيها مستقبل بنتك وتاخذ سلطة وتعيش اللي باقي من عمرك في نوادي الشرطة تتمشى الصبح كل يوم علشان ضهرك هيتعب لما تعجز... وانا هموت سعيد وراضي علشان بعد ما أموت أكيد هخش الجنة ما انا شهيد بقي... وهما يقبوا أغنيا ووزراء ورؤساء وملوك ويحطوا أسامينا في لوحة شرف لحد ما الأسماء تتمسح مع الزمن وما حدش يفتكرنا وهما أسماءهم تتكتب في كتب التاريخ على إنهم أبطال وزعماء وشيوخ ملهمين ورجال دين ورجال دولة ورجال المرحلة.... أنا جيت مصر علشان أقتل واحد اسمه أبو بكر... ده أول واحد جندني وأقنعني بالفكرة المزيفة دي كلها... فكرة الجهاد... وكنت ضعيف وقتها والفقر والغلب عموا عينيه وملا قلبي الحقد والكراهة وتخيلت إن بالجهاد وبالسلاح هحارب السبب في اللي حصل لي وحزيمه.... إنما للأسف اكتشفت إني كنت بحارب الهوا... وكنت خلاص رجعت حتى عن فكرة إني أقتله وقررت أمشي من مصر خالص لحد ما أوصل مكان ما حدش يعرفني فيه واعيش مع نفسي لحد ما اموت... أول ما عرفت إنك قبضت على مصطفى كان لازم أتصرف واقابلك... كان لازم مصطفى يخرج هو ما

لوش ذنب في حكايتي دي كلها... مصطفى مغفل هو كمان.... لسه مصدق
الحكاية... مسكين خسر عمره كله في أي كلام... عذاب ومعتقلات وبهدلة
وحرمان عالفاضي....

كان سامح قد هدأ تماما وهو ينصت لكلام عمر وبدأ يصدق فقط
يجيب على جهاز الإرسال من حين لآخر ليبلغ القوات أن الوضع آمن ثم
قال لعمر:

- تعرف مكان أبو بكر ده؟

- سهل أوصل له بس ما بقاش له لازمة خلاص

- أنا عايزه... سلم لي نفسك وحميك... أوعدك هحميك وهقبض على
أبو بكر...

ابتسم عمر ابتسامة ساخرة وهو يقول:

- يبقى ما فهمتش حاجة من اللي أنا قلته يا باشا...

- ما لكش دعوة سيب الموضوع وأنا هعرف أقبض عليه... ده شغلي
وانت هتساعدني...

نظر عمر للبننت التي قالت له مبتسمة

- أيوه تعالى معانا يا عمو عمر... خليك معايا أنا وبابا علشان تفسحني
تاني..

ابتسم لها عمر ابتسامة مليئة بالطيبة المختلطة بالحزن ثم نظر لسامح
قائلا:

سلم عمر نفسه لسامح وتحركا معا نحو باب الشقة وسامح ممسكا به من ذراعه برفق في نفس الوقت كان شخص ما لا يظهر منه سوى ذراعه يصوب بندقيته القناصة من فوق سطح بناية بعيدة عن المكان نحو باب الشقة وما أن خرج منه سامح وابنته وعمر حتى صوب الرجل فوهة بندقيته على رأس عمر وأطلق الرصاصة... هي طلقة واحدة استقرت في رأسه فسقط فورا وهو ممسك بذراع سامح الذي فزع هو ابنته وحاول إسناده ولكنه سقط على الأرض مفارقا الحياة... نظر سامح لجثة عمر في ذهول ثم نهض لينظر نحو كل القوات المذهولين بدورهم وينظرون حولهم باحثين عن مصدر الطلقة وسامح يصرخ فيهم بصوت عال وهو ثائر جدا:

ثم عاد ليجلس بجوار جثة عمر وابنته تهزها وهي تبكي وتنادي على عمر الذي لن يجيب مرة أخرى.... من بعيد كان صاحب الطلقة يللم بندقيته في هدوء مبتعدا بعد أن نفذ مهمته وترك طلقاته لتستقر في الرأس... الرأس التي تجرأت وفكرت في الخروج عن السياق....

وقف نادر أمام قسم الشرطة وتذكر مشهده وهو مقيد بملابسه والأهالي وهم ممسكين به وكُم الصفعات التي تلقاها منهم ومن الأمن وشعر بالخوف

واهتز قلبه ولكنه تمالك نفسه فهو اليوم متعاف منذ أكثر من سنتين ولا يوجد شيء حقيقي يستحق الخوف فقط المرض بداخله الذي يتمثل في الأفكار الوهمية والسيناريوهات المتوقعة التي يرسمها تفكيره والتي عادة لا تمت للواقع بصلة ولكنها تبدو له أنها حقيقية... تعود على الخوف من الشرطة خلال سنين التعاطي جعلته يشعر أنه متهم... استجمع ثقته بنفسه ودخل إلى القسم وتوجه نحو السلالم وصعد إلى المباحث وسأل أول أمين رآه عن وليد بيه عوني فأشار له الأمين نحو غرفة مكتبه... طرق نادر الباب ثم فتحه ليجد وليد جالسا على مكتبه وحين نظر إليه سأله قائلاً وهو يللم أوراها أمامه:

- أؤمر؟

اقترب نادر من المكتب بتردد وهو مبتسم ثم قال:

- حضرتك مش فاكرني؟

نظر له وليد بتركيز ثم ابتسم فجأة قائلاً:

- آآآآ... افكرتك طبعاً... تعالى أقعد تعالى

ونهض وليد من وراء مكتبه ليسلم عليه وأجلسه على مقعد بجوار المكتب وجلس أمامه مكلاً:

- شكك بقيت كويس قوي وتخت

ابتسم نادر وهو يقول:

- أنا مبطل بقالي سنتين وثلاث شهور وخمس أيام

- جدع... أنا مبسوط علشانك.... أيوه كده يا عم... إنت كده راجل

محترم.. برافو عليك يا بطل

- ما كنتش عمري هعرف أعمل كده لولا وقفتك جنبي
 - ما تقولش الكلام ده ولا أي حاجة... إنت زي أخويا الصغير وأي
 حد معرض إنه يعيش التجربة المؤلمة دي... بس مش أي حد بيحاول يخرج
 منها وعنده إرادة
- أنا جيت لك علشان أشكرك وعلشان أدعوك لحضور مؤتمر إحنا
 منظمينه في قاعة في الاستاد عن التعافي من الإدمان وكلنا فيه من المدمنين
 المتعافين ويشرفني لو قبلت الدعوة وجيت
 ومد يده له بدعوة في ظرف شيك باسمه.. أخذا منه وليد وابتسم قائلاً:
 - طبعاً دي حاجة تشرفني...
 قال نادر مكمل كلامه:
 - فيه حاجة تانية كمان
- قول... معلش أنا هسألك الأول على اسمك وما تزعلش مني ما
 اقصدش أي حاجة إنت عارف طبعاً أنا بشوف ناس قد إيه كل يوم
 - اسمي نادر... أنا مش زعلان ولا يهملك أبداً أنا فاهم الظروف طبعاً
 - طيب قبل ما تقول تشرب إيه يا نادر
- ونادى على الأمين بالخارج بصوت عال فقال نادر:
 - ولا أي حاجة أنا مش عايز أعطل حضرتك أنا بس عايز أقول لك
 على حاجة كمان وهمشي على طول
 دخل الأمين فأشار له وليد بالانصراف قائلاً:

- خلاص يا ابني

ثم نظر لنادر مرة أخرى مكملًا:

- قول يا نادر

أخرج نادر من جيبه ورقة وأعطاهها له بها بضعة أسماء وهو يقول:

- أنا قابلت في رحلة الضرب دي طباط كثير وانت الوحيد يمكن الي عاملتني بإنسانية وبحسك شبهنا كده مش مغرور مع إنك تخوف في طريقة كلامك زيهم إنما قلبك طيب وده الي شجعتني أقول لك الكلام ده... الكلام اسم الي في الورقة دول طباط أنا شفتهم بعيني قبل كده وهما بيتكلموا مع تجار المخدرات علشان ياخدوا منهم شهرية ويسيبوهم يشتغلوا براحتهم وساعات منهم الي كان بيعجي بنفسه أو بيعت أمين ياخذ شنطة فلوس وكان نفسي أعمل حاجة بالي أعرفه ده وما لقيتش طريقة غير إنني أقول لك واسلمك الورقة دي

نظر وليد في الأسماء المكتوبة في الورقة وعقد حاجبيه وتغيرت ملامح وجهه ثم طبقها ونظر لنادر قائلاً وهو يعطيه سيجارة ويشعل واحدة لنفسه:

- بص يا نادر... أنا طابط مباحث بقالي سنين وياما شفت في الدنيا وانت أكيد فاهم أنا ممكن أكون شفت قد إيه... الضمير الي جواك ده حاجة كويسة قوي طبعاً وحافظ عليه لأنه هيساعدك في حياتك... إنما الدنيا هتفضل فيها ناس كويسة وناس مش كويسة مهما حاولنا نغير ده... انسى يا نادر الي فات وعيش حياتك لي جاي إنت ضيعت كثير من عمرك ومحتاج تهتم بحالك وبمستقبلك وتعوض الوقت الي فاتك وده أهم بكثير

وعموما يا سيدي إنت عملت الي عليك وسلمتني الورقة انسى بقى حياة المخدرات بكل الي حصل فيها... ولو احتجت حاجة كلمني في أي وقت... نهضا من مجلسهما وصافح نادر وليد بجمرة وامتنان وانصرف وعاد وليد ليجلس وراء مكتبه لينظر في الورقة... ثم نهض منصرفا من القسم وركب سيارته واتجه نحو بيت والديه وبعد أن دخل وعانق والدته وقبل يدها توجه إلى غرفة نوم والده حيث كان ممدًا على سريره وعندما رأى وليد اعتدل في مجلسه بصعوبة فاقترب منه وليد بسرعة ليقبل رأسه ويده قائلاً وهو يساعده في الاعتدال:

- إزي صحة حضرتك يا بابا؟

- الحمد لله يا ابني إنت عامل إيه؟

- الحمد لله

نظر له والده مليا ثم قال:

- ما لك يا وليد؟؟ مراتك وعيالك كويسين؟

- أيوه يا بابا الحمد لله

- وشغلك؟

- كله تمام.. أنا بس كنت عايز آخذ رأي حضرتك في حاجة... حضرتك

قضيت عمرك كله في الداخلية وعلمتني ازاى أكون إنسان قبل ما اكون ظابط وإني أداة لتحقيق العدالة وإن شغلي ده مسؤولية كبيرة

- قول يا ابني فيه إيه؟

حكي له وليد قصة نادر سريعا حتى زيارته الأخيرة له ثم قال:

- الأسماء الي في الورقة دي أسماء زمائل ليا كانوا دفعتي في الكلية
وأسماء أستاذتي في المباحث اتعلمت منهم أول ما ابتديت شغلي!!

وجز على أسنانه وهو يشعر بالحزن سائلا أباه؟

- أعمل إيه؟؟!!

صمت الأب قليلا وابتسم في هدوء وهو يقول:

- اعمل يا ابني ما يمليه عليك ضميرك وواجبك الأمني... علشان
لما تبقى في سني وتقعّد قعدتي دي تموت وتقابل ربنا وانت نضيف ومرتاح
ابتسم وليد بطيبة وهو يقبل يده مرة أخرى قائلا:

- بعد الشر عليك يا حاج ربنا يديك الصحة وبيبارك لنا فيك

وخرج وليد من غرفة والده ليخرج إلى الشرفة ويمسك بهاتفه واتصل
برقم ما وما أن أتاها الصوت من الناحية الأخرى حتى قال:

- علاء بيه... صباح الفل يا باشا... الله يخليك يا حبيبي... وانت كمان
واحشني والله... كله تمام... إنت لسه في قطاع التفتيش صح؟... طب يا
باشا أنا كنت عايز أقابلك... خير كله خير... ما فيش حاجة ما تقلقش...
متشكرين يا باشا صباحك زي الفل...

وأنهى وليد الاتصال لينظر للورقة نظرة أخيرة ثم وضعها في جيبه
بعناية...

دخل سامح مكتب الفرماوي وهو ممسك في يده جريدة ونظر له
الفرماوي قائلاً:

- أهلاً سامح تعالى... حمد لله على سلامة بنتك...

نظر له سامح ولم يعر جملة انتباهها وهو يفرد الجريدة ليضعها أمامه
على المكتب وهو يقول بحزم:

- هو إيه ده يا باشا؟؟

نظر الفرماوي للجريدة التي تحتوي على خبر عريض يحكي عن الكشف
عن هوية الجثة مشوهة الملامح التي قامت بتفجير الكنيسة وصورة كبيرة لعمر!!
أعاد الفرماوي نظره نحو سامح وهو يقول بهدوء:

- هو إيه ده اللي إيه يا سامح؟

انفعل سامح فجأة قائلاً:

- الخبر يا باشا الي منشور!!!... عمر اتقتل جنب مني!!!! متهيألي سعادتك
وكل ظابط وعسكري كانوا في الحملة عارفين كده كويس قوي... وعارفين كمان
إنه اتقتل وسطينا من غير حتى ما نعرف مين الي ضربه بالنار!!!

نهض الفرماوي من مكانه منتبهاً فجأة وعاقداً حاجبيه وهو يرد على
سامح بلهجة شديدة:

- جرى إيه يا حضرة الظابط... أنا ملاحظ إن لهجتك في الكلام
وطريقتك مش عاجباني!!!!... إنت نسيت انت واقف قدام مين ولا إيه!!!!...
إنتباه يا حضرة الظابط

انتبه سامح في وقفته ببطء على مضض وملامح وجهه غاضبة والفرماوي
يكمل وهو ينظر مباشرة إلى عينيه:

- الظاهر كده إن تشجيعي ليك وتقديري فهمته غلط

تململ سامح وهو يقول:

- يا فندم سعادتك مش...

قاطعها الفرماوي قائلاً بنفس اللهجة الشديدة:

- اسمع يا ابني كويس... علشان من الواضح إنك نسيت إنك ظابط أمن دولة ونسيت شغلك والقضية الي كنت شغال عليها أثرت على أعصابك... أنا بشجعك وبقدرك علشان ذكاءك وتفوقك في شغلك وكم ان علشان أبوك الله يرحمه كان صاحبي ويا ما اتعلمت منه في شغلنا... بس لازم أفكرك إنك راجل عسكري وعليك إنك تطيع الأوامر... ومش لازم الراجل العسكري يكون فاهم كل أبعاد الأمور علشان يطيع الأوامر... إحنا بنشتغل ليل نهار علشان نحمي البلد... وساعات بيبقى تنفيذ الأوامر بسرعة هو الحل الوحيد لإنقاذ وضع ممكن يدمر البلد وساعتها لو كل ظابط عايز يفهم هو بينفذ الأوامر ليه الأول كانت البلد خربت... كل واحد فينا ليه دور بيأديه على أكمل وجه وليه مساحة بيتحرك فيها ما ينفعش يخرج منها ولا يتعدها... أشعل الفرماوي سيجارة وخفض من حدة صوته مكملًا:

- انفجار الكنيسة ليلة العيد أزمة كبيرة والرأي العام مقلوب ولو الداخلية ما قدرتش تعرف مين الي فجر في أسرع وقت هتقع... وهيبة الدولة من هيبتنا... فيه جرايد بتكتب ومعارضة وناس غضبانة وأهل الي ماتوا ودول أجنبية ما هتصدق تتدخل وتضطاد في الميه العكرة والناس الي جوه الي ما بيصدقوا هما كمان ينفخوا في النار علشان تولع زيادة والوضع المسيحي في

مصر... عمر ده إرهابي وكان ميت ميت ما لوش دية... إحنا بننقذ حاجات أهم حتى ولو بكعبة مؤقتة... أهم حاجة في الحاجات الي بننقذها دي هي البلد نفسها واستقرارها... على العموم أنا مقدر الحالة الي انت فيها يا سامح وعارف إن الظروف الي انت مریت بيها في القضية دي كانت صعبة ومتعبة... يا ريت لو تاخذ لك أجازة كام يوم تهدي فيهم أعصابك وتفسح مراتك وبنتك هما كمان محتاجين للأجازة دي بعد التجربة الصعبة الي مروا بيها... تقدر تفضل على مكتبك دلوقت وأنا همضي لك على أجازة تبتدي من بكرة... اتفضل...

أدى سامح التحية العسكرية ببطء وهو ينظر للفرماوي بحزن وانصرف عائدا إلى مكتبه وأغلق باب المكتب وراءه وهو يتذكر كلمات عمر له (تحب أقولك أسماء ومعلومات ما ينفعش أكون عارفها إلا لو كنت شغال معاكم؟؟) و(يا باشا إحنا الاتنين مغفلين)... شعر سامح بضيق وحزن ونظر لمرأة كبيرة بجواره وسرح بأفكاره ليرى نفسه في المرأة طفلا صغيرا ووالده بملابسه العسكرية الرسمية يعنفه... كان دوما يعامله منذ نعومة أظافره على أنه ضابط قليلا ما كان حتى ينادي عليه باسمه بل كان يناديه دوما بمجملته (يا حضرة الضابط)... كم كان يكره تلك الجملة والتي سمعها عدة مرات من الفرماوي... تذكر أيضا وهو صغير يلعب مع أقرانه وينهره أبوه بشدة لأنه لم يذهب لتمرين التايكوندو والرماية اللذين كانا يكرههما... وضربه له أحيانا عندما كان يعترض وثورته عليه عندما كان يخرج مع ابنة خالته التي كان يحبها في أيام مراهقته ويتذكر جيدا كلامه:

- البت دي ما تشوفهاش تاني... أبوها بيغير مننا... لازم دايمًا تاخذ بالك إنك ابن ظابط وهتبقى ظابط مش أي واحدة تحبها ولا أي واحد

تمشي معاه ولا أي حد تتكلم معاه بسهولة كده... لازم تبقى ناشف وعارف قيمة نفسك...

لا يتذكر أنه شعر يوما بحنان أبوته بل كان قاسيا أغلب الوقت يشعره وكأنه يعيش في معسكر لا ينتهي.... مواعيد للاستيقاظ والنوم مقدسة وطول للشعر محدد لا يتغير أبدا... كل الأشياء محسوبة بالسنتيمتر... سجن كبير من القيود... لم يكن حتى يريد أن يدخل كلية الشرطة ولم يجرؤ يوما في أن يقول له ذلك وحتى عندما استسلم لمصيره وأصبح ضابطا وبعد وفاته حاول مع مرور السنين أن يصدق ما يفعله وأن دوره في الحياة أن يحمي البلد ويحفظ أمنها وأن ما يذكره الناس عن أمن الدولة محض كلام مرسل فهم لا يعرفون شيئا ولن يعرفوا أن هناك نوعيات من البشر إن لم تعتقل وتعذب وتعامل بتلك الطريقة لسقطت البلد... لا يعلمون أنهم يحملونها على أكفاهم ويتحملون كل هذا الهراء الذي يتبادلها الناس ويسمونهم بحقوق الإنسان وهم لا يعلمون شيئا... لولا جهودهم لما كانوا يعيشون في أمن وأمان ولا كانوا استطاعوا حتى أن يتشددوا بكل تلك الشعارات المثالية التي لا تمت للواقع بصلة.... حتى قابل عمر... واهتزت كل مفاهيمه التي بناها بداخله كل تلك السنين هزة عنيفة... المفاهيم التي تعب كثيرا في تكوينها لإقناع نفسه بشكل حياته ومصيره وأن يتأقلم... إحساس بغضب ومؤلم ويا ليتة لم يقابل عمر ولم يكن ضابطا من الأساس ويا ليت أباه لم يكن أباه.... لم يتحمل رؤية وجه والده في المرأة فقذف الوجه بمطفأة السجائر لتتحطم المرأة ويفتح باب المكتب ليدخل منه الأمين مجدي مسرعا وهو ينظر للمرأة المحطمة ويتساءل:

- سامح باشا؟؟ فيه إيه سعادتك؟؟

أدار سامح وجهه نحو مجدي بحدة وقال له بصوت عال وصارم:

- اطلع بره واقفل الباب وراك

انتبه مجدي في خوف وتوتر وانصرف فوراً مغلقاً باب المكتب وراءه كما قال سامح ليجلس الأخير وراء مكتبه ببطء ليفتح درج المكتب ويمسك بالكتافات التي تحتوي على نسر واحد على رتبته... الرائد سامح زيدان... فيعصر الكتافات بيده بقوة ثم يعود ليخرج من درج آخر ملفاً ويشعل سيجارة ويفتح الملف ببطء وهو ينظر لصورة صاحب الملف... صورة أبي بكر....

* * *

توقفت السيارة التي يقودها سيف وتجلس بجانبه ريم في الجراج المقابل لصالة السفر بالمطار... نظر سيف إلى ريم وابتسم ابتسامة هادئة فنظرت له ريم بنفس الابتسامة قائلا:

- أنا متوترة كده شوية وقلقانة.. بس...

- بس إيه؟

- عايزة أشكرك على كل حاجة عملتها معايا.... بجد... مفيش كلام ممكن أقوله يكفي...

- أنا ما عملتش حاجة.. إنتي الي قلبك من جوه طيب وقوي في نفس الوقت وربنا بيحبك...

- الفلوس وتذكرة الطيارة و...

أشار لها سيف بأن لا تكمل وقال:

- على فكرة سوزي دفعت معايا وما كانتش عايزاني أقول لك وصاحب الشقة الي انتي كنتي مأجراها كمان... سوزي قالت لي إن هشام صاحب الجيم هو كمان دفع فلوس وما حدش فيهم عايز منك الفلوس دي ثاني ولا حتى كان عايزك تعرفي إنه دفع... أنا بقول لك الكلام ده بس علشان تاخدي بالك كويس إن فيه ناس كتير بتحبك من غير سبب ومن غير غرض...

اتسعت عينا ريم من الدهشة وترقرقت الدموع في عينيها فأكمل سيف:

- شوفتي بقى إن ربنا بيحبك علشان كده كلنا بنحبك...

صمت لحظة وألقى نظرة على ساعته وقال وهو يفتح باب السيارة:

- يلا بينا علشان ما تتأخريش على معاد الطائرة

نزلا من السيارة وأخرج لها حقيبتها وتوجها نحو باب صالة السفر ليلمحا سوزي واقفة بجانب الباب فابتسمت ريم فور رؤيتها واندفعت نحوها لتحضنها وسقطت من عينيها دمعة رغما عنها وهي تقول لها:

- أنا عرفت من دكتور سيف إنك دفعتي

وضعت سوزي إصبعها على شفتيها أن لا تكمل ثم قالت:

- خلي بالك من نفسك

نظرت لها ريم نظرة كلها دفاء ثم استدارت لسيف الذي قال لها وهو يعطيها حقيبتها:

- اوعي تكوني لسه شايله الموس في بوقك أحسن يصفر في بوابة التفتيش وتتمسكي

ضحكت ريم وضحكوا جميعا وهي تقول له:

- خلاص يا دكتور... ما بقاش فيه موس... بس وقت اللزوم هيطلع
برضه عادي

ضحكوا مرة أخرى ونظرت هي لهم نظرات وداع أخيرة ثم توجهت
لداخل صالة السفر ولوحت لهم بيدها من الداخل لتختفي عن أنظارهم....
ما أن وصلت لتلك البلد الأوروبي التي ولدت فيها حتى اتجهت بسيارة أجرة
إلى أقرب محل لبيع الورد وأكملت إلى مدافن عائلتها وتوجهت نحو شاهد قبر
أمها ووقفت أمامه تنظر إلى الشاهد في صمت وتحيلت كأن وجه أمها ينظر
لها من الشاهد متلهفا لرؤيتها ثم تتشكل في هيئة جسد وتنهض لتمد يدها
وتربت بكفها على خد ريم التي بكت فجأة لشعورها بلمسة يدها بالفعل
واختفت الروح مرة أخرى فانحنى ريم لتضع الزهور على القبر قائلة بصوت
منخفض... (أنا مساحاكي... وبجبك)...

اقترب نادر من البار... كان مترددا من مواجهة لنا فهو لم يرها منذ أفلع
عن المخدرات وأيضا خائف من دخول البار فالمكان ممتلئ بزجاجات الخمر
وهو يعاني من حساسية شديدة لأي شيء يغيب العقل ويجب أن يكون في
شدة الحرص عندما يتعامل مع الأشياء أو الأماكن التي تتعلق بالمخدرات
أو المسكرات والأفضل تجنبها تماما... ولكن من أجل لنا قد يكسر قاعدة
ما لبعض الوقت... ازدادت دقات قلبه فور رؤيتها بالداخل تعزف... الفراشة
الرقيقة التي طالما أحبها داخل عقله وقلبه... السحر الذي يخرج من وجهها
وهي مغمضة العينين تعزف على كمانها... اقترب منه النادل ليساعده في اختيار

المجلس مرحبا به فأشار له نادر نحو لنا فhez النادل رأسه وأشار له أن يتفضل فاتجه نحوها وعندما فتحت هي عينيها أثناء العزف وجدته مقتربا منها وبدا في عينيها أنها تحاول التعرف عليه فقد تغير شكله كثيرا عن أيام التعاطي وعرفته فجأة فابتسمت وابتسم هو أيضا لها فأشار إلى منضدتها يستأذنها فأشارت له أن يجلس... نظر حوله شاعرا بالتوتر والحجل وذهبت عيناه رغما عنه نحو زجاجات الخمر والكؤوس المليئة بالويسكي والكونياك... لم يكن يحب الخمر وعندما كان يشرب كان يفضل الكونياك والسخونة التي يسببها عند نزوله في المعدة بعد ابتلاعه كان له متعة لطيفة والترنح البسيط وانقسام الرؤية بعد زيادة الجرعة والنوم السريع فور أن تضع رأسك على الوسادة وكأن الوسادة والسريـر قد ابتلعك داخلهما... أدار وجهه فجأة ليخرج من تلك الذكريات التي تجعله يتوتر أكثر وكي لا يسمح لعقله بالتلاعب به ونظر نحو لنا وركز تفكيره عليها وأغمض عينيه ليسمح لنغماتها بأن تتسرب إلى داخل كيانه فتصفي ذهنه وروحه.... أنهت لنا عزفها ووفق لها الجميع وهو أيضا ثم توجهت نحوه وهي مبتسمة ابتسامة كبيرة مرحبة به وتقول:

إزيك... أنا آسفة ما عرفتـكش أول ما شفتـك.. شكلـك اتغير واضح إنـك...
لم تكمل لنا ما كانت ستقوله وشعرت أن كلامها قد يجرحه إلا أنه
ابتسم في هدوء قائلاً ليحمل عنها الحرج:

- مبطل... أنا فعلا مبطل داخل في التلات سنين

- كويس قوي قوي... ربنا بيحبك... الي أعرفه إن الناس بتموت من

الحكاية دي... بس إنت بطل والله

- كنت عايز أستاذذك لو اتكلم معاكي شوية
 - طبعا.. أنا خلصت شغل خلاص ممكن نمشي من هنا نروح نقعد
 في أي مكان نشرب حاجة ونتكلم... أوكي؟
 - أوكي

طوال النصف ساعة التي تفصل البار عن المقهى المتجهين إليه ظل نادر يصارع خوفه الذي يحاول منعه بكل الطرق من أن يصرح لها بحبه الذي يحمله في قلبه منذ سنين طويلة... ويحاول ترتيب الكلمات ويتخيل السيناريو الذي سيدور بينهما ويعدل فيه وردود فعلها كي يتوقعها ويتمكن من التعامل معها بشكل سليم حتى وصلا.. جلسا وطلبا قهوتين وظل نادر صامتا لدقائق لا يعرف ماذا يقول وكأن كل ما كان يفكر فيه طوال الطريق قد تبخر تماما... بدأ يشعر بالإحراج ويتصبب عرقا من ظهره فقالت لينا وهي مبتسمة لتكسر حاجز الصمت والخجل الواضح على ملامحه واحمرار أذنيه:

- لسه ساكن عندنا؟
 - أبوه... أبويا مات من كام شهر وعاش في البيت لوحدي دلوقت...
 - أنا آسفة الله يرحمه.. طب ووالدتك؟
 - ماتت من زمان
 - أنا آسفة ما اقصدش أفكرك بحاجة تضايقك
 - متشكر ولا يهكم مفيش حاجة
 - متأكدة من طريقة كلامك إنهم كانوا حنينين قوي عليك
 لم يجب نادر فقط أو مأ برأسه فقد كان يظن أحيانا أنها تعرف بطروفه
 أيضا كما يعرف هو كل شيء عنها وكل تفصيلة في حياتها ولكن يبدو أنها

لا تعرف عنه سوى أنه جارهم وكان مشهورا في المنطقة بإدمانه وسلوكه السيء فقط... قال لها ليغير الموضوع ولكي يخفي ما يدور في تفكيره فهو يتخيل معظم الوقت أن ما يفكر فيه يظهر على وجهه:

- إنتي عاملة إيه في حياتك؟

ظهر الحزن في عينيها قليلا ثم بدأت تحكي له عن ظروفها وكأنه لا يعرف وملامح من حياتها وبيتها وبعض الأحداث الأخيرة التي لا يلم بها وموت أصدقائها الواحد تلو الآخر في ظروف عجيبة وكان يشعر جيدا بشعورها فقد مات أيضا معظم أصدقائه خلال رحلة التعاطي وحتى لو كان موتهم مختلفا في ظروفه ولكنه يدرك جيدا هذا الشعور المؤلم بالوحدة وعندما أنهت كلامها بأنها تحاول أن تزيد من فترات عملها والأماكن التي تعمل فيها لتحصل على الأموال التي تحتاجها لمغادرة البيت قاطعها رنين هاتفها وما أن رأت اسم المتصل حتى ابتسمت ابتسامة جعلت نادر يشعر بالفضول... ترى من هو الذي مجرد رؤيتها لاسمه يجعلها تبتسم تلك الابتسامة الخاصة جدا وعندما أجابت الاتصال قالت:

- أيوه.. إزيك انت... وانت كمان وحشتني... ثواني خليك معايا

ونظرت نحو نادر قائلة:

- عندك مانع لو فيه حد جيه قعد معنا؟

أشار لها نادر برأسه وملامح وجهه أن بالطبع لا يوجد مانع وباطنه يمتلئ بالتساؤلات عن هوية المتصل

فأكملت لينا قائلة لمن يكلمها على الهاتف بمكانهما وأنها في انتظاره وأنهت الاتصال لتقول لنادر أن من اتصل بها شخص تعرفت عليه مؤخرا وتشعر

نحوه بأحاسيس جميلة ويبدو أنه ظهر في حياتها الآن لسبب ما فلم تكن تتخيل يوماً أن أحاسيسها قد تتحرك من الأساس ولم تكن تؤمن بالحب... لم تلاحظ عيون نادر التي قاومت البكاء بصعوبة بالغة ويده التي ارتجفت فأخفاها تحت المنضدة... تحطمت كل توقعاته وآماله وكل ما كان يعيش معه بداخله منذ سنين طويلة لم يكن أكثر من مجرد وهم... شعر فجأة وكأنه تائه في وسط محيط واسع ولا يبدو في الأفق أي أثر لبر أو شاطئ... قاوم ما يشعر به وابتسم قائلاً:

- إنتي ربنا ييحبك يا لينا وعلشان كده بعث لك الي يقف جنب قلبك ويعوضك عن كل التعب الي عشتي فيه... ربنا يوفقكم ويسعدكم...
- متشكرة قوي يا نادر..

وضحكت وهي تقول له مكلمة:

- بس انت طلعت جميل وقلبك طيب خالص غير ما كنا بنشوفك في الشارع وملاحك تخوف وغير ما كنا بنسمع عنك دايمًا
ابتسم نادر ابتسامة مكسورة وهو ينظر إليها دون أن يجيب وكأنه يشكرها على محاملتها... وأشار للنادل أن يأتيه بالحساب فاستغربت قائلة:
- بتعمل إيه؟؟ إنت هتمشي!!

- معلش أنا أسف بس افكرت حاجة مهمة لازم أعملها قبل ما
أروح والوقت اتأخر عايز ألحق...

- بس انت ما قولتليش لحد دلوقت إنت كنت عايز تتكلم معايا في إيه؟؟
- هتصدقيني لو قلت لك نسييت؟

ابتسمت وهي تعقد حاجبيها حائرة من إجابته وهو يدفع حسابه
ويصافحها مستعداً للرحيل وهو يقول:

- عموماً أنا انبسطت قوي بالخروجة القصيرة دي وأتمنى أسمع عنك
دايماً كل حاجة كويسة... أشوفك على خير

في اليوم التالي ذهب نادر للبنك صباحاً ليسحب مبلغاً من المال
ووضعه في ظرف وذهب إلى البار الذي تعمل فيه لينا ولكن قبل ميعاد
وصولها بكثير ودخل ليتجه نحو مدير المكان قائلاً له:

- لو سمحت

- أؤمر يا فندم

- تعرف أستاذة لينا؟

- طبعاً أعرفها... بس هي بتيجي لبيل مش دلوقت خالص

- أستاذك أول ما توصل تديها الظرف ده

أخذ المدير منه الظرف ليسأله:

- نقولها مين حضرتك؟

ابتسم نادر وقال له:

- قولها... عماد

وعندما وصلت لينا في ميعاد عملها جاءها المدير ليعطيها الظرف

ويخبرها أن عماد قد تركه لها... فاستعجبت قليلاً وتساءلت:

- عماد!!!!... عماد مين؟؟

ذهبت نحو منضدتها وجلست لتضع كمانها بجوارها وتفتح الظرف لتفاجأ

أنه يحتوي على رزمة من الأموال وورقة قصيرة مكتوب عليها (ابتدي حياتك

من جديد وابتسمي لبكرة واري الماضي وراكي... ربنا يوفقك) ولا يوجد أي

إمضاء أو اسم يدل على صاحب الظرف ولا تعرف شخصا يدعى عماد!!! رغم الفرحة التي ظهرت في عينيها إلا أنها ظلت تفكر لدقائق... ترى من بعث لها بتلك الأموال التي تنقصها لتترك البيت وترحل؟!!!!... لم تنجح في أن تعرف من... ولم يأت حتى احتمال أن يكون نادر في تفكيرها... ولن تعرف أبدا أنه هو....

جلس نادر في غرفته أمام النافذة ينظر إلى القمر الذي كان مكتملا في تلك الليلة ونوره هادئ تقطعه سحابة رفيعة سوداء وكان صوت منبر يشدو من ورائه (غيرت يا ما كثير أحوالي وأنا كنت عاشق وكان يحلالي)... كان يفكر في كل ما مر من عمره حتى هذه اللحظة وعقله يصنع الكثير من الصور... صورة عن قلبه كأنه بيت أثري مهجور ومظلم يقطع ظلامه عدة خطوط رفيعة من النور تعبر لداخله من فتحات شبابيك قديمة تأكلت أطرافها الخشبية بمرور الزمن... خطوط النور تجعل من يدخل يرى أمامه إلى حد ما ولكن تبقى الزوايا والأركان دوما مظلمة تشعره بأنه منبهور وتجذبه للبقاء داخل ذلك البيت أكثر ويشعر بالأرواح الكثيرة التي تطفو حوله ولكن ليس لها وجود حقيقي وكل خطوة يخطوها للداخل دون أن يشعر يزداد إدراكه بأن تلك الأرواح التي تحوم حوله ليست طيبة كما كانت تبدو والصبر الناتج عن خطوات قدميه على أرضية البيت تشعره بالخوف... الحيرة تملكه هل يجب البيت أم يخشاه وتلك اللحظات هي الأكثر خطورة فإما أن يعود للوراء ويخرج سريعا أو يتقدم فيقرر أن يتقدم وتبدأ الأركان المظلمة تتضح له وحينها ستتلاعب الأرواح به وسينظر وراءه فلن يجد الطريق إلى الباب الذي جاء منه ولن يجد سبيلا للخروج وستتلاشى خطوط الضوء والشبابيك

القديمة ويصبح ما وراءه هو مجرد مرآة لما أمامه فيتملك منه الرعب ويبدأ في الصراخ مستغيثا ولكن صراخه لا يخرج بل يعلو بداخله فقط وملامح وجهه تظهر هادئة لا تدل على الشخص الذي أوشك على الموت رعبا وراءها وفقدان العقل أصبح وشيكا... يخرج عقله به من صورة قلبه إلى رحلة أخرى وصورة جديدة عن نفسه يخبره فيها أنه أصبح ثقيلا جدا على الدنيا وعلى البشر وعلى كل من حوله وعلى نفسه.. لن يشعر أحد بفرق ملحوظ إذا كان متواجدا هنا أو لم يكن!!... وحتى إذا شعر أحد بغيابه فلن يتخطى إحساسه بالاشتياق له أسبوعا على الأكثر وسينسى وكأنه لم يكن موجودا منذ البداية!!... كل ما فات من عمره لم يكن له أهمية أو مبرر للحدوث... مجرد كائن زائد في الحياة يستحوذ على بعض من الهواء قد يكون أولى به أحد غيره سيصنع من هذا الهواء الذي يستنشقه شيئا يستحق المحاولة... تلك الأحاسيس تأكل من جسده قطعا صغيرة يوميا بانتظام شديد لا ينقص ولا يزيد... كل يوم ينقص جزء صغير من داخله فيتحول شيئا فشيئا بمرور الوقت لإطار خارجي لجسد فارغ من الداخل!!... الحياة بالنسبة له أصبحت كالساعة الرملية البطيئة وهو جالس يشاهد كل حبة رمل تهبط من أعلى لأسفل... يقول له عقله بوضوح أنه لا يوجد هناك شيء يفوق أي توقعات يا عزيزي كما كنا نتخيل معا في يوم من الأيام... لا شيء في الغد مبهر كما كنا نرسمه مع بعض صغارا... كل ما هنالك أنك يوما بعد يوم ترى الأمور على حقيقتها أكثر فأكثر ويتبدد الوهم تدريجيا ويؤسفني أن أخبرك يا صديقي العزيز أن هذا ليس شيئا مبهجا على الإطلاق... وإنما هو ألم يتزايد ببطء صامت.... مجرد مراحل متأخرة من الألم أكثر نضجا!!... نصيحة يا صديقي

من القلب إن لم تأت بعد فلا تأت فلا يوجد هنا وسيلة للرجوع.... يحاول نادر التخلص من عقله ومرضه الذي يستمر في الكلام معه رغما عنه ويتخيل وكأنه محيط كتفه بذراعه ليجبره على الإنصات وهو يكمل لقد استنفدت كروتك جميعا ولم يتبق لك في اللعبة سوى كارت واحد وفرصة واحدة فقط لتحافظ عليها بكل قدراتك للبقاء داخل اللعبة وهي بقاءك على قيد الحياة فلا تطالب الآن بأشياء أخرى وقد تخلّيت عنها مبكرا بكامل إرادتك وارتضيت أن تضحي بها بأرخص العروض والأسعار فلم تعد ملكا لك وانتقلت لحوزة آخرين كانوا أكثر منك ذكاء وادخروا كروتهم لوقت الحاجة ولم يبدأوا بها اللعبة... فلتعترف بغباوتك يا صديقي المسكين وارتضي المصير واستمتع بكارتك الأخير إذا استطعت أو راهن عليه وارحل وفي كل الأحوال أقول لك بإخلاص الحياة لا تستحق كل هذا العناء والأمر ليس جديرا بالمحاولة فالحق بكارتك الأخير وكن صاحب قرارك لآخر نفس... فزع نادر ونهض من مكانه يحاول أن يقاوم صوت المرض ويدافع عن نفسه وكأنه أمام هيئة محكمة قاضيهما عقله ومستشاريهما قلبه وروحه والمحلّفين جميعهم لهم نفس الوجه!! وجه المرض ولكنه يرتدي ملابس مختلفة... يبدأ نادر في الكلام ويقول متأثرا أنه عاش لسنين طويلة في مناطق كثيرة من الوهم والأحلام غير منطقية والصدقات الزائفة والوجوه البلاستيكية وعاش كثيرا جدا من الشخصيات المريضة في ثوب العقلاء وكثيرا من الحكماء داخل مستشفيات الأمراض العقلية ورأى كل متناقضات الحياة... قاتلا ولكنه يرفع عنه الظلم في أحلك المواقف وشيخا مجلباب قصير ولحية وعلامة الصلاة في جبينه يبيع المخدرات وراهبا يشتهي الأطفال ومنتقبة بائعة هوى وعاهرة

تعطيه كل ما تملك من مال لكي يتعالج به من مرض كاد أن يؤدي بحياته يوما ما...
 أثرياء يعبدون المال ويقصدونه وفقراء لا تعني لهم الأموال شيئا ورجال قانون
 يتقاضون من تجار المخدرات أجرا ومجرمين يفدونك بحياتهم من أجل رد الجميل
 ويكرهون الخيانة!! يستمر نادر في المرافعة مدافعا عن نفسه موجها كلامه نحو
 عقله القاضي قائلا: وطأت أقدامي قلب البلد وأحشائه من الداخل وشوارعه
 الخلفية ومناطقها المظلمة والغيطان التي يسكنها المسلحون والصحاري التي
 يقف في منتصفها البدو المثلثون ومات العديد من أصدقائي بجانبني وأمام عيني..
 في لحظات قليلة سكنت حركة ذلك الشخص الذي كان يضحك ويبكي ويتكلم
 منذ قليل وأصبح جثة هامدة... تجمدت نظرات عينيه واختفى منها البريق...
 رأيت الموت أكثر من مرة وفارقت رصاصة طائشة رأسي لتستقر في رقبة شخص
 آخر بجانبني لم يكن يدري شيئا عن أوانه الأخير وحتى الآن لست أدري لِمَ
 انحرفت تلك الرصاصة عن طريقها نحوي!!..... ولدت وتربيت في حي راق من
 أحياء القاهرة القديمة ولكنني لم أكن أشعر يوما بالانتماء له اجتماعيا أو ماديا
 وضاع مني أكثر من خمسة عشر عاما أبحث داخل كل المناطق العشوائية والراقية
 عن نفسي وعن وجداني فوجدت أنني لا أنتمي إليها أيضا... ذهب مني عقلي في
 محاولات مستميتة لأفهم أي شيء مما يدور في حياتي وفي عقلي ولم أصل لأي شيء
 سوى أنني حتى الآن لم أستطع أن أفهم شيئا ولست أدري بالتحديد من أنا؟؟؟!!...
 لقد تمررت في حياتي على كل شيء في سبيل الفهم... على منظومة التعليم والأسرة
 والأخلاق والدين والقانون والتقاليد ونظرة المجتمع ومفهوم الصواب والخطأ
 وحتى الموت... واستدار بجسده مشيرا إلى هيئة المحلفين ليقول: وحتى المرض

تحدثته سواء كان نفسيا أو عقليا أو جسمانيا... الشيء الوحيد الذي فشلت في أن أتمرد عليه هو الزمن وحركة السنين للأمام.... رغما عني كبرت ورغما عني تغيرت ورغما عني لم أعد أتمكن من فعل نفس الأشياء التي تعودت أن أفعلها ولم أعد أستمتع بنفس الأشياء التي كنت أستمتع بها ولم يبق شيء كما هو... إلا الطفل الصغير الساكن في ثنايا روحي وينغص علي أحاسيسي فهو لا يقتنع بأن السنين قد مرت وأن كل شيء تغير بالفعل... كل من كانوا يحبونه صغيرا ويحملونه على أيديهم قد رحلوا عنا... مسكين هو غير قادر على الاقتناع بذلك ويعاتبني دوما وكأنني أنا السبب في ذلك ولا أملك من أمري سوى أن أتركه يلومني كي لا أكسر قلبه الصغير ولا أطلعه على واقع الأمور فالواقع أقبح من أن يتحملة... أنا لست خارج اللعبة ولكن لم يعد يعنيني أمر اللعبة التي تحدثونني عنها فالرحلة هي المقصد بكل ما كان فيها وما زال من حلو ومر وجنون وأخطاء وضعف وقوة وحزن... الحزن الذي أصبحت أشعر وكأنه له أياد وأرجلا وصوتا!!!!... وبعد كل معركة تدور بيننس وبينه تترك المعركة بعض الآثار على ملامحي يطلق عليها الناس تجاعيد.... أقاومه عادة بالضحك الذي تشوبه العصبية في معظم الأحيان... بعض المحاولات البائسة مني لتجنب آثار المعركة.... تجنب تجاعيد الوجه التي ما زال على أوانها عشر سنين على الأقل.... وعلى الرغم من إصرارها على القدوم مبكرة استطعت أن أمنعها بكل ما أملك من أعذار ومبررات واهية أصبحت على وشك النفاذ... ولكنني لم أنجح في محو بعض من آثار المعركة... وهي تجاعيد القلب والحيرة... تجاعيد القلب قد تمكنت منه ودخلت إليه في غيابي دون إذن مني ورفضت الرحيل... فهل للقلوب أن تضحك كذبا مثلما تفعل الوجوه؟؟؟!!...

أما الحيرة فقد اعتدتها وأصبحت رفيق دربي... سأظل أبحث عن شيء ما لا أدري ما هو ولكنه بالتأكيد ليس في المخدرات ولا في أجساد النساء ولا في قلوبهم ولا في الحب... لم أحب لينا ولم أحب رشا ولم أحب المخدرات ولم أحب نفسي... لم أنجح في تجربة الحب إنسانيا كان أو إلهيا... ما أبحث عنه لم أجده بعد وقد لا أجده أبدا... كانت هيئة المحلفين قد امتزجت ببعضها البعض لتصبح جسدا واحدا لكائن خرافي مخيف وهو المرض الذي ظل ينظر لنادر بغضب شديد وانصرف ليترك القاعة راحلا حتى يأتي ميعاد جلسة أخرى بالقضية ستظل معلقة أبد الدهر ولن تحسم حتى نهاية الحياة... نهض نادر من مكانه ليمسك بريشته ويقرر أن يبدأ في الرسم لأول مرة منذ سنين طويلة لينظر نحو صورة أمه وأبيه ويخيل إليه أن وجوههم تبتسم له في طيبة فيبتسم لهما هو الآخر ويستدير ليرسم أول خط في لوحته التي لا يعرف ماذا ستكون... لعل هذا الخط المرسوم هو بداية ما كان يبحث عنه طوال حياته....

تمت بحمد الله رواية (بطن البلد)

القاهرة... مصر الجديدة

٢٠١٧ / ٦ / ٣٠

عبد المنعم هلال